

أسرار الصلاة

الشهيد الثاني
العلامة زين الدين بن علي العاملي

تحقيق
محمد علي قاسم









أَسْرَارُ الصَّلَاةِ



أسرار الصلاة

تأليف

الشهيد الثاني

العلامة زين الدين بن علي العاملي

تحقيق

الاستاذ محمد علي قاسم

الدار الاسلامية

الطبعة الأولى

١٤١٠هـ - ١٩٨٩م



كورنيش المزرعة، بناية الحسن سنتر، الطابق الثاني، هاتف: ٨١٦٦٢٧
فرع ثاني. حارة حريك، شارع دكاش، هاتف: ٨٣٥٦٧٠
ص.ب: ١٤٥٦٨ - تلكس: ٢٣٢١٢ - غدير

كلمـة الناشـر

عزيزي القارئ .

كثيـرة هي الكتب والرسـائل التي تنـاولت موضـوع الصلاة . .

وحسبـك بهـا أنهـا فـاتحـة الكتب الفقهيـة ، دون استثناء ، ومبتدأ أبحاثها .

فـالصلاة ، صلة وصـل بين خالقٍ ومخلوقٍ ، وبهـا ينماز برٌّ عن فاجر . . .

وبالصلاة ، تتصـل أرض بسماء ، . . وتـدنو بـدايةٌ من نقطةِ نهايةٍ ، لتتم دائرة الكمال الإنساني !.

● وهذا الكتاب الذي بين يديك . . .

إنه من تأليف عـلامة زمـانه ، ومـوسوعي عصـره ، ونادرة أوانه ، الشهيـد الثاني قـدَّس الله سره ، الـذي نذر

حياته ، ودمه ، للمعرفة والحق أنّى كانا . فعاشهما ، بعد أن كان يعيش لهما !. . .

أمّا الجديد فيه ، فشيئان :

ـ الأول : ـ لجهة التأليف ـ . فقد مزج المؤلف ، إلى حد بعيد ، بين الصلاة بمفهومها الديني ، الفقهي ، والصلاةِ ، عرفاناً ذوقياً ، وتوجهاً إشراقياً ، واستشرافاً سلوكياً . . .

فهي ليست واجباً شرعياً دينياً ، يؤدّى ضمن أطر تشريعات فقهية . . .

وليست سلوكاً عرفانياً ، يتجاوز المريد فيه العوالم كلها ، ليتصل بـ « واجب الوجود » مباشرة ، كي يتحد في نهاية المطاف بجناب الحق الأقدس . . .
ولكنه مزيج فريد من هذا وذاك .

وهكذا أتى عمل المؤلف إسلامياً فذاً من طرازٍ رفيعٍ ، يعتمد على صفاءِ قلبٍ ، وإشراقِ روحٍ ، وشفافيةِ ذوقٍ ، وصقيلِ إحساسٍ مجلوٍّ ، ولطفٍ مخزونٍ رهيفٍ . . . ليأخذ بيد القارىء ، مصعِّداً به من مرقاة نورٍ ، إلى معراج شفافيةٍ وأضواءٍ ، ولألاء ، فإذا الآفاق جميعاً ، والآماد ، محراب تلاوة وصلاة ودعاء !. .

ـ الثاني : ـ لجهة التحقيق ـ . فقد تسنّى لمحقق الكتاب ، الأستاذ محمد علي قاسم ، أن يقدم دراسة مستفيضة عن المؤلف ، والكتاب ، معاً ، مستعيناً بجملة صالحة من المصادر والمراجع ، المتنوعة .

فانتهى به الأمر ـ بالإضافة إلى غزارة المعلومات التي قدمها في تحقيقه ـ ، إلى وضع اليد على معلومات جديدة ، لم يفطن لها ، في حدود علمنا ، من قبل ، أحد ! . . .

● وأن الدار الإسلامية التي دأبت ـ وستبقى ـ على نشر الفكر الإسلامي ، في سبيل معرفة إسلامية واسعة ، تليها نهضة إسلامية واعية إن شاء الله ، ليسعدها أن تقدم لقرائها الكرام هذا العمل الإسلامي ، الجاد ، الرصين ، إنجازاً جيداً ، في زمنٍ طغا غثُّ الإنتاج فيه على سمينه ! . . .

والله ، وحده ، من وراء القصد . . .

وهو يهدي السبيل ! . .

الدار الإسلامية ـ بيروت ـ



زين الدين بن علي
ـ المشهور بالشهيد الثاني ـ
(٩١١ هـ ـ ٩٦٥ هـ)

● الرجل :

حياته ـ سيرته الذاتية ـ العصر والبيئة ، والدلالة عليهما ـ صفاته ـ نهايته ـ آثاره ـ طلابه .

هو زين الدين بن علي ، علّامة زمانه ، ونادرة أوانه ، ورأس الفقهاء فيهما ، والمتكلمين ، والعلماء ، والمحدثين .

في ١٣/ شوال /٩١١ هـ ، فتح عينيه الصغيرتين المترأرئتين على النور ، في بلدة جباع ، جنوبي لبنان .

وأشرف أبوه على تربيته ، وتعليمه ، منذ نعومة أظفاره . فختم زين الدّين القرآن ، وكان عمره إذ ذاك تسع سنين .

وتابع الوالد الشيخ تدريس فتاه النجيب ، المتوقد ذكاء ، والمشتعل بديهة وخاطراً ، علم ذلك الزمان من لغة وأدب وفقه وأخلاق .

ولكن القدر لم يمهلهما ، إذ ما لبث الشيخ أن اخترمته المنية سنة ٩٢٥ هـ ، مخلفاً وراءه فتاه ذا الأربعة عشر ربيعاً ! . .

ولم تفتَّ الفاجعة في عضد زين الدين ! . . .

ولم تحل دون توجهه العلمي . . .

بل كان نقيض ذلك الصحيح .

فسرعان ما عقد الفتى العزم على متابعة رحلته العلمية هذه . .

والله يفعل بعد ذلك ما يشاء . ويحكم ما يريد ! . . .

و« يهاجر » الفتى الغض العود ، الطري الأملود ، إلى « ميس الجبل » . . . فلمدرستها شهرة طائرة ، وصيت ذائع .

وفيها التقى بالشيخ الجليل ، والحقق المدقق، علي بن عبد العالي الميسي . فقرأ عليه الشرايع ، والإرشاد ، وأكثر القواعد .

وبقيَ فيها إلى جانب شيخه الجليل، يأخذ عنه ، قرابة ثلاثة عشر عاماً ، . . انتقل بعدها إلى « كرك نوح » حيث الشيخ حسن بن جعفر الكركي .

وضاق به لبنان .

فشدّ الرحال إلى دمشق سنة ٩٣٧ ، حيث محمد بن مكي ، وغيره ، من أساطين العلماء وجهابذة الفحول ، فأفاد أدباً غزيراً ، وعلماً جماً . .

ثم عاد إلى بلدته ، فنبا عنها جنباه ، ولم يستطع فيها لبثاً ولا مقاماً ، فقد تمكنت في نفسه نزعة اقتناص العلم من فحوله حيث وجدوا .

وعاد إلى دمشق ثانيةً ، حيث مكث فيها قليلاً ، . . ومنها شد الرحال إلى مصر حيث دور العلم . وعلى رأسها الأزهر الأنور ، وكان ذلك سنة ٩٤٣ هـ .

يذكر متتبعو سيرته ، وفي طليعتهم تلميذه إبن العودي ، بأنّه قد

. اتفقت له في طريقه ألطاف خفية ، وكرامات جليلة ، أشار إليها الشهيد المقدس في سيرته الذاتية ، والتي ستلي بعد قليل .

ومكث زين الدين في مصر عاماً ونصف عام ، يستمع باهتمام ، ويناقش بشغف ، ويتزود بنهم ، متنقلاً في دور العلم فيها ، كالعصفور من فنن إلى فنن ، يحضر دروس العلم ، متنقلاً من شيخ إلى شيخ ، ومن حلقة إلى حلقة ، ومن مدرسة إلى أخرى ، حتى تمكن من استيعاب ثقافة شاملة ، متنوعة ، متعمقة ، حقاً ! .

ثم حج بعد ذلك واعتمر .

وقاده نهمه العلمي الذي لا شبع له ، ولا إرتواء ، إلى العراق عام ٩٤٦ هـ مخلفاً وراءه مجالس العلم في مصر التي ألفها والفته ، فأحبها وأحبته ، فزار العتبات المقدسة . وتوجه من ثَمَّ إلى فلسطين يأخذ عن شيوخها الأجلاء ، . . فنشدان العلم والمعرفة أصبح جزءاً من ذاته ، لا يتجزأ ! . .

ثم ، أليس طلب العلم فريضة ، . . ووجهاً ، ولا أرقى ، من وجوه العبادة ، والتقرب به إلى الله زلفى ؟ . .

ففي سبيل ذلك ، ترخص ، إذاً ، التضحيات . وتقصر المسافات . .

إنها هجرة إلى الله تعالى ! . .

وزيادة في الإستقصاء العلمي ، ونشدان المعرفة ، يمم زين الدين وجهه إلى تركيا عام ٩٥١ هـ . ومكث فيها شهوراً تسعةً ، يدرس ويتدارس وفقهاءها شتى ضروب العلم والمعرفة . فالحكمة ضالته ، وهو لايني في التقاطها مهما شط بها المزار ونأت بها الديار . وكأنّما إياه عنى إبن زريق البغدادي :

كـأنّمـا هــو في حـل ومــرتحـلٍ   مـوكـل بفضـاء الله يـذرعــه !..

وهكـذا استقـامت لمترجَمِنـا ثقـافـة جـدٌّ واسعـة ، وبعيــدة غـور الجذور .

فطار صيته ، وعمت شهرته ، وسما شأوه . وتنـاقلت الألسن فضلاً له ، وعلماً !..

وضمن إطار هذه الهالة المتألقة ، قفل زين الدين عـائداً إلى وطنـه الأم ، ومسقط رأسه ، عودة المظفرين .

ونـزل في جبل عـامل نـزول الديمـة السكوب . على الأرض التي بَعُدَ عهدها بالحيا الهتون .

ويأمر السلطان سليمان القانوني في استانبـول أن يُعْهَدَ إلى الشيـخ الفقيـه العـائـد ، بتـدريس مـواد الفقـه ، والحــديث ، والتفسيـر ، على المذاهب الخمسة ، في مدرسة بعلبك ، المعروفة أيامذاك بـ « المدرسـة النـورية » . وكـان الشيخ قـد استحصل على بـراءة بذلـك خلال إقـامتـه القصيرة في العاصمة العثمانية . فمن كـ « مفتي طوائف الأمم » يتصـدى لهذا المنصب الخطير ؟ .

إنّـه ، وأيم الله ، نسيج وحـده ، وفريـد عصره ، وقـد أحاط بكـل جـوانب الفقـه وغيــره ، من صنـوف العــرفـان ، وضــروب الحكمـة ، والمعرفة ، خُبْراً !..

ولنستمـع إلى هذا العـلامة العلم ، والبحـر الخضم ، يحدثنـا عن حياته بلسانه ، طيب الله ثراه .

إنّها الوثيقـة الأصدق قيـلاً ! وقد ارتـأينا إثبـات سيرتـه الذاتيـة هذه بقلمه ، لنفاستها ، وأهميتها .قال ذو الأنفاس العطرات ، نور الله مثواه :

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة على أشرف المرسلين ، وآله الطاهرين ، وأصحابه المنتجبين .

هذه جملة من أحوالي ، وتصرف الزمان بي في عمري ، وتاريخ بعض المهمات التي اتفقت لي .

كان مولدي في يوم الثلاثاء ، ثالث عشر شوال ، سنة إحدى عشرة وتسع مئة من الهجرة النبوية .

ولا أحفظ مبدأ اشتغالي بالتعلم ، لكن ، كان ختمي لكتاب الله العزيز سنة عشرين وتسع مئة من الهجرة النبوية وسني إذ ذاك تسع سنين . واشتغلت بعده بقراءة الفنون العربية والفقه على الوالد قدس الله سره ، إلى أن توفي في العشر الأوسط من شهر رجب يوم الخميس ، سنة خمس وعشرين وتسع مئة .

وكان من جملة ما قرأته عليه من كتب الفقه النافع ، مختصر الشرائع ، واللمعة الدمشقية .

ثم ارتحلت في تلك السنة مهاجراً في طلب العلم إلى « ميس » ، وكان ابتداء الإنتقال في شهر شوال من السنة المذكورة ، واشتغلت على

شيخنا الجليل : الشيخ علي بن عبد العالي قدس الله سره ، من تلك السنة إلى أواخر سنة ثلاث وثلاثين وتسع مئة . وكان من جملة ما قرأته عليه ، شرائع الإسلام ، والإرشاد ، وأكثر القواعد .

ثم ارتحلت في شهر ذي الحجة إلى كرك نوح عليه السلام ، وقرأت بها على المرحوم المقدس السيد حسن بن السيد جعفر جملة من الفنون . وكان ممّا قرأته عليه قواعد ميثم البحراني في الكلام ، والتهذيب في أصول الفقه ، والعمدة الجليلة في الأصول الفقهية من مصنفات السيد المذكور ، والكافية في النحو . وسمعت جملة من الفن وغيره من الفنون ثم انتقلت إلى جبع وطني الأول ، زمن الوالد ، في شهر جمادى الآخر سنة أربع وثلاثين (وتسع مئة) وأقمت بها مشتغلاً بمطالعة العلم والمذاكرة إلى سنة ٩٣٧ .

ثم ارتحلت إلى دمشق واشتغلت بها على الشيخ الفاضل المحقق الفيلسوف شمس الدين محمد بن مكي .

فقرأت عليه من كتب الطب شرح الموجز النفيسي ، وغاية القصد في معرفة الفصد، من مصنفات الشيخ المبرور المذكور، وفصول الفرغاني في الهيئة ، وبعض حكمة الإشراق للسهروردي ، وقرأت في تلك المدة بها على المرحوم الشيخ أحمد بن جابر الشاطبية في علم القراءات ، وقرأت عليه القرآن بقراءة نافع ، وابن كثير ، وأبي عمرو ، وعاصم .

ثم رجعت إلى جبع سنة ٩٣٨ ، وبها توفي شيخنا شمس الدين المذكور ، وشيخنا المتقدم الأعلى الشيخ علي في شهر واحد ، وهو شهر جمادى الأول . وكانت وفاة شيخنا السيد حسن سادس شهر رمضان سنة ٩٣٣ ، وأقمت بالبلدة المذكورة إلى تمام سنة ٩٤١ .

ورحلت إلى مصر في أول سنة ٩٤٢ لتحصيل ما أمكن من

العلوم ، واجتمعت في تلك السفرة بجماعة كثيرة من الأفاضل . فأول اجتماعي بالشيخ شمس الدين بن طولون الدمشقي الحنفي ، وقرأت عليه جملة من الصحيحين ، وأجازني روايتهما، مع ما يجوز له روايته في شهر ربيع الأول من السنة المذكورة .

وكان وصولي إلى مصر يوم الجمعة منتصف شهر ربيع الآخر من السنة المتقدمة ، واشتغلت بها على جماعة :

(منهم) : الشيخ شهاب الدين أحمد الرملي الشافعي ، قرأت عليه منهاج النووي في الفقه ، وأكثر مختصر الأصول لإبن الحاجب ، وشرح العضدي مع مطالعة حواشيه ، منها : السعدية والشريفية . وسمعت عليه كتباً كثيرة في الفنون العربية والعقلية وغيرهما .

فمنها شرح التلخيص المختصر في المعاني والبيان لملا سعد الدين ، ومنها شرح تصريف العربي ، ومنها شرح الشيخ المذكور لورقات إمام الحرمين الجويني في أصول الفقه ، ومنها أذكار النووي ، وبعض شرح جمع الجوامع المحلّي في أصول الفقه ، وتوضيح ابن هشام في النحو ، وغير ذلك مما يطول ذكره ، وأجازني إجازة عامة بما يجوز له روايته سنة ٩٤٣ .

(ومنهم) الملاّ حسين الجرجاني ، قرأنا عليه جملة من شرح التجريد للملاّ علي القوشجي ، مع حاشية ملاّ جلال الدين الدواني ، وشرح أشكال التأسيس في الهندسة لقاضي زاده الرومي ، وشرح الجغميني في الهيئة ، له .

(ومنهم) الملا محمد الأسترابادي ، قرأنا عليه جملة من المطول ، مع حاشية السيد الشريف ، والجامي ، شرح الكافية .

(ومنهم) الملا محمد الكيلاني ، سمعنا عليه جملة من المعاني والمنطق .

(ومنهم) الشيخ شهاب الدين بن النجار الحنبلي ، قرأت عليه جميع شروح الشافية فيه للجاربردي ، وجميع شرح الخزرجية في العروض ، والقوافي للشيخ زكريا الأنصاري ، وسمعت عليه كتباً كثيرة في الفنون ، والحديث ، منها : الصحيحان . وأجازني جميع ما قرأت وسمعت ، وما يجوز له روايته . في السنة المذكورة .

(ومنهم) الشيخ أبو الحسن البكري ، سمعت عليه جملة من الكتب في الفقه والتفسير ، وبعض شرحه على المنهاج .

(ومنهم) الشيخ زين الدين الحري المالكي ، قرأت عليه ألفية ابن مالك .

(ومنهم) الشيخ المحقق ناصر الدين اللقاني المالكي ، محقق الوقت ، وفاضل تلك البلدة .

لم أر بالديار المصرية أفضل منه في العلوم العقلية والعربية . سمعت عليه البيضاوي في التفسير ، وغيره من الفنون .

(ومنهم) الشيخ ناصر الدين الطلاوي الشافعي . قرأت عليه القرآن بقراءة أبي عمرو ، ورسالة في القراءات ، من تأليفاته .

(ومنهم) الشيخ شمس الدين محمد أبي النجا النحاس ، قرأت عليه الشاطبية في القراءات ، والقرآن العزيز للأئمة السبعة ، وشرعت ثانياً أقرأ عليه للعشرة ، ولم أكمل الختم بها .

(ومنهم) الشيخ الفاضل الكامل عبد الحميد السمهوري . قرأت عليه جملة صالحة من الفنون وأجازني إجازة عامة .

(ومنهم) الشيخ شمس الدين محمد بن عبد القادر الفرضي الشافعي ، قرأت عليه كتباً كثيرة في الحساب الهموائي والمرشد في

حساب الهند الغباري . والياسمينية وشرحها في علم الجبر والمقابلة ، وشرح المقنع في علم الجبر والمقابلة ، وسمعت عليه بعض شرح الوسيلة ، وأجازني إجازة عامة .

وسمعت بالبلد المذكور من جملة متكثرة من المشائخ يطول الخطب بتفصيلهم ، ومنهم الشيخ عميرة ، والشيخ شهاب الدين بن عبد الحق ، والشيخ شهاب الدين البلقيني ، والشيخ شمس الدين الديروطي ، وغيرهم .

ثم ارتحلت من مصر إلى الحجاز الشريف سابع عشر شهر شوال سنة ٩٤٣ ، ورجعت إلى وطني الأول بعد قضاء الواجب من الحج والعمرة ، والتمتع بزيارة النبي وآله وأصحابه صلوات الله عليهم ، ووصلت رابع عشر شهر صفر سنة ٩٤٤ ، وأقمت بها إلى سنة ست وأربعين . .

وسافرت إلى العراق لزيارة الأئمة عليهم السلام ، وكان خروجي سابع عشر شهر ربيع الآخر سنة ٩٤٦ ، ورجوعي خامس عشر شعبان منها .

وسافرت لزيارة بيت المقدس منتصف ذي الحجة سنة ٩٤٨ ، واجتمعت في تلك السفرة بالشيخ شمس الدين بن أبي اللطف المقدسي ، وقرأت عليه بعض صحيح البخاري ، وبعض صحيح مسلم ، وأجازني إجازة عامة .

ثم رجعت إلى الوطن الأول المتقدم ، وأقمت به إلى أواخر سنة إحدى وخمسين (وتسع مئة) مشتغلاً بمطالعة العلم ، ومذاكرته ، مستفرغاً وسعي في ذلك .

ثم برزت إليّ الأوامر الإلهية ، والإشارات الربانية ، بالسفر إلى

جهة الروم ، والإجتماع بمن فيها من أهـل الفضائـل والعلوم ، والمتعلق بسلطان الوقت والزمان ، السلطان سليمان ابن عثمان .

وكان ذلك على خلاف مقتضى الطبـع ، ومساق الفهم ، ولكن مـا قـدر لا تصل إليـه الفكـرة الكليلة والمعـرفـة القليلة من أسـرار الحقـائق وأحوال العواقب .

والكيس المـاهر هـو المستسلم في قبضة العـالم الخبير القـاهـر . الممتثـل لأوامره الشـريفة ، المنقـاد إلى طاعتـه المنيفة . كيف لا ؟ . . . وإنّما يأمر بمصلحة تعود على المأمـور ، مع اطـلاعه على دقـائق عواقب الأمور ، وهو الجواد المطلق ، والرحيم المحقق .

والحمد لله على إنعامه وإحسانه وامتنانه .

والحمد لله الذي لا ينسى من ذكره ، ولا يهمل من غفل عنه ، ولا يؤاخذ من صدف عن طاعته بل يقوده إلى مصلحته ، ويوصله إلى بغيته .

وكان الخروج إلى السفـر المذكـور بعد بـوادر الأمر بـه ، والنواهي عن تركه ، والتخلف عنه ، وتأخيره إلى وقت آخر ، ثـاني عشر شهـر ذي الحجة الحرام سنة ٩٥١ .

وأقمت بمـدينة دمشق بقيـة الشهر ، ثم ارتحلت منهـا إلى حلب . ووصلت إليها يوم الأحـد سادس عشـر شهر المحـرم سنة ٩٥٢ ، وأقمت بها إلى السابع من شهر صفر من السنة المذكورة .

وكان وصولنا إلى مدينة قسطنطينية يوم الإثنين سابع عشر من شهـر ربيع الأول من السنة السابقة ، وهي سنة ٩٥٢ .

ووفّق الله لنا منزلاً حسناً وقفاً ، من أحسن مساكن البلد ، قريباً إلى جميع أغراضنا .

وبقيت بعد وصولي ثمانية عشر يوماً لا أجتمع بأحد من الأعيان . ثم اقتضى الحال أن كتبت في هذه الأيام رسالة جيدة . تشتمل على عشرة مباحث جليلة ، كل بحث في فن من الفنون العقلية والفقهية ، والتفسير ، وغيرها . وأوصلتها إلى قاضي العسكر ، وهو محمد بن قطب الدين بن محمد بن محمد بن قاضي زاده ، الرومي . وهو رجل فاضل أديب ، عاقل لبيب ، من أحسن الناس خلقاً ، وتهذيباً وأدباً ، فوقعت منه موقعاً حسناً ، وحصل لي ، بسبب ذلك ، منه ، حظ عظيم .

وأكثر من تعريفي والثناء عليَّ للأفاضل .

واتفق في خلال المدة بيني وبينه مباحثة في مسائل كثيرة من الحقائق .

وفي اليوم الثاني عشر من اجتماعي ، أرسل إليَّ الدفتر المشتمل على الوظائف والمدارس . وبذل لي ما اختاره ، وأكد في كون ذلك في الشام أو حلب .

فاقتضى الحال أن اخترت منه المدرسة النورية ببعلبك ، لمصالح وجدتها ، ولظهور أمر الله تعالى بها على الخصوص .

[فأعرض] لي بها إلى السلطان سليمان ، وكتب لي بها براءة ، وجعل لي لكل شهر ما شرطه واقفها السلطان نور الدين الشهيد .

واتفق من فضل الله سبحانه ، ومنّه لي في مدة إقامتي بالبلدة المذكورة من الألطاف الإلّهية والأسرار الربانية ، والحكم الخفية ، ما يقصر عنه البيان ، ويعجز عن تحريره البنان ، ويكل عن تقريره اللّسان فله الحمد المنة ، والفضل والنعمة على هذا الشأن . ونسأله أن يتم علينا منه الإحسان ، إنه الكريم الوهّاب ، المنان .

وكانت مدة إقامتي بمدينة قسطنطينية ثلاثة أشهر ونصفاً .

وخـرجت منهـا يـوم السبت ، حـادي عشـر شهـر رجب في السنـة المذكورة ، وعبرت البحر إلى مدينة اسكدار ، وهي مدينة حسنة جيـدة ، صحيحـة الهواء ، عـذبة المـاء ، محكمة البنـاء ، يتصل بكـل دار منهـا بستـان حسن يشتمل على الفـواكه الجيـدة العطرة على شـاطيء البحر ، مقابلة لمدينة قسطنطينية ، بينهما البحر خاصة ، وأقمت بها أنتظر وصـول صاحبنا الشيخ حسين بن عبد الصمد ، لأنه احتـاج إلى التأخـر عني تلك الليلة .

وكـان خـروجنـا من اسكـدار متـوجهين إلى العـراق ، يـوم السبت لليلتين خلتـا من شهر شعبـان ، واتفق أن طريقنـا إليها هي الـطريق التي سلكناها من سيواس إلى اصطنبول .

ووصلنا إلى مدينـة سيواس يـوم الإثنين لخمسٍ بقين من شعبان ، وخرجنا منها يوم الأحد ، ثاني شهر رمضان ، متوجهين إلى العراق ، وهو أول ما فارقناه من الطريق الأولى ، وخرجنا في حـال نزول الثلج ، وبتنـا ليلة الإثنين أيضاً على الثلج ، وكانت ليلة عظيمة البرد .

وانتهينا بعد أربعة أيام من اليوم المذكـور إلى مدينـة ملطية ، وهي مدينة لطيفة ، كثيرة الفواكه ، تقرب من أصل منبع الفرات . ومررنـا بعد ذلك بمدينة لطيفة تسمى أزغين ، وهي قريبة من منبع الدجلة .

وكـــان وصـولنـــا إلى المشهـد المقـــدس ، المبـرور ، المشـــرف بالعسكريين ، بمدينة سامراء ، يوم الأربعاء رابع شهر شـوال ، وأقمنا بـه ليلة الخميس ويومه ، وليلة الجمعة .

ثم توجهنا إلى بغداد ، ووصلنا إلى المشهـد المقدس الكـاظمي ، يوم الأحد ، ثامن الشهر ، وأقمنا إلى يوم الجمعة . وتوجهنـا ذلك اليـوم لـزيارة ولي الله تعـالى سلمان الفـارسي ، وحذيفـة بن اليمان ، رضي الله عنهما .

ورحلنا منه إلى مشهد الحسين عليه السلام ، ووصلنا يوم الأحد ، منتصف الشهر المذكور ، وأقمنا به إلى يوم الجمعة .

وتوجهنا منه إلى الحلة ، وأقمنا بها إلى يوم الجمعة ، وتوجهنا منها إلى زيارة القاسم ، ثم إلى الكوفة ، ومنها إلى المشهد المقدس الغروي ، ووصلنا إليه يوم الأربعاء ، ثالث شهر ذي القعدة الحرام ، وأقمنا به بقية الشهر .

وكان خروجنا من المشاهد الشريفة بعد أن أدركنا زيارة عرفة بالمشهد الحائري ، والغدير بالمشهد الغروي ، والمباهلة بالمشهد الكاظمي ، سابع عشر شهر ذي الحجة الحرام من السنة المتقدمة .

ولم يتفق لنا الإقامة لإدراك زيارة عاشوراء ، مع قرب المدة ، لعوارض وقواطع منعت من ذلك . والحمد لله على كل حال .

واتفق وصولنا إلى البلاد منتصف شهر صفر سنة ٩٥٣ ، ووافقه من الحروف بحساب الجُمل « خير معجل » . وهو مطابق للواقع .

أحسن الله خاتمتنا بخير ، كما جعل بدايتنا إلى خير ، بمنّه وكرمه .

ثم أقمنا ببعلبك ، ودرّسنا فيها مدة في المذاهب الخمسة ، وكثيراً من الفنون .

وصاحبنا أهلها على اختلاف آرائهم أحسن صحبة ، وعاشرناهم أحسن عشرة . وكانت أياماً ميمونة ، وأوقات بهجة ، ما رأى أصحابنا في الأعصار مثلها .

ثم انتقلنا عنهم إلى بلدنا بنية المفارقة امتثالاً لأمر إلٓهي سابقاً في المشاهد الشريفة ، ولاحقاً ، في المشهد الشريف ، مشهد شيث عليه السلام .

وأقمنا في بلادنا إلى سنة خمس وخمسين (وتسع مئة) ، مشتغلين بالدرس والتصنيف[1] . (انتهى) .

أرأيتم إلى هـذا الإختصـار المفيـد ؟ . . وإلى اعتمـاد التـأريـخ للتقييد ؟

● وإن حُقَّ لنـا أن نتوقف قليـلاً ، فعند هـذه الإشارات الإلّهيـة ، والألطاف الربـانية ، والسـوانح الـرحمانيـة . فكان الشهيـد ، رضوان الله وسلامه عليه ، يصدع بما أمره الله ، بالقول منه والفعل ، وقـد سلّم أمره إليـه ، في حل لـه ، وترحـال ، ولا يبـالي فلله الأمـر كلّه ، من قبـل من بعد ! . .

لقـد هام بـالله عشقاً ، وذاب بـه حبـاً ! . فكـان بين يـديـه تعـالى كالسهم في كبد قـوس الرامي ، له أن يحبسه ما شاء ، أو ينزعه متى يريد ، أو يطلقه حين يرى أن يطلقه ! . .

● وشيء آخر نفيده من هذه السيرة الذاتية العجلى ، ويتجلّى بمـا تحملـه من معلومـات وثـائقيـة قيمـة عن أحـوال العصـر الإجتمـاعيـة والسيـاسيـة ، وعن المـدارس العلميـة منـه وطـريقـة التـدريس ، ومنـح البـراءات العلمية ، والإجـازات في الروايـة والتـدريس والفتيـا ، إلى مـا هنالك . ولا مجال هنا للإستقصاء في ذلك كله ، والتوسـع فيه ، مكتفين بالإشارة دون الإسهاب وفي سيرة الشهيد الذاتية ما فيه الغناء كله .

● وشيء آخر نستشفه بين السطور : إنه تواضع الشيـخ الشديـد ، وكأنه الفتاة الحيية الخفرة تحذر حذراً شديداً أن يشار إليهـا ببنان . أو أن يلهج بذكرها لسان .

---

(١) عن : كشف الريبة (المقدمة) : ٢٠ ـ ٢٧ .

فهو ـ قدس الله سره ـ لم يشر إلى نفسه ، لجهة حفاوة الغير به ، أو التقدير الذي لاقاه في كل محفل ، من قريب ، أو بعيد . فكان كالظل في حركاته وسكناته ، وغدواته وجيئاته . وإنه لكذلك ! .

فهو الظل لإرادة الله تعالى : تومىء إليه من بعيد أن سر ، فيسير ! . .

أو تشده بخيطها العلوي ، أن قف فيقف ! . . .

أولم يرو عنه تلميذه محمد بن علي العودي بأنه كان ـ رضي الله عنه وأرضاه ـ ينقل الحطب في الليل لعياله ، ويُمضي ما تبقى من وقته بين تهجد في المسجد ، وتعبد ، وجلوس للتدريس ، وخلوة للتأليف والتحرير ؟ . . . هذا ، رغم ما كان يعانيه من خوف مضنٍ وتستر أحياناً .

فيا علماء هذا الزمان : اتقوا الله في الناس وفي أنفسكم ، وانظروا إلى السلف الصالح ، في مواقف لهم ، ومواقع ، أمام أنفسهم ، وأمام الناس ، وأمام خالقهم ، وإلى أنفسكم : في مواقفها ، ومواقعها . . . وإنا لله وإنا إليه راجعون ! . . .

● وتبقى ملاحظة أخيرة ، وهي أن الشهيد الثاني في تآليفه وتدريسه ، كان مثال المربي القدير ، والعالم النفسي الخبير في تعاطيه مع طلابه على هذا الصعيد ، وذلك قبل أن يسمع شرق وغرب بعلم التربية الحديث المستند على علم النفس . في « منية المريد » آداب المعلم ، والمتعلم ، وتعاطي التعليم ، والكتابة ، والكتب . . وريادة في التربية الحديثة ، وعلم النفس ، تدعو إلى الإندهاش . وتؤكد بوثائقيةٍ وثيقة أن العرب المسلمين سباقون في هذا المضمار . وروّاد هذا الميدان دون منافس ! . .

نهـايته : هنـاك إجمـاع على أن السبب الـرئيـس المبـاشـر لقتله ، رضوان الله عليه ، يُعزى إلى حكمه بين متخاصمين مثلا أمـامه . فقضى للذي له الحق .

فما كان من الخصم الآخر إلاّ أن خَفَّ مسرعاً إلى قاضي صيـدا . (الشيخ معروف) يشكو تعصب الشيخ زين الدين الطائفي ، وابتـداعه . وألقى الشيخ معروف (للواشي) أذنا صاغية وكتب إلى رستم باشا ـ وزير السلطان ـ دون تحقق من الأمر أو تثبت ، يؤلبه على الشيـخ زين الدين . وتبنّى الوزير هذا الأمر . فما انفك يسعى لدى السلطان ضده حتى انتهى الأمر بقتله ، رضي الله عنه ، عن عمر ناهز الرابعة والخمسين .

وكان مصرعـه ، وهو في طـريقه إلى القسـطنطينيـة من الحج كمـا تقول إحدى الروايات . وإنا لنراها واهية .

فالأصح عنـدنا أنـه ألقي القبض عليه في مكـة فحبس فيها أربعين يـوماً ، ثم سيق إلى القسـطنطينيـة مخفوراً ، حيث قتـل في الطريق على ساحل استانبول ، كما تقول رواية أخرى .

ويؤيـد هذا الـرأي عندنـا أن الشهيد الثـاني ، قـدس الله روحـه ، تخفى في بلدته عندما تأكدت له الـوشايـة به إلى مفتي صيـدا ، ثم خرج خائفاً يترقب ، متخفياً ، إلى الحج .

فليس لمثـل من في هـذا المـوقف من المـراقبـة ، والمـداهمـة ، والمطاردة ، أن يبرز إلى القسطنطينية يسلم نفسه إلى جلاديه .

وحمل رأس الشهيد إلى السلطان ، فغضب السلطان ، وأعلن أنـه أمر بحمله إليه حياً ، لا بقتله .

وبقي الجسد الطاهر مطروحاً ثلاثـة أيام . وتـطوع بعض التركمـان لدفنه ، وبنوا عليه قبة ، فعرف مقامه بمقام الميرزا زين الدين .

وانتقم الله من قاتله ، فقتل بأمر من السلطان . . جزاء ما اقترفت يداه الأثيمتان .

وهكذا انتهت حياة الشهيد زين الدين ، الذي عرف بالشهيد الثاني ، إذ سبقه إلى الشهادة أستاذه محمد بن مكي ، الذي كان الشهيد الأول ! . .

وتتتالى قوافل الشهداء ، . . وتتتابع موكباً اثر موكب ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

أما الكلمة الأخيرة حول مصرعه ، رضي الله عنه ، فتتلخص بأن السبب المؤدي لقتله والأسلوب الذي اتبع في ذلك ، كانا مظهرين من مظاهر ذلك العصر .

إنّه التعصب الذميم ، والهوى المردي . . .

أعاذ الله الإسلام ، منهما ، والمسلمين ! . .

صفاته :

ونستل من رسالة تلميذه ابن العودي بعض المقاطع التي تفي بالغرض ، وترسم لنا صورة واضحة المعالم عن الشهيد المقدس : نفساً وجسماً ، وعقلاً وخلقاً ، ومزايا وسجايا .

قال الطالب الفتى يصف أستاذه الشيخ :

« حاز من خصال الكمال محاسنها ومآثرها ، وتردّى من أصنافها بأنواع مفاخرها . .

كان شيخ الأمة وفتاها ، ومبدأ الفضائل ومنتهاها . ملك من العلوم زماماً، وجعل العكوف عليها لزاماً ، فأحيا رسمها ، وأعلى اسمها . . . ووزع أوقاته على ما يعود نفعه في اليوم والليلة .

هذا مع غاية اجتهاده في التوجه إلى مولاه ، وقيامه بأوراد العبادة حتى تكل قدماه ، وهو مع ذلك قائم بالنظر في أحوال معيشته على أحسن نظام ، وقضاء حوائج المحتاجين بأتمّ قيام . .

بلغ من كل فن منتهاه ، ووصل منه إلى غاية أقصاه .

أما الأدب فإليه كان منتهاه ، ورقي فيه حتى بلغ سماه ، وأما الفقه فقد كان قطب مداره ، وفلك شموسه وأقماره . . .

وأما المعقول فقد أتى فيه من الإبداع ما أراد ، وسبق فيه الأنداد والأفراد . . .

وأما علوم القرآن العزيز،وتفاسيره من البسيط والوجيز ، فقد حصل على فوائدها وحازها ، وعرف حقائقها ومجازها . . .

وأما الهيئة والهندسة ، والحساب والميقات ، فقد كانت له فيها يد لا تقصر عن الآيات .

وأما السلوك والتصوف ، فقد كان له فيه تصرف ، وأي تصرف ! . .

وبالجملة ، فهو عالم الأوان ومصنفه ، ومقرط البيان ومشنفه .

ولقد كان مع علو رتبته ، وسمو منزلته ، على غاية من التواضع ، ولين الجانب ، ويبذل جهده مع كل وارد ، في تحصيل ما يبتغيه من المطالب . . .

ولقد شاهدت منه سنة ورودي إلى خدمته أنه كان ينقل الحطب على حمارٍ في الليل لعياله ، ويصلي الصبح في المسجد ، ويشتغل بالتدريس بقية نهاره . . . وكان يصلي العشاء جماعة ، ويذهب لحفظ الكرم ، ويصلي الصبح في المسجد ، ويجلس للتدريس والبحث ،

كالبحر الزاخر ، ويأتي بمباحث غفِلَ عنها الأوائل والأواخر .

وكان شيخنا المذكور ، روَّح الله روحه ، مع ما عرفت ، يتعاطى جميع مهماته بقلبه وبدنه ، حتى ، لو لم تكن إلاّ مهمات الواردين عليه ، ومصالح الضيوف المترددين إليه ، مضافاً إلى القيام بأحوال الأهل والعيال ، ونظام المعيشة ، واتقان أسبابها ، من غير وكيل ، ولا مساعد ، يقوم بها .

وأمّا شكله ، فقد كان ربعة من الرجال في القامة ، معتدل الهامة . وفي آخر أمره ، كان إلى السمن أميل ، بوجهٍ صبيحٍ مدور ، وشعر سبط إلى الشقرة ما هو ، مع سواد العينين والحاجبين وكان له خال على أحد خديه ، وآخر على أحد جبينيه ، وبياض اللون ، ولطافة الجسم ، عبل الذراعين والسّاقين ، كأن أصابع يديه أقلام فضة .

إذا نظر الناظر في وجهه ، وسمع عذوبة لفظه ، لم تسمح نفسه بمفارقته ، وتسلّى عن كل شيء بمخاطبته .

تمتلىء العيون من مهابته ، وتبتهج القلوب لجلالته .

وأيم الله ، أنه لفوق ما وصفت ، وقد اشتمل من حميد الخصال على أكثر مما ذكرت[١] .

آثـاره :

كان الشهيد الثاني رضي الله عنه وأرضاه ، موسوعي المعرفة ، فكان دائرة معارف في رجل . .

أمّا تآليفه ، فقد اختلف في عددها .

---

(١) عن : كشف الريبة (المقدمة) : ١٥ ـ ١٩

فمن مدعٍ بأنها في حدود الألفي مؤلف ، . . إلى منتهٍ بها إلى حدود الستين ولا ريب بأن الرقم الأول يحمل غلواً كبيراً .

وقديماً كانوا يعدون الرسالة الوجيزة في حدود الصفحة أو الصفحتين ، مؤلَّفاً ، أو كتاباً .

أما آثاره التي انتهت إلينا ، فهي ، على سبيل الإجمال :

١ ـ منية المريد (في آداب المفيد والمستفيد) .

٢ ـ المسالك (في شرح شرائع الإسلام) .

٣ ـ الروضة البهية (في شرح اللمعة الدمشقية للشهيد الأول) .

٤ ـ روض الجنان (في شرح إرشاد الأذهان) .

٥ ـ منار القاصدين (في أسرار معالم الدين) .

٦ ـ غنية القاصدين (في معرفة اصطلاحات المحدثين) .

٧ ـ كشف الريبة (عن أحكام الغيبة) .

٨ ـ الشرائع والإرشاد .

٩ ـ غاية المراد (في شرح الإرشاد) .

١٠ ـ مختصر منية المريد .

١١ ـ المختصر النافع .

١٢ ـ فتاوى المختصر .

١٣ ـ تحقيق الإسلام والإيمان .

١٤ ـ تمهيد القواعد الأصولية والعربية .

١٥ ـ مختصر الخلاصة .

١٦ ـ فوائد خلاصة الرجال .

١٧ ـ كتاب الرجال والنسب .

١٨ ـ البداية في الدراية .

١٩ ـ الدراية وشرحها .

٢٠ ـ شرح شرائع المحقق الحلي .

٢١ ـ شرح الألفية : الكبير ، والوسيط ، والصغير .

٢٢ ـ منسك الحج الكبير .

٢٣ ـ منسك الحج الصغير .

٢٤ ـ رسالة في أسرار الصلاة (هذا الكتاب) .

٢٥ ـ رسالة مسكن الفؤاد عند فقد الأحبة والأولاد .

٢٦ ـ رسالة في العدالة .

٢٧ ـ رسالة في الإجتهاد .

٢٨ ـ رسالة في الولاية (وأن الصلاة لا تقبل إلا بها) .

٢٩ ـ رسالة في الإجماع .

٣٠ ـ رسالة في النية .

٣١ ـ منظومة في النحو ، وشرحها .

٣٢ ـ رسالة في شرح البسملة .

٣٣ ـ رسالة في تحقيق قوله تعالى : والسابقون الأولون . . .

٣٤ ـ رسالة في شرح قوله (ص) : الدنيا مزرعة الآخرة .

٣٥ ـ رسالة في أحكام الحبوة .

٣٦ ـ رسالة تشتمل على حكم صلاة الجمعة في حال الغيبة .

٣٧ ـ رسالة في الحث على صلاة الجمعة .

٣٨ ـ رسالة في الحج والعمرة .

٣٩ ـ رسالة في حكم المقيمين في الأسفار .

٤٠ ـ رسالة في طلاق الغائب .

٤١ ـ رسالة في تحريم طلاق الحائض الحاضر زوجها .

٤٢ ـ رسالة في جواز تقليد الميت .

٤٣ ـ رسالة في ميراث الزوجة .

٤٤ ـ رسالة في فنون الخلاف مع اللمعة .

٤٥ ـ رسالة في نجاسة البئر بالملاقاة وعدمها .

٤٦ ـ رسالة فيما إذا أحدث المجنب في أثناء غسل الجنابة حدثاً أصغر .

٤٧ ـ رسالة إذا تيقن الطهارة والحدث ، وشك في السابق منها .

٤٨ ـ رسالة في عشر مسائل مشكلة (ألفها في استانبول) .

٤٩ ـ المسائل الإستانبولية (في الواجبات العينية) .

٥٠ ـ سؤالات الشيخ أحمد ، وأجوبتها .

٥١ ـ سؤالات الشيخ زين الدين وأجوبتها .

٥٢ ـ جواب المسائل الشامية .

٥٣ ـ جواب المسائل النجفية .

٥٤ ـ جواب المسائل الخراسانية .

٥٥ ـ جواب المسائل الهندية . . .

طلابه :

توزع وقت الشهيد ـ إبان استقراره ، نوعاً ما ، كما مر ـ بين قضاء حاجاته اليومية ـ إذ كان يهتم ، رضي الله عنه ، اهتماماً شديداً ، أن يقضيها بنفسه ـ وصلاته وأوراده ، والتدريس ، إن في المدرسة التي أنشأها في بلدة جبع ، أو المدرسة النورية في بعلبك. وعلاوة على ذلك كله ، فقد خلف وراءه نخبة صالحة من العلماء الأفاضل ، الذين تتلمذوا على يديه ، ونالوا إجازاته . منهم :

ـ حسين بن عبد الصمد (والد البهائي) .
ـ علي بن زهرة الجبعي .
ـ محمد بن الشيخ محمد الحر .
ـ علي بن زين الدين (حفيد الشهيد الأول) .
ـ علي بن حسين الصائغ .
ـ محي الدين بن أحمد بن تاج الدين الميسي .
ـ محمد بن الحسين الحر المشغري .
ـ بهاء الدين العودي .

● **الكتاب** : موضوعه ، مصادره ، الإقتباس فيه ،ونتائج هذا الإقتباس .

لا بدّ لنا من التوضيح بادىء ذي بدء ، بأننا قد اعتمدنا في تحقيق هذه النسخة من كتاب (أسرار الصلاة) للشهيد الثاني نور الله مثواه ، على مصورة المخطوطة ، ضمن (مجموعة الرسائل) منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي .

وقد كتبت المخطوطة بخط واضح وأنيق ، وفي بعض صفحاتها حواش للأخوند ملا عبدالرسول،وشروحات قصار ، وتصحيحات بعضها ترجيحات .

أما كاتبها فالسيد محمد الحسيني . كتبها في سنة ١٣٠٩ .

وكتاب (أسرار الصلاة) الذي بين أيدينا ، رسالة بالأصل .

هكذا صنفه المؤلف ، وصنفه دارسوه . أما الهدف منه فتعليمي ، لا يبتغي غير وجه الله تعالى وذلك ، بعد أن عزّت مصادر العلم أيامذاك . وشحّت موارد المعرفة ، وانقطعت الكتب على قلّة من العلماء والمتعلمين ، يضنون بها ضناً شديداً ، ويحرصون عليها حرصاً كبيراً .

حول هذا الأمر يقول الشهيد الثاني ـ قدس الله سره ـ في رسالته ، متطرقاً إلى المصادر التي استقى منها معلوماته ، وموضوع هذه الرسالة ، وهدفه منها ، وموقعها من بعض رسائله المشابهة لها :

« وقد ذكرنا في هذه الرسالة نبذة من أسرارها (الصلاة) ، وزبدة من آدابها . .

وأكثرها قد وردت به النصوص عن أهل الخُصوص عليهم أفضل الصلوات ، وأكمل التحيات . وبمراعاتها يترقى العامل من مدارجها إلى معارج الأسرار والتجليات .

وهذه االأمور ، وإن كانت متفرقة في تضاعيف النصوص ، وكلام الكاملين من العلماء العاملين ، لكن ، لا يكاد يجتمع أطرافها إلّا عند قليل من الأماجد ، ولا يطلع على معادنها إلّا واحد بعد واحد . فشاركتهم في مثوبتها بجمع أطرافها ومبانيها وتهذيب ترتيبها ، وتقريب معانيها .

وصارت ، مع ذلك ، معززة للرسالتين الشريفتين اللتين اشتملت

إحداهما على واجبات الصلاة ، وهي (الألفية) ، والأخرى ، على مندوباتها ، وهي (النفلية) ، وهذه على أسرارها القلبية ، وسميتها بالتنبيهات العلية على وظائف الصلاة القلبية »[1] .

والعصر ـ كما نعلم ـ ، عصر جمع وتصنيف ، لا عصر ابتكار وتأليف .

والكتاب الذي بين أيدينا يندرج ضمن هذا الإطار العام في العلم والتعلم ، والتعليم .

وهكذا اقتصر دور الشهيد ، رضي الله عنه وأرضاه ، على التنسيق بين ما اجتمع بين يديه من مواد .

والمؤلف نفسه ، يعترف بذلك ، على استحياء .

فهو لا يحدد المصادر التي استقى منها المعلومات التي أودعها كتابه ، كما مر ، معتمداً في ذلك على تلميح كالرمز ، باستثناء الإشارة إلى أهل بيت النبوة المعصومين عليهم السلام . وهذا التلميح لا نراه يغني عن التصريح شيئاً ، الأمر الذي سيؤدي ، بالتالي ، إلى نتائج تعتريها بلبلة واضطراب ، كما سيتأكد لنا ذلك ، بعد حين .

ولب هذا الكتاب : أسرار الصلاة القلبية ، كما يركز المؤلف على ذلك .

وبالتالي ، فليس موضوعه فقهياً ، يخضع لمقاييس الفقه ، ومعايير أصوله ، ومنطوق أحكامه .

ولكنه ، موضوع قلبي ، من حيث القلب « لطيفة ربانية ، روحية ، يعبر عنها بالنفس ، تارة ، وبالروح ، تارة أخرى . . . » .

---

(١) مصور المخطوطة : ٣ .

فـإذا عرفنـا بأن قلب الإنسـان بين أصبعين من أصابـع الـرحمن ، يقلبه بهما كيفما يشاء . .

وبأنّ الروح «من أمر ربي » لم تتأطر ضمن أي أطر علمية ، أو غير علمية ، . .

إذا عرفنا ذلك كله ، وتأملناه بلحاظ البصيرة ، ونور القلب . أدركنا كم هو خطير هذا الموضوع ، الـذي لا يخضع لمقيـاس ، وكم هو دقيق هذا الأمر الذي لا يدرك بالحواس .

وسـادة هذا الضـرب من ضروب المعـرفـة ـ كمـا نعلم ـ هـم أهـل الحقيقة والعرفان ، والذوق واللطف ، وقليل ما هم ! . .

لا أهل الشطح المهووسون ! . .

ولا أهل الفقه الجامدون ! . .

ولكنهم الآخـذون من هـذا الفقـه ، والمعـطَونَ من ذلـك الـذوق اللطيف الرهيف ، معاً . . فتوصلوا بواسطتهما إلى المعرفة الحقيقية التي تقود بدورها إلى الإيمان المحض ، ويعزز الله ذلك في نفـوسهم بالـرؤيا الصالحة ، والإشـارات ، والإنخطافـات ، والأطياف، وومضـات النور ، والنقـر في الأذن ، والـوقـر في القلب ، والتسـديـد ، والتـأييـد . . . . فيزدادون إيماناً على إيمان ، ونوراً على نور . . .

وقد زادهم الله ، من لدنه ، هدىً على هدى ! . .

وهكذا يمضي العرفـاني على بينة من أمـره ، ومنهاج . . وثقـة مما هو فيه ، وما هو صائر إليه ، وفق برنامج شاءه الله له ، يُطبقه في حياته ، وعلى نفسه ، تطبيقاً دقيقاً ، صـارماً ، لا يحيـد عنه قيـد شعرة فـإلى الله عاقبةالأمور،وبيده مفاتيحها ومغالقها .

ولقائل أن يقول : ما علاقة ذلك كله في ما أنت فيه من شأن ؟ . .

وأجيب : إن لذلك وثيق العلاقة في ما نحن فيه .

وإن أسهبنا في ذلك شيئاً يسيراً ، فشرحاً لبعض محطات حياة المؤلف قدس الله سره . التي مرت فصولها منذ حين ، وتسليطاً للنور عليها ، مما يكشف دواعي رحلاته ، وقد تم معظمها تلبية لسوانح إشراقية ، واستجابة لإشارات إلّهية ، وإطاعة لأوامر ربانية ، يضيق عنها المقام ، ويعجز عن سبر كنهها الجنان ، ويكلّ عن الخوض فيها اللِّسان ، متذكرين ، بذلك ، قول الشاعر العربي القديم ، الذي طالما استشهد به حجة الإسلام الغزالي :

فكان ما كان ممَّا لست أذكره فظن خيراً ، ولا تسألْ عن الخبرِ

وهكذا نصل إلى ما نبتغي أن نصل إليه ، دون مواربة أو ارتياب . . .

فمترجَمُنا ، طيب الله ثراه ، كان ـ بالإضافة إلى كل ما اشتهر به في مجالات المعرفة ، وميادين العلم ـ عرفانياً ، من طراز رفيع ، له في هذا المجال الذوقي باع طويل ، وشأو بعيد ! . . .

وبالتالي ، فللعرفان ، في هذا الكتاب الذي نحن بصدد الكتابة عنه ، شأن جد خطير ، فالكتاب ، بمجمله ، من هذه الناحية ، لذوي القلوب الصافية ، والنفوس الشفافة ، والأذواق الرهيفة ، أو لمن يجاهد في الوصول إلى هذا المستوى من صفاء القلب وشفافية النفس ، ورهافة الذوق ، وتخليصها جميعاً من رينٍ ، وكدر ، وذلك بجلائها حتى تصبح كالمرآة صقلاً ! .

مصادر الكتاب :

إذا ألقينا نظرة عجلى على مضمون الكتاب ، نجد المؤلف يعتمد اعتماداً وثيقاً على :

١ ـ القرآن الكريم : فالمؤلف ، في هذا المجال ، لا يتخلى عن الإستشهاد بآي الذكر الحكيم في كل مناسبة ، داعماً رأيه ، مؤيداً برهانه ، موثقاً حجته .

وليس له إلّا أن يفعل ذلك .

﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ .

٢ ـ الحديث : سواء أكان الحديث قدسياً ، أم نبوياً ، أم إماميًّا . . والأخيران حديثا المعصوم ، لهما عند الإمامية القدر نفسه ، لا يتفاوتان . .

والمؤلف ، في استشهاده بحديث المعصوم ، يعنعن الحديث في أغلب الأحيان . وقليلاً ما يذكره ، دون إسناد ، ونادراً ما يذكر مصدر الحديث . .

والغالب ، في هذا كله ، تكثيف الإستشهادات ، من آي وحديث ، وكثيراً ما يأتي ذلك كله متتابعاً ، متلاحقاً ، يأخذ بعضه برقاب بعض ، وكأن المؤلف يبغي من وراء ذلك تأكيد المعنى ، وتقريره في ذهن القارىء ، وتثبيته في نفسه .

٣ ـ الأخبار : وهي في طبيعة الحال دون الحديث عدداً . وهي مؤيدة دائماً لما هو في صدده من عرض أو نقاش أو استنتاج ، ورامية أبداً إلى الوعظ والإرشاد ، والترغيب والترهيب ، في اسلوب تعليمي وعظي ، يتحول بموجبه صاحبه كأحد وعاظ المساجد ، أو خطباء الجمعات .

أما هذه الأحاديث والأخبار فمبعثرة في كتب الفقه والحديث ، وقد التقطناها من مظانها الخاصة والعامة حديثاً حديثاً ، وخبراً.خبراً . إلاّ ما ندر ، فأشرنا إليه في موضعه ! . .

٤ ـ مصباح الشريعة :

لم يترك المؤلف مناسبة تمر دون الإستشهاد بما قاله سادس أئمة أهل البيت عليهم السلام . والشهيد الثاني في استشهاده هذا ينقل الفصل بكامله عادة ، عن « مصباح الشريعة » . وقلما يكتفي بما دون الفصل .

ولن نطيل ، مدلّلين ، فقد أشرنا إلى ذلك في موضعه ، بكل وضوح .

فمصباح الشريعة مرجع للمؤلف أساسي وهام ، تحيطه هالة من قداسة ، وينضح بعبق الإمامة . فلآل محمد فصل الخطاب ! . .

٥ ـ عدة الداعي ، لأحمد بن فهد الحلي المتوفى ٨٤١ هـ : والكتاب بمجمله أخلاقي . . ونلاحظ فيه بأن الشهيد الثاني قدس الله سره قد التقط منه بعض الأحاديث والأخبار ، كما أنه استل منه بعض المقاطع ، وقد أشرنا إلى ذلك في مكانه من الكتاب .

٦ ـ إحياء علوم الدين :

من المعروف بأن أبا حامد الغزالي (توفي سنة ٥٠٥ هـ) أحد القمم الشوامخ ، والعلماء الأعاظم ، الذين تناولوا موضوع القلب الإنساني (بمعنى النفس والروح) وولجوا عالمه الرحب العميق ، وعادوا منه بنفيس الدر والجوهر .

بل نسمح لأنفسنا بأن نقول بأن صاحب « الإحياء » أعظم هؤلاء العلماء على الإطلاق ، وسيدهم دون منازع ! . . .

ولقـد اعترف لـه فضلاء الأقـدمين بـأسبقيتـه في هـذا المضمـار ، فأطلقوا عليه ، وحده ، لقب : حجة الإسلام ، وإنه لكذلك . فهو ، بين نظرائه ، رأس الذين حاولوا التوفيق ، في آخر مطافهم العلمي ، وجريهم وراء المعرفة ، بين الفقه والتصوف ، وصـولاً إلى العرفـان . فكان لـه ما أراد .

أمّـا مؤلَّفه القيم (إحيـاء علوم الـدين) ، فكـان لـه وقـع الحـدث الضخم في العـالم الإسـلامي في حينـه ، ممـا جعـل مؤلِّفـه على رأس المجددين في الإسلام .

وإننا لنجزم جـزماً مؤكـداً ، بأن الشهيـد رضي الله عنه ، قـد اطلع على هـذا السفر النفيس في إحـدى دور العلم التي قضى فيها ردحـاً من حياته ، باحثاً منقباً ، أو دارساً مستفيداً ، في دمشق أو القاهـرة . أو بأنـه تدارسه وبعض هؤلاء الشيوخ من أجلة العلماء الذين تطرق إلى ذكرهـم ، في سـرده لسيرة حيـاته ، كمـا سبق ، ومر معنـا ، آنفاً ، كمـا اطلع على غيره من مؤلفات الغزالي ، دون شك . ولقد تأثـر الشهيد رضي الله عنـه بالغزالي (كما تأثر بالغزالي أيضاً آخرون من مشاهير علماء الشيعة) .

فقد قضى الغزالي معظم حياتـه سائحـاً ، ينشد المعـرفة ، متـطلباً إياها ، حيثما شاء الله لها أن تكون ، حتى قذف الله النور في قلبـه ، فقر قراره ، وتفجر ، من ثمَّ ، صدره ، بعيون العلم تفجيراً ! . . .

وكذلك كان الشهيد الثاني .

فلقد كانت سيرة حياته سلسلة من الرحـلات العلمية ، في أصقـاع شتى من العالم الإسلامي فهـو أحد منهـومين لا يشبعان : طـالب علم ، وطالب مال ! . .

باستثناء بسيط ،هو أن «صاحب الإحياء» تدروش في بعض أيـامه ،

وتصـوف ، وطلق الدنيـا ، وساح في أرض الله ، ثم عـاد عن ذلك فيمـا بعد ! . .

أمّـا زين الدين الشهيـد ، فكان مهـاجراً إلى الله ، مـذ كان يـافعـاً أمرد ، يطلبه حثيثاً ، دؤوبـاً ، لايـني ، . . . في حلقات العلم ، وزوايـا المسـاجد ، ورفـوف المكتبات ، حتى تـوجه الله بتـاج السعـادة ، وكلله بإكليل الكرامة ، فاصطفاه إليه ، شهيداً سعيداً ! . .

الإقتباس عن الإحياء :

أكدنا منذ سطور بأن الشهيد الثـاني ، كرَّم الله مثـواه ، كان مـطلعاً على كتـاب (إحياء علوم الـدين) وغيره من مؤلفـات الغـزالي ، قبـل أن يصنف الكتاب الذي نحن بصدده الآن .

وقـد تأثـر ، رضي الله عنه ، لا بـآراء حجة الإسـلام ، وأفكـاره ، فحسب ، بل ، بتعابيره أيضاً ! .

ونزيد ، بل تجاوز ذلـك كلّه إلى الإغتراف من هـذا البحر المحيط دون حساب ، كما سبق وقلنا في بدايـة تحقيقنا للكتـاب . إذ اقتبس عنه الكثير الكثير ، لدرجة أنه كان عيالاً عليه .

ومأخذنـا الوحيـد على الشهيد المقـدس في هذا الأمـر ، هو عـدم إشارته إلى هذا الإقتباس من قريب أو بعيد ، فيخيل للقارىء بأن ما يقـرأ للشهيـد ، والصحيـح ، أن جـزءاً قليـلاً ، منـه ، للشهيـد ، والآخـر للغزالي .

ولقد تنبهنا لهذا الأمر الذي ما نظن أن أحداً فطن له من قبـل ، في حدود علمنا ، وقد نستثني العلامة العلم الفيض الكاشاني ، علماً بأن لنا عليه قدس الله سره ، الملاحظة نفسها ، وستأتي بعد قليل .

وتتبعنـا الشهيد في كتـابه (أسـرار الصلاة) الـذي أوكل إلينـا أمـر

تحقيقه ،وقمنا بمقارنة ما جاء فيه ، مع ما جاء في بابه في (إحياء علوم الدين) واستطعنا التوصل إلى إثبات أن حيزاً من هذا الكتاب ، كبيراً ، هو للغزالي مبنىً ومعنىً .

كما تأكد لنا بشكل قاطع ، أن الإقتباس الذي نتوقف عنده ملياً ، توزَّع على أربعة أوجه :

الأول : النقل الحرفي .

الثاني : النقل الحرفي ، مع شيء لا يذكر من بعض زيادة أو نقصان ، إنه نقل بتصرف .

الثالث : أخذ المعنى ، وإعادة صياغته من جديد .

الرابع : الإختصار . كاختصار فصل بكامله ، مع شيء من تصرف قليل .

وللتدليل على ذلك ، والتمثيل ، نطلب الرجوع إلى الكتاب ، فقد أشرنا إلى ذلك كله في مواضعه ، معتمدين * إشارة لذلك ، والحاصرتين [. . .] في الهامش للمقتبَسِ من كلام الغزالي ، مع تعيين موضعه من كتاب إحياء علوم الدين .

النتائج :

كم كنا نحبذ ونتمنى ألاَّ يقعَ علامتنا العظيم في هذا الإشكال ، فقد كان الأحرى به أن يشير إلى الإحياء ، أو صاحبه ، ولو من طرف خفي ، ولو باليسير من الإشارة . وقد تناول من الإحياء الكثير الكثير . وأقل ما كان ينبغي عليه أن يأتي على ذكره في مقدمة الكتاب كما فعل من بعده الفيض الكاشاني في كتابه الحقائق ، . . . كما كان يهتم بالإشارة إلى الإمام الصادق أو جملة من أتباع الإمام . وقد نقل عن (مصباح الشريعة) الكثير أيضاً .

وإننا إذ نطيل الوقوف أمام هذا الأمر ، ونؤكد عليه ، فلإزالة الشبهة التي خلفها الشهيد ، نهائياً ، على صعيد هذا الكتاب ، دون أن نقصد من وراء ذلك ، والله يشهد ، الطعن على أحد أعلام الإمامية ، وأوثقهم ، والذين لم يضنوا بدمائهم يبذلونها رخيصة في سبيل دعم عقيدتهم ، وما به يؤمنون .

فجزاهم الله عنا خير الجزاء ، وعن الإسلام ، خير ما أعدَّ الله لعباده الصالحين .

ونحن الذين نحيا على مائدة ما خلفوه لنا من معارف ولطائف وعلوم، ولكننا، عَلِمَ الله ، إذ نرفع الصوت عالياً في هذا الموقف ، فللحق ، والحق وحده ، لا نعدل به بدلاً ، ولا نرضى عنه عوضاً ، شأننا في ذلك ، شأن بعض قدماء علماء الحديث الذين قالوا بحرقة وأسف ، وهم في موقف كالذي نحن فيه :

« إننا لنرد شهادة قوم ، نرجو شفاعتهم يوم القيامة » .

ونحن من هذا القبيل ، . . وإننا لنعوذ بالله أن نكون من الظالمين ! . .

وإننا لنشعر شعوراً قوياً بأن آثاراً جمة ، وعواقب خطيرة تترتب على تجاهل شخص ما ، كلياً ، أو جزئياً ، سواء كان هذا التجاهل عن حسن نية أو سوء نية ـ وكلامنا في المطلق من القول ـ والأخطر من ذلك أن ينسب إنسان إلى نفسه ما ليس له ، أو يوحي بذلك ، أو يترك مجالاً للظن بذلك ، فلا يحصِّن ما يكتب بالوضوح الصراح ، معطياً كل ذي حق حقه ، إذ للزمن بعد ذلك فعله في نفوسٍ وفي عقول، وقد تعاقبت أجيال وأحقاب ، فتترسخ في أذهان الناس ما يُرى للوهلة الأولى بأنّه ثوابت ومسلَّمات ، بينما ليست ، في واقع الأمر ، من الحقائق في شيء .

ولن نطيل في التعميمات التي ما نبغي منها إلاّ توطئة لما نريد الوصول إليه ، وتمهيداً .

بل ، سنفقأ عين الشبهة في هذا الأمر ، ونقطع عقدة اللَّبس والإيهام .

فالحق أحق أن يُتَّبع ، ولو كان السبيل إليه حقلاً من الألغام ! .

وسنبرهن من خلال ثلاثة كتب بين أيدينا ، تناولت هذا الموضوع ، دون أن نتوقف إلاّ أمام ما يعنينا مباشرة حول ما قصدنا إليه ، مبينين الشبهة كيف تتحول إلى يقين ؛ والخَلَفَ ، كيف يمضي دون تحقق أحياناً ، على آثار السَّلف ؛ والقول ، كيف يُعْزَى إلى غير قائله ؛ والفكرَ ، كيف يُنْسَبْ إلى غير ذويه .

١ ـ الأنوار النعمانية للسيد نعمة الله الموسوي (توفي سنة ١١١٢ هـ) :

في هذا الكتاب[1] ، ينقل السيد نعمة الله الموسوي شطراً كبيراً من رسالة الشهيد الثاني ، رضي الله عنه ، معلِّقاً أحياناً ، ماضياً في شأنه وهو يقتبس أحياناً أخرى ، لا موضحاً مصدر نقله فحسب ، بل مزهواً به ، فخوراً . فالشهيد ، قدس الله سره ، من فحول علماء الإمامية ، وكبرائها العظام ، ولم يدر الموسوي ، رحمه الله ، بأن قسماً من منقولاته ، أساسياً وهاماً ، لا يمتُّ ، تأليفاً ، إلى الشهيد ، بصلة ! . . .

٢ ـ أسرار الصلاة (ت) : للحجة الشيخ ميرزا جواد ملكي التبريزي (توفي سنة ١٣١٣ هـ) :

يلتقي الكتابان في موضوع واحد ، ونسق في التأليف ، واحد ،

---

(١) الأنوار النعمانية : ٢/٣٤٢ ـ ٣٧١ (نور في الصلاة) .

حتى أنّهما اشتركا بالعنوان الواحد ، « أسرار الصلاة » .

يتوكأ التبريزي ، طيب الله ثراه ، في كتابه على سلفه الشهيد في كثير من المعاني والأفكار ، مقتبساً عنه الكثير بتصرف أحياناً ، دون الإشارة إلى مصدر اقتباسه ، كما :

« في الأحوال التي تكمل بها الصلاة ، ويحكم العقل بلزومها ، ووردت بها الشرائع ، وهي ستة :

حضور القلب ، والتفهم ، والتعظيم ، والهيبة ، والرجاء ، والحياء[١] .

وقد أخذها التبريزي عن الشهيد الثاني[٢] ، الذي أخذها بدوره عن الغزالي[٣] ، وكذلك فعل دستغيب في ما بعد في كتابه في الصلاة[٤] .

ويقع التبريزي في محذور آخر في نقله عن « حقائق » الفيض الكاشاني ، وما ينقل إلّا عن الغزالي في إحيائه .

ونجد أنفسنا أمام « صاحب المحجة » الذي قفّى على آثار سلفه الشهيد الثاني . ونقل عن الغزالي معظم ما أودعه « كتاب الحقائق » عن الصلاة[٥] .

ويمضي التبريزي مسترسلاً ، معللاً ، شارحاً أقوال الشهيد ، الذي (قال) ، معلقاً عليه بـ (أقول) حتى ص ١٨٥ ، وما يناقش إلّا أقوال

(١) أسرار الصلاة للتبريزي (ت) : ١٢٠ و ١٨٩ و ٢١٠ .
(٢) مصور المخطوطة : ١٢٠ .
(٣) الإحياء : ١/١٦١ ـ ١٦٣ .
(٤) صلاة الخاشعين . ٦٧ ـ ٦٨ .
(٥) الحقائق : ٢٢٥ ـ ٢٤٦

الشهيد[1] المنقول بعضها عن الغزالي ، والتي أشرنا إليها في موضعها من هذا الكتاب .

٣ ـ الآداب المعنوية للصلاة . تأليف آية الله الخميني نور الله مثواه ، تعريب وتعليق السيد أحمد الفهري :

والموضوع لا يزال واحداً ، غير أن الجانب العرفاني في هذا الكتاب ، أرقى منه في غيره من أمثاله من الكتب التي تعرضت لموضوعه ، وأسمى لجهة مراتب سلوك المريد ، وآداب هذا السلوك وأكثر شفافية ولطفاً .

أمّا الإشكال الذي نحن بصدده، هنا، فليس مصدره المؤلف، وهو أستاذ أساتيذ هذا الفن ، والقمة الأعلى بينهم ، ولكن السيد الفهري وقع في بعض تعليقاته في المحذور عينه الذي وقع فيه التبريزي السالف الذكر .

إذ نقل ، دون تثبت من صحة نقله عن الفيض الكاشاني في «الحقائق». فإن مقولة الفيض ، ليست في حقيقتها إلاّ اقتباساً شبه حرفي عن الغزالي[2] .

ونفاجأ ـ وما زلنا في باب تعليقات الشارح ـ بقوله :

قال بعض علماء الآخرة[3] : . .

ونتنفس الصعداء ! . . .

---

(١) التبريزي : في الأذان : ١٨٣ ـ ١٨٤ ، عن الشهيد : مصور المخطوطة : ١٩ .
التبريزي : في التشهد والتسليم : ٢٧٢ ، عن الشهيد : مصور المخطوطة : ٣٠ .
(٢) الآداب المعنوية : ٨٤ ـ ٨٧ ، عن الإحياء : ١/١٥٩ ـ ١٦٣ .
(٣) الآداب المعنوية : ١١٥ .

إذ أننا أمام إشارة وضيئة . .

وما المقصود بذلك ، إلّا الغزالي في إحيائه[1] .

ويتكرر التعبير عينه مرة أخرى[2] .

وما المعني بذلك إلّا الغزالي أيضاً .

وفي مناسبة أخيرة نقرأ مقطعاً طويلاً :

قال الشهيد الثاني : « أو تخشين الناس . . . وتقلبك في الساجدين[3] .

وما هو إلّا الغزالي الذي يقول[4] :

* * *

أرأيتم إلى المؤلف ، أو المصنف ، عندما يتجنب أحدهما التوضيح صريحاً ، ويطوي دونه كشحاً ، كيف ينعكس الأمر في آخر المطاف اضطراباً ، وبلبلة ، وشبهة ، ووقوعاً في محاذير ؟

هذا إذا كان المؤلف أو المصنف عادياً ، ومن أوساط الكتاب ، . .

فكيف يكون الأمر ، إذاً ، إذا كان ثقة لا ترقى إلى عدالته ، وفقاهته الظنون ، ولا تشير إلى أمانته ، ونزاهته ، بل ، إلى تقواه ، بنان بمغمز ، ولا إشارة بمطعن ؟ . . .

كشهيدنا المقدس رضي الله تعالى عنه وأرضاه ! . . .

---

(١) الإحياء : ١/١٢٥ـ١٢٦ .

(٢) الآداب المعنوية : ٢٧٧ ـ ٢٧٨ .

(٣) المصدر السابق . صورة المخطوطة : ٢٢

(٤) الإحياء : ١/١٦٦ و١٦٨ و ١٦٩ .

وقلبنا الأمر على وجوهه . فمتى كانت الأمانة العلمية لا يأبه لها أجلّاء العلماء ، وتقاتهم الصالحون ؟ وكنا نتحرج ، ولا نظن إلّا خيراً . . فالصمت خير من الرجم بالغيب ، والتأني المكدي خير من التقحم المردي ! واتهمنا أنفسنا بالقصور عن إدراك الأبعاد في ذلك والغايات ، وقد انتهينا إلى أن الأمر لا بعدو كونه سوء تقدير من الشهيد الثاني ، ما لبث أن أفسح في المجال واسعاً أما سوء الفهم، والإدرك . فكان مثال ذلك مثال الخط المنحرف انحرافاً لا يؤبه له ، وقد بدأ بثانية من درجة زاوية ، لا تراها العين المجردة ، لينتهي فيما بعد بانحراف خطير ! . .

وحاولنا الإطمئنان إلى ذلك ، والقناعة به والرضا ، ـ على بساطته وسذاجته ـ ولكن ، شاء الله تعالى أن يُبْدِلنا ـ على هذا الصعيد ـ القناعة بالاقتناع ، والرضا بالثقة ، والإطمئنان القار !

فخلال تصفحنا لآثار الغزالي ، وقعنا في إحدى رسائله على الجواب . .

ولطالما أمضّنا التساؤل ، وأقلقنا الإستفسار ! . .

أما الرسالة ، فهي (منهاج العارفين) ، ضمن مجموعة (القصور العوالي من رسائل الإمام الغزالي) .

ففي مطالعتنا لهذه الرسالة ، وقعنا على ما أثار منا عَجَباً ! . .
فها هوذا الغزالي يقتبس بدوره ، وينقل ، على هواه ، أيضاً ! .
ـ وعمّن ؟ . .

ـ عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام في كتابه الفذ (مصباح الشريعة) ، دون أدنى إشارةٍ أو تلميح من قريب أو بعيد إلى الإمام أو كتابه .

إنه ، إذاً ، الجواب ! . .

فلا نخال الشهيد الثاني قدس الله سره إلّا أنه قد توصّل من خلال اطلاعه على آثار أبي حامد الغزالي إلى ما توصلنا إليه .

ونظن ظناً قوياً ، هو إلى اليقين أقرب منه إلى الظن ، بأن الشهيد الثاني ـ عطّر الله مرقده ـ قد اطلع بالضبط على رسالة الغزالي (منهاج العارفين) ، فالرجل من طلاب المعرفة وناشدي العرفان ، أنّى كانا . .

واسترعى انتباهه ـ كما استرعى انتباهنا ـ عدم تحرج الغزالي في نقله ، فلم يُرجع القول إلى مصدره ، ويرده إلى أصله . . .

وراعه ـ كما راعنا ـ الإغفال التام ، عن سابق قصدٍ وتصور وتصميم ، لذكر الإمام الصادق عليه السلام ؛ بينما على أقواله ـ كما سنثبت ذلك لاحقاً ـ ، تقوم دعائم الرسالة الآنفة الذكر ، وبنيانها ، فلم يهتم أبو حامد بها ، كما اهتم في ما عدا ذلك ، بإثبات كل قول لقائله : (أبو يزيد البسطامي ، يحيى بن معاذ ، أبو الحسين الوراق ، داوود الطائي ، الفضيل ، محمد بن علي بن الساكن . . .) وجميعهم من أولياء الله تعالى وعباده الصالحين .

وإني لأتصور الشهيد الثاني رضوان الله عليه ، في هذا المقام ، وقد تميز غيظاً ، فعقد العزم على موقف مماثل ، وردٍ من جنسه ، وعلى المستوى ذاته . . .

فكانت رسالته ـ فيما بعد ـ أسرار الصلاة ، وقد اقتبس فيها عن الغزالي ما طاب له ، مغفلاً ذكره ، وذكر من عداه أيضاً ، ممن استشهد بأقوالهم أبو حامد الغزالي .

· إنّها واحدة بواحدة ، والبادىء أظلم ! . .

أما وقد توصلنا إلى هذا التفسير ، والتعليل ، واطمأننا إليهما ، . . فنحمد الله تعالى على ما هدانا ، فحبانا من برد اليقين ، ونعمة التثبت ، والإشاحة عن ضلالة الهوى ، ومزالق الزيغان ، وقد تأكد لدينا بأننا أمام فحلين يتصاولان ، لا ولدين يتلاعبان ! . .

وهاكم الدليل على صحة دعوانا ، والبرهان ، كما يبينه البيان التوضيحي التالي ، مع الإهتمام باقتصار الإستشهادات المتمثلة بأقوال الإمام جعفر الصادق عليه السلام ، في الصلاة وشروحها فقط ،كما وردت في رسالة الشهيد الثاني (أسرار الصلاة) ،بعد عرضها على (مصباح الشريعة) وتدقيقها ، وما يقابلها من أقوال أبي حامد الغزالي في رسالة (منهاج العارفين) ، ضمن مجموعة (القصور العوالي من رسائل الإمام الغزالي) في الموضوع ذاته ، لا يحدونا في ذلك غير تبيان الحق والحقيقة ، وعلى الله قصد السبيل :

الباب	قول الصادق :	أسرار الصلاة صفحة .	قول الغزالي .	منهاج العارفين (القصور العوالي) صفحة :
في أسرار الطهارة (الطهارة)	. . وتفكر في صفاء الماء، ورقته، وطهوره، وبركته، ولطيف امتراجه بكل شيء وفي كل شيء واستعمله في تطهير الأعضاء التي أمرك الله بتطهيرها . ولتكن صفوتك مع الله تعالى في جميع طاعتك كصفوة الماء حين أنزله من السماء، وسماه طهوراً وطهر قلبك بالتقوى عند طهارة جوارحك بالماء.	١٣	وإذا تطهرت فتفكر في صفوة الماء ورقته، وتطهيره، وتنظيفه. فإن الله تعالى جعله مباركاً، فقال: ﴿ونزلنا من السماء ماء مباركاً﴾ فاستعمله في الأعضاء التي فرض الله عليك تطهيرها ولتكن صفوتك مع الله كصفوة الماء . فاغسل به وجه قلبك عن النظر إلى غير الله تعالى	٨٦ ـ ٨٧
في أسرار ستر العورة (اللبس)	ازين اللباس للمؤمنين لباس التقوى. وأنعمه الإيمان. قال الله تعالى: ولباس التقوى ذلك خير. وخير لباسك ما لا يشغلك عن الله عز وجل بل، يقربك من شكره. وإذا لبست ثوبك فاذكر ستر الله تعالى عليك ذنوبك برحمته. . ولا تفتضح أحداً حيث ستر الله عليك أعظم منه واشتغل بعيب نفسك، واصفح عمّا لا يعنيك حاله وأمره	١٤ ـ ١٥	اللباس نعمة من الله على عبده يستر بها السترة. ولباس التقوى ذلك خير وخير لباسك ما لا يشغل سرك عن الله تعالى. فإذا لبست ثوبك، فاذكر محبة الله الستر على عباده فلا تفضح أحداً من الخلق، بعيب تعلمه منه. واشتغل بعيب نفسك، فاستره بدوام الإضطرار إلى الله تعالى في تطهيره.	٨٥

الباب	قول الصادق :	أسرار الصلاة صفحة.	قول الغزالي :	منهاج العارفين (القصور العوالي) صفحة :
	فإن نسيان الذنوب من أعظم عقوبة الله تعالى في العاجل، وأوفر أسباب العقوبة في العاجل		فإنّ العبد إذا نسي ذنبه كان ذلك عقوبة له.	
أسرار المكان والمصلّى (دخول المسجد)	إذا بلغت باب المسجد فاعلم أنك قصدت باب ملك عظيم، لا يطأ بساطه إلا المطهرون... وأحل قلبك من كل شاغل يحجبك عن ربك، فإنه لا يقبل إلا الأطهر والأخلص. فإن دقت من حلاوة مناجاته، ولذيذ مخاطباته، وشربت بكأس رحمته وكراماته، من حسن إقباله وإجاباته، فقد صلحت لخدمته. فادخل فلك الأذن والأمان. وإلاّ، فقف وقوف مضطر قد انقطع عنه الحيل، وقصر عنه الأمل. وقضى عليه الأجل. فإذا علم الله من قلبك صدق الإلتجاء إليه، ونظر إليك بعين الرأفة والرحمة، واللطف والعطف، ووفقك لما يحب ويرضى، فإنه كريم محب، يحب الكرامة لعباده المضطرين.	١٦	فإذا بلغت باب المسجد، فاعلم أنك قصدت بيت ملك عظيم قدره، لا يقبل إلا الطاهر، ولا يصعد إليه إلاّ الخالص، ففكر في نفسك: من أنت؟ ولمن أنت؟ وأين أنت؟ ومن أي ديوان يخرج اسمك؟ فإذا استصلحت نفسك لخدمته، فادخل فلك الإذن والأمان.. وإلاّ، فقف وقوف مضطر قد انقطعت عنه الحيل وانسدّت عليه السبل. فإذا علم الله من قلبك الإلتجاء إليه، أذن لك، فتكون أنت بلا أنت، والله يرحم عبده، ويكرم ضيفه، ويعطي سائله، ويبر المعرض عنه، فكيف المقبل إليه.	٨٧

الباب	قول الصادق :	أسرار الصلاة صفحـة :	قول الغزالي :	منهـاج العارفين (القصور العوالي) صفحة :
في أسرار القراءة (القراءة)	فـانـظر كيف تقرأ كتابـك، ومنشور ولايتك، وكيف تجيب أوامـره، وتجتنب نـواهيـه، وكيف تتمثل حدوده. . . فرتله تـرتيـلاً. وقف عنـد وعـده ووعيـده، وتفكـر في أمثـالـه ومواعظه، واحـذر أن تقع من إقـامتك حـروفـه في إضـاعـة حدوده.	٢٦ - ٢٧	وانظر كيف تقرأ كلامه وكتابه، فرتل وتدبر، وقف عنـد وعده ووعيـده، وأمثالـه ومواعـظه، وأمـره ونهيـه، ومـحكمـه ومتشـابهـه وإني لأخشى أن تكون إقامتك حدوده(!) غفلة من تضييعك حدوده	٨٨
في وظـائف الركـوع وأسراره (الـركـوع)	فاركع ركوع خاضع لله بقلبه، متذلل وجل تحت سلطانه. . . . واستوف ركوعك باستواء ظهرك. وانحطَّ عن همتك في القيام بخدمته، إلا بعونه.	٢٧	واركع ركوع خاشع لله بقلبه، خاضعاً له بجوارحه. واستوف ركوعك، وانحطَّ عن همتك في القيام بأمره فإنك لا تقـدر على أداء فـرضـه إلاّ بعونه.	٨٩
في وظـائف السجـود وأسـراره (السجـود)	فـاسجد سجود متـواضـع لله ذليل، علم أنه خلق من تراب تـطأه الخلق، وأنـه ركب من نطفة يستقذرها كل أحد. . . . وقـد جعـل الله معنى السجود التقرب إليه بالقلب، والسـر، والروح. فمن قـرب منه، بعد عن غيره.	٢٨ - ٢٩	واسـجـد لله سجـود عـبـد متـواضع، عَلِمَ أنـه خلق من تراب يطأه جميـع الخلق وأنه ركب من نطفة يستقذرها كـل أحد. . . وقـد جعـل الله السجـود سبب القـرب إليـه فقـال تعالى : ﴿واسجد واقترب﴾	٨٩

الباب	قول الصادق :	أسرار الصلاة صفحة :	قول الغزالي :	منهاج العارفين (القصور العوالي) صفحة :
	. . . فمن كان قلبه متعلقاً في صلاته بشيء من دون الله، فهو قريب من ذلك الشيء، بعيد عن حقيقة ما أراد الله منه في صلاته. . . . وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: قال الله تعالى: ما أطلع على عبدٍ فأعلم فيه حب الإخلاص لطاعتي لوجهي وابتغاء مرضاتي، إلاّ توليت تقويمه وسياسته. ومن اشتغل في صلاته بغيري، فهو من المستهزئين بنفسه، ومكتوب اسمه في ديوان الخاسرين.		فمن اقترب منه بعد عن كل شيء سواه. . . . واستغن بالله عن غيره، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: قال الله تبارك وتعالى: لا أطلع على قلب عبدٍ فأعلم فيه حب العمل بطاعتي، إلا توليت تقويمه وسياسته.	
في وظائف التشهد وأسراره (التشهد)	التشهد ثناء على الله تعالى. فكن عبداً له في السر، خاضعاً له في الفعل، كما أنك عبد له بالقول والدعوى. . . . فإنه خلقك عبداً، وأمرك أن تعبده بقلبك ولسانك وجوارحك. . . . قال الله عز وجل: ﴿وربك يخلق ما يشاء ويختار، ما كان لهم الخيرة	٣٠	والتشهد ثناء وشكر له. . . . فاخرج عن دعواك، وكن له عبداً بفعلك، كما أنت عبد له بقولك. فإنه خلقك عبداً. وأمرك أن تكون له عبداً كما خلقك. ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم وربك يخلق ما يشاء ويختار ما	٩٠

الباب	قول الصادق :	أسرار الصلاة صفحة :	قول الغزالي :	منهاج العارفين (القصور العوالي) صفحة :
	من أمرهم سبحان الله وتعالى عما يشركون﴾. فاستعمل العبودية في الرضا بحكمه، والعبادة في أداء أوامره. وقد أمرك بالصلاة على نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فأوصل صلاته بصلاته وطاعته بطاعته، وشهادته بشهادته.		كان لهم الخيرة ﴾ فاستعمل العبودية في الرضا بحكمته واستعمل العبادة في الزول تحت أمره . وصلِّ على حبيبه عقب الثناء عليه فإنه وصل محبته بمحبته، وطاعته بطاعته، ومتابعته بمتابعته	
في وظائف السلام وأسراره (السَّلام)	والسلام إسم من أسماء الله تعالى أودعه خلقه، ليستعملوا معناه في المعاملات والأمانات والإلصاقات وتصديق مصاحبتهم فيما بينهم. وصحة معاشرتهم.	٣٠	السلام إسم من أسماء الله تعالى أودعه الله خلقه ليستعملوا معناه في معاملته ومعاشرة خلقه.	٩١
أدب الدعاء (الدعاء)	إحفظ أدب الدعاء. وانظر من تدعو. وكيف تدعو، ولماذا تدعو. . . . قال بعض الصحابة لبعضهم: أنتم تنتظرون المطر بالدعاء، وأنا أنتظر الحجر. واعلم أنه لو لم يكن أمرنا بالدعاء، لكنا إذا أخلصنا	٣٢	واحفظ أدب الدعاء. وانظر من تدعو، وكيف تدعو، ولماذا تدعو وتسأل. قال مالك بن دينار: أنتم تستبطئون المطر وأنا استبطيء الحجر. ولو لم يأمر الله سبحانه بالدعاء، لوجب علينا أن	٩١ - ٩٢

الباب	قول الصادق :	أسرار الصلاة صفحة :	قول الغزالي :	منهاج العارفين (القصور العوالي) صفحة :
	الدعاء تعصل علينا بالإجابة فكيف وقد ضمن لمن أتى بشرائط الدعاء. سئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن إسم الله الأعظم، فقال: كل إسم من أسماء الله أعظم! . . فرغ قلبك عن كل ما سواه، وادعه بأي إسم شئت، فليس في الحقيقة إسم دون إسم، بل هو الله الواحد القهّار. وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إن الله لا يستجيب الدعاء من قلبٍ لاهٍ. فإذا أتيت بما ذكرت لك من شرائط الدعاء، وأخلصت سرك لوجهه، فأبشر بإحدى ثلاث. إما أن يعجل لك ما سألت. وإما أن يدخر لك ما هو أعظم منه، وإما أن يصرف عنك من البلاء ما لو أرسله عليك لهلكت. . . . قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال الله تعالى: من شغله ذكري عن مسألتي، أعطيته أفضل ما أعطي السائلين. قال الصادق: لقد دعوت الله تعالى مرة واحدة، فاستجاب لي ونسيت الحاجة.	.	تدعوه. ولو لم يشترط الإجابة، لكنا إذا أخلصنا له الدعاء تفضل بالإجابة، فكيف وقد ضمن لمن أتى بشرط الدعاء. وسئل أبو يزيد البسطامي عن إسم الله الأعظم فقال: فرغ قلبك من غيره، وادعه بأي أسمائه شئت. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا يستجيب الله الدعاء من قلبٍ لاهٍ. فإذا أخلصت، فابشر بإحدى ثلاث: إما أن يعجل لك ما سألت، وإما أن يصرف عنك من البلاء ما لو صبه عليك لهلكت. روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: قال الله تبارك وتعالى: من شغله ذكري عن مسألتي، أعطيته أفضل ما أعطي السائلين وقال أبو الحسين الوراق: دعوت الله مرة فاستجاب دعائي فنسيت الحاجة.	

وبعد : فإن كلاً من الغزالي والشهيد الثاني غـامط حقاً ، ومغمـوط حقه ، كلاهما ظالم ومظلوم ، . . .

وقبلهمـا الإمـام الصـادق مغمـوط حقـه في مـا نحن فيـه ، وربمـا حقوقه ، معظمها ، على صُعُد أُخَر . .

● الغزالي غمط حق سادس أئمـة أهل البيت عليهم السـلام ، في ما أتى به في بعض كتبه ورسائله التي توكأ فيها على كتاب الإمـام الفذ : مصباح الشريعة ، مسرفاً في ما أخذ عنه .

● والشهيد الثاني غمط حق الغزالي في بعض مؤلفاته ، وقد أشرنا إلى ذلـك آنفاً في هـذه المقدمـة ، وسيلي تفصيـل ذلـك في ثنـايـا هـذا الكتاب ، وتضاعيفه .

● ويتتـالى فقهاء وكتـاب ، فيغمطون الشهيـد الثـاني حقـه ، وقـد أخذوا عنه بلا رخصة ، . . .

وهكـذا تختلط الأقـوال بعضهـا ببعض ، وينسب بعضهـا إلى غيـر قائلها ، وتعزى أفكار إلى غير أصحابها .

وهذا كله في عرفنا افتئات على حقـوق الآخرين ، وظلم ، وأمـانة علمية لم يرعها أصحابها حق رعايتها ، وقد أجـازوا لأنفسهم ما ليس لهم بحق ، واسترخصوا لها ما لا رخصة لهم فيه ! . . .

فانتهى الأمر بنـا إلى وكأننـا أمام بيـدر كبير ، اختلطت فيـه الحنطة بالشعير وبالزؤان . . .

فأين المنقون ؟

وأين المحصحصون ؟ . .

وإذ نـرجو شيئـاً فـأن يكـون مـا قمنـا بـه من تحقيق هـذا الكتـاب

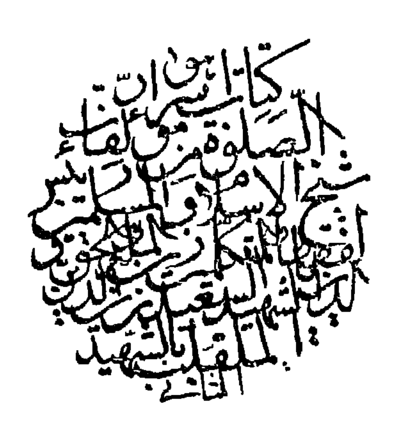
المبارك ، بادرة رائدة على هذا الصعيد ، وبداية لأعمالٍ تترى لاحقة ، وهادفة إلى أن تعطي ما لقيصر لقيصر ، وما لله لله !. . وأن نكون قد فتحنا بهذا العمل الهادف ، المتواضع ، أمام ذلك ، الباب !. . .

﴿ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إنْ نَسِينَا أوْ أخْطَأْنَا ، ربَّنا وَلاَ تحْمِلْ عَلَينا إصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذين مِنْ قَبْلِنَا ، رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ ، واعْفُ عَنَّا ، واغْفِرْ لَنَا ، وارْحَمْنَا ، أنْتَ مَوْلاَنَا فَانْصُرْنَا عَلَى القَوْمِ الكافِرِينَ ﴾ .

صدق الله العظيم .

محمد علي قاسم .

بيروت . في : ١٩٨٩/٧/٧ .



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مطلع من اختاره من عباده الابرار على حقايق الاسرار ومودع قلوب صفيائه من لطائف
المعارف ما تحار فيه البصائر والابصار وجاعل القلوب سببا للنجاة وموضعا للمناجاة
والمبار وذريعة الى ارتفاع الدرجات وتفاوت مراتب العبادات في قبول طوالع الانوار
من مطالع المسار وفتح بمفاتيح الغيوب اقفال القلوب لمن شاء واختار ورفع حجب السرائر
وجلا ابصار البصائر ففهمت الاشارات ورفعت الاستار فقد مشت في مبادي اشراق
نوره الاحداق والانظار والصلوة على نبيه وحبيبه ومعدن سره محمد النبي المختار وعلى
آله الائمة الابرار وصحبه الاخيار صلوة دائمة بدوام الليل والنهار وبعد فان روح
السعادة وبهجتها وروح العبادة ومهجتها وموجب تلقيها بايدي القبول والاحسان ومضاعفة
الثواب بها في دار الجنان والتسبب بها الى ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب
بشر والانتساب بها الى عالم الملكوت والملائكة الغر وتلقي الفيض من عالم الغيب والشهادة
وايجاب القليل منها العظيم الزيادة انما يتم بالاقبال بالقلب في افعالها وحركاتها وسكناتها
على الله تعالى والتفكر في اسرارها وتقلب النفس في حالاتها على اختلاف وجوهها و
اطوارها فانها تارة صدق واخلاص وانقطاع واختصاص وتارة تكبير لله تعالى وتمجيد
وثناء

صورة الصفحة الأولى من المخطوطة .

في أسرار صلوة الجنازة ووظائفها

صورة الصفحة الأخيرة من المخطوطة .



أسرار الصلاة



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مطّلع من اختار من عباده الأبرار ، على حقايق خفايا الأسرار ، ومودع قلوب أصفيائه من لطائف المعارف ما تحار فيه البصائر والأبصار ، وجاعل القلوب سبباً للنّجاة وموضعاً للمناجاة والمبارّ ، وذريعة إلى ارتفاع الدّرجات وتفاوت مراتب العبادات في قبول طوالع الأنوار ، من مطالع المسَارِّ، وفتح بمفاتح الغيوب ، أقفال القلوب عمّن شاء واختار ، ورفع حجب السرائر وجلا أبصار البصائر ، ففهمت الإشارات ورفعت الأستار ، فدهشت في مبادي أشراق نوره الأحداق والأنظار، والصّلاة على نبيه وحبيبه ومعدن سرّه محمد النبي المختار ، وعلى آله الأئمة الأبرار ، وصحبه الأخيار ، صلاة دائمة بدوام الليل والنهار .

وبعد فإنّ رَوح السعادة وبهجتها ، وروح العبادة ومهجتها ، وموجب تلقّيها بأيدي القبول والإحسان ، ومضاعفة الثواب بها في دار الجنان ، والتسبب بها إلى ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر[1] والإنتساب بها إلى عالم الملكوت والملائكة الغرر ، وتلقّي الفيض من

(١) إشارة إلى الحديث القدسي الذي تواترت به كتب العامة الخاصة :
« أعددت لعبادي الصّالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر » : =

عالم الغيب والشهادة[1] ، وإيجاب القليل منها لعظيم الزيادة ، إنّما يتمّ بالإقبال بالقلب[2] في أفعالها ، وحركاتها ، وسكناتها ، على الله تعالى ، والتّفكر في أسرارها وتقلّب النفس في حالاتها ، حسب اختلاف أوضاعها وأطوارها ، فإنّها تارة قصد وإخلاص[3] ، وانقطاع واختصاص ، وتارة تكبير لله تعالى وتمجيد ، وثناء وتحميد ، وتارة دعاء وابتهال ، وأخرى خضوع وتسافل في حضرة ذي الجلال ، وتارة خشوع وتململ على التراب بين يدي رب الأرباب، وتارة تجديد عهد بكلمة التوحيد وتقرير للإسلام[4]

= عدة الداعي : ١٠٩ و ٢٤١ ، الأنوار النعمانية : ٨٢/٢ ، الإحياء : ٣١١/٤ ، رياض الصالحين : ٦٦٧ و ٦٧٠ .

(١) عن أبي عبد الله عليه السلام في تفسير قوله عز وجل : عالم الغيب والشهادة : الغيب ما لم يكن . والشهادة ما قد كان : معاني الأخبار : ١٤٦ .

(٢) في الإقبال على الصّلاة ، والتوجه له ، مع حضور القلب في تأديتها ، أحاديث جمة ، وجملة أخبار .

منها : قوله صلّى الله عليه وآله وسلم : ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منه . الإحياء : ٨٣/١ و ١٥٩ ، مكاشفة القلوب : ٩٢

وقوله (ص) لا ينظر الله إلى صلاة لا يحضر فيها الرجل قلبه مع بدنه . الإحياء : ٨٣/١ و ١٥٠ ، الحقائق : ٢٢١ ، أسرار الصلاة ١١٧ و ١٨٧ .

وهنالك أحاديث كثيرة لأهل بيت النبوة عليهم السلام ، تتناول هذا المعنى ، وسترد لاحقاً .

(٣) من أقوال سهل الإخلاص . أن يكون سكون العبد وحركاته لله خاصة . كشكول البهائي ٢٣١/٢ .

(٤) قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم : إنما الصلاة تمسكن ، وتواضع ، وتضرع ، وتأوه ، وتنادم . وتضع يديك ، ثم تقول اللّهم ، اللهم !. فمن لم يفعل فهي خِداج . الحقائق : ٢٢١ ، الإحياء : ٥٠/١ و ١٥٩ ، أخرجه الترمذي والنسائي . مفتاح السنة . ٢٦٩ .

وقال (ص) في معرض كلامه عن صلاة الليل .. لأن الصلاة تكبير وتحميد ، وتسبيح وتمجيد ، وتقديس وتعظيم ، وقراءة ودعاء إرشاد القلوب : ١٩١ .

وقال زين العابدين عليه السلام في (رسالة الحقوق) : وأما حقوق الصلاة فأن تعلم أنها وفادة إلى الله ، وأنك فيها قائم بين يديه تعالى ..

فإذا علمت ذلك كنت حليقاً أن تقوم فيها مقام العبد الذليل ، الراغب ، الراهب ، الخائف ، =

وتذكير بالعهد القديم المأخوذ على الأنام[1] وتارة تحية لمقرّبي حضرته بلفظ السلام ، إلى غير ذلك من دقايق الحقايق ، التي تظهر للمصلّي بفكره الصّادق ، ومن ثم كانت الصلاة ناهية عن الفحشاء[2] موجبة للقرب[3] والزلفى ، كما نطق به القرآن الحكيم ، ووردت به الأخبار عن النبي[4] وآله[5] عليهم أفضل الصلاة وأكمل التسليم .

= الراجي ، المسكين ، المتضرع ، المعظم من يقوم بين يديه بالسكينة والوقار ، وخشوع الأطراف ، ولين الجناح ، وحسن المناجاة .

(١) إشارة إلى الآية الكريمة : ﴿ **وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم ، وأشهدهم على أنفسهم : ألست بربكم ؟ . قالوا : بلى !** ﴾ سورة الأعراف : الآية ١٧٢ .
إذ فطر الله الخلق على الإيمان به . لسان العرب : ٥/٨٥ ، فأقروا لمبدعهم بالربوبية . أربعون البهائي : الحديث الثاني . وهو أول ما وقع من العهد : عجائب القرآن ٦٦ . وهو يوم الميثاق ، جمع الله فيه خلقه لولاية محمد صلّى الله عليه وآله وسلم . ووصيه عليه السلام : الصحيفة الصادقية : ١٠٦ و١٠٨ . الكافي : ٣/٤١٥ ، التهذيب ٣/٣
وحول هذه الآية قال العسكري عليه السلام : ثبتت المعرفة ، ونسوا ذلك الموقف ، وسيذكرونه ، ولولا ذلك لم يدر أحد مَن خالقه ، ولا من رازقه . كشف الغمة : ٣/٢١٠ (عن . حياة الحسن العسكري . المخطوط : ٧٨) .

(٢) إشارة إلى الآية الكريمة : ﴿ **إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر** ﴾

(٣) إشارة إلى الآية الكريمة . ﴿ **واسجد واقترب** ﴾ .

(٤) عن أبي جعفر عليه السلام ، قال : لا تتهاون بصلاتك فإن النبي صلّى الله عليه وآله وسلم قال عند موته :
ليس مني من استخف بصلاته ، ليس مني من شرب مسكراً . لا والله ، لا يرد عليّ الحوض الكافي : ٣/٣٦٩ .
وقال (ص) لا ينال شفاعتي من استخف بصلاته ، الوسائل (كتاب الصلاة) : ٢٤٨
و : من استخف بصلاته ليس مني : المصدر السابق .
و : ما بين الكفر والإيمان إلا ترك الصلاة . أمالي المفيد : ٢٧٤
وروى أبو داوود من حديث علي عليه السلام : كان آخر كلام رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم :
الصلاة ، الصلاة ! . . اتقوا الله في ما ملكت أيمانكم . الإحياء : ٢/٢١٩ .

(٥) كانت آخر وصايا أمير المؤمنين عليه السلام ، وهو يجود بنفسه الشريفة : الله الله في الصلاة ! . .

وحينئذٍ فلا بد للمكلّف المستيقظ من الإقبال بقلبه عليها ، والتفكّر في أسرارها والتأدّب بآدابها ،وإلّا كانت بمنزل الجسد من غير روح[1] والشّجرة من غير ثمرة، والعمل من غير غاية .

وقد ذكرنا في هذه الرسالة نبذة من اسرارها، وزبدة من آدابها، وأكثرها قد وردت به النصوص عن أهل الخصوص[2] عليهم أفضل الصلوات وأكمل التحيات ، وبمراعاتها يترقّى[3] العامل من مدارجها إلى معارج الأسرار والتجلّيات ، وهذه الأمور وإن كانت متفرّقة في تضاعيف النصوص ، وكلام الكاملين من العلماء[4] العاملين، لكن لا يكاد يجتمع أطرافها إلّا عند قليل من الأماجد ، ولا يطلع على معادنها إلّا واحد بعد واحد ، فشاركتهم في مثوبتها بجمع أطرافها ومبانيها ، وتهذيب ترتيبها وتقريب معانيها ، وصارت مع ذلك معزّزة للرسالتين[5] الشريفتين اللّتين

= وعن أبي بصير ، قال :

دخلت على حميدة أعزيها بأبي عبد الله الصادق عليه السّلام . فبكت ، فبكيت لبكائها .

ثم قالت : يا أبا محمد ! . . . لو رأيت أبا عبد الله عند الموت لرأيت عجباً . فتح عينيه ، ثم قال :

- إجمعوا لي كل من بيني وبينه قرابة .

قالت : فلم نترك أحداً إلّا جمعناه . قالت : فنظر إليهم ، ثم قال :

- إن شفاعتنا لا تنال مستخفاً بالصلاة . أمالي الصدوق : ٤٣٤ .

(١) وهذا ما ستتبينه في (باب التكبير) لدى كل من الفيض الكاشاني ، وأبي حامد الغزالي .

(٢) وفي طليعتهم الإمام الصادق عليه السلام ، في (مصباح الشريعة) .

(٣) عن الإمام زين العابدين عليه السلام : الصلاة مرقاة إلى الله عز وجل : رسالة الحقوق .

(٤) وعلى رأسهم حجة الإسلام ، أبو حامد الغزالي ، وقد اغترف المؤلف رضوان الله عليه من معينه ، بلا حساب وقد أثبتنا ذلك في مواضعه من هذا الكتاب .

(٥) هاتان الرسالتان كلتاهما للشهيد الأول قدس الله سره ، وقد شرحهما الشهيد الثاني .

فشرح الألفيّة بشروح ثلاثة : مختصر (هوامش وحواشٍ) ومتوسط (يتعلق بمهمات) ومطول (مجلد كامل مزج فيه المتن بالشرح ، واشتمل على مباحث وتحقيقات) ، وشرح النفلية بشرح متوسط سماه : الفوائد الملية بشرح الرسالة النفلية : رسالة ابن العودي . عن (كشف الريبة : ٢٩) ، حاشية الأصل : ٢ .

اشتملت إحداهما على واجبات الصلاة وهي الألفية[1] ، والأخرى على مندوباتها وهي النفلية[2] ، وهذه على أسرارها القلبية ، وسمّيتها بالتنبيهات العليّة على وظائف الصلاة القلبية ، ورتبتها بترتيب القادمة[3] على مقدمة ، وفصول ثلاثة ، وخاتمة .

أمّا المقدمة فتشتمل على ثلاثة مطالب: **الأول** في تحقيق معنى القلب الذي ينبغي إحضاره في أوقات العبادات وبسببه تتفاوت مراتب العبادات في الدرجات .

إعلم* [إنّ القلب يطلق على معنيين :

أحدهما اللحم الصّنوبري الشكل المودع في الجانب الأيسر من الصدر وهو لحم مخصوص وفي باطنه تجويف وفي ذلك التجويف دم أسود وهو منبع الرّوح ومعدنه ، وهذا المعنى من القلب موجود للبهائم بل للميّت وليس هو المراد في هذا الباب ونظائره[4] .

والمعنى الثاني لطيفة ربّانيّة روحانية لها بهذا القلب الجسماني تعلّق وتلك اللطيفة هي المعبّر عنها بالقلب تارة وبالنّفس أخرى وبالرّوح ثالثة وبالإنسان أيضاً وهي المدرك العالم ، وهي المخاطب والمطالب والمعاتب ،

(١ ـ ٢) جمع الشهيد من واجباتها (الصلاة) ألفاً ، وصنف فيه الألفية ، ومن مندوباتها ثلاثة الاف وصنف فيه النفلية . أسرار الصلاة (ت) : ١١٣ .
وذلك انطلاقاً من قول الإمام الصادق عليه السلام : للصلاة أربعة آلاف حد .
وقول الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام : للصلاة أربعة آلاف باب .
وسيرد الحديثان لاحقاً .
(٣) أي : الرسالة الألفية .
(*) ما بين الحاصرتين [إعلم : أن القلب يطلق . . كما لا يخفى] مقتبس عن الإحياء : ٣/٣ و ٥
(٤) مثله في : روضة الطالبين : ١٣٤ ـ ١٣٥ .

ولها علاقة مع القلب الجسداني وقد تحيّر عقول أكثر الخلق في إدراك وجه علاقته وإنّ تعلّقه به يضاهي تعلّق الأعراض بالأجسام ، والأوصاف بالموصوفات ، أو تعلّق المستعمل للآلة بالآلة، أو تعلّق المتمكّن بالمكان وشرح ذلك يخرج عن غرض الرسالة .

وحيث يطلق القلب في الكتاب والسنّة فالمراد منه هذا المعنى الذي يفقه ويعلم ، وقد يكنّى عنه بالقلب في الصّدر ، كما قال الله تعالى : ﴿ **فإنّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور** ﴾[1] وذلك لما عرفت من العلاقة الواقعة بينها وبين جسم القلب، فإنّها وإن كانت متعلقة بسائر البدن ومستعملة له، ولكنّها تتعلّق به بواسطة القلب. فتعلّقها الأول بالقلب وكأنّه محلّها ومملكتها وعاملها ومطيّتها .

ولذلك شبّه بعض العلماء[2] القلب بالعرش والصدر بالكرسي . وأراد به أنّه مملكته والمجري الأولى لتدبيره وتصرفه. فهما بالنسبة إليه كالعرش والكرسيّ بالنسبة إلى الله تعالى .

ولا يستقيم هذا التّشبيه إلاّ من بعض الوجوه كما لا يخفى] .

وهذا المعنى من القلب في الجسد بمنزلة الملك وله فيه جنود[3] وأعوان وأضداد[4] وأوصاف[5] وله قبول للإشراق والظلمة ، كالمرآة الصافية[6]

---

(١) سورة الحج : الآية ٤٦ .

(٢) إنه المتصوف العارف : سهيل التستري . الإحياء : ٣/٥ و١٠ .

(٣) له جندان : جند يرى بالأبصار ، وجند لا يرى إلاّ بالبصائر وهو في حكم الملك ، والجنود في حكم الخدم والأعوان . روضة الطالبين : ١٣٧ ، الإحياء : ٣/٥ و٦ .
وللقلب جند آخر : وهو العلم والحكمة والتفكر . المصدر السابق .

(٤) هما جند الغضب والشهوة إذا استعصيا وتمردا . وهما معاً ، النفس الأمارة بالسوء : المصدر السابق .

(٥) إن الإنسان قد اصطحب في خلقه وتركيبه أربع شوائب ، فلذلك اجتمع عليه أربعة أنواع من =

التي تقبل انطباع الصّور والأشكال المقابلة لها، وتقبل الظلمة والفساد والبعد عن الأعداد لذلك بسبب العوارض الخارجة[1] المنافية لجوهرها. وربما وصل إشراقه واستنارته إلى حدّ يحصل فيه جليّة الحق[2] وتنكشف فيه حقيقة الأمر المطلوب، وإلى مثل هذا القلب أشار بقوله (صلى الله عليه وآله) : « إذا أراد الله بعبد خيراً جعل له واعظاً من قلبه »[3] .

وبقوله (صلى الله عليه وآله) : « من كان له من قلبه واعظ كان عليه من الله حافظ »[4] .

[ومثال* الآثار المذمومة الواصلة إليه المانعة له من الإستنارة وقبول الإشراق، مثال دخان مظلم يتصاعد إلى مرآة ولا تزال تتراكم عليه مرة بعد أخرى إلى أن يسودّ ويظلم ويصير بالكليّة محجوباً[5] عن الله تعالى وهو الطّبع[6] والرّين[7] اللّذان أشار الله تعالى إليهما في قوله : ﴿ أن لو نشاء

= الاوصاف ، وهي : الصفات السبعية ، والبهيمية ، والشيطانية ، والربانية .
وكل إنسان في شوب (أي : مزيج) من هذه الأصول الأربعة ، وكل ذلك مجموع في القلب .
الإحياء : ٣/١٠ و ١١ .

(٦) للغزالي الفضل في نشر تشبيه صفحة القلب بالمرآة المجلوة ، على نطاق واسع .

(١) وهي خمس ـ كما يراها الغزالي ـ . الإحياء : ٣/١٣ ـ ١٥ .

(٢) القلب مرآة مستعدة لأن ينجلي فيها حقيقة الحق : المصدر السابق .

(٣) الحديث : إذا أراد الله بعبد خيراً . الإحياء : ٣/١٢ . أخرجه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس .

(٤) الحديث : من كان له من قلبه واعظ ... لم يؤثر عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم ، وإنما تفرد بروايته الغزالي في الإحياء : ٣/١٢ . وورد في (فصل في الوعظ والزهد) ، مجهولاً . كنز الفوائد : ١/٣٠٤ .
والحق ، أنه من كلم أمير المؤمنين عليه السلام . النهج : ٤/٢٠ .

(*) ما بين الحاصرتين : [ومثال الآثار المذمومة ... أسود منكوس] مقتبس عن الإحياء : ٣/١٢ .

(٥) من الآية : ﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذٍ لمحجوبون ﴾ . سورة المطففين : الآية ١٥ .

(٦) الطبع ، ما يطبع على القلب ، ويختم به . من قوله تعالى :
﴿ أولئك الذين طبع الله على قلوبهم ... ﴾ سورة محمد : الآية ١٦ ، وسورة النحل : الآية ١٠٨ . =

أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون ﴾[1] .

ربط عدم السّماع والطبع بالذنوب كما ربط السّماع بالتقوى[2] في قوله : واسمعوا ﴿ واتّقوا الله ويعلّمكم الله ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ كلاّ بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾[4] .

فمهما تراكمت الذنوب طبع على القلب وعند ذلك يعمى عن إدراك الحق ، وصلاح الدّين ، ويتهاون بالآخرة ، ويستعظم أمر الدّنيا ، ويصير مقصور الهمّ عليه ، وإذا قرع سمعه أمر الآخرة وما فيها من الأخطار دخل من أذن وخرج من أخرى[5] ، ولم يستقر في القلب ، ولم يحرّكه إلى التّوبة والتدارك . وهذا هو معنى اسوداد القلب[6] بالذنوب كما نطق به القرآن والسنّة كما في قوله (صلى الله عليه وآله) : « قلب المؤمن أجرد فيه سراج

= (٧) الرَّيـن : صدأ يعلو الشيء الجميل . المفردات في غريب القرآن : ٢٠٨ وهو ، هنا ، ما أخذناه عن الغزالي آنفاً .

(١) سورة الأعراف : الآية ١٠٠ .

(٢) قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم : التقوى ها هنا !.. وأشار إلى القلب ، أو الصدر الإحياء ٤٣/٣ أخرجه مسلم . وعندما سئل الصادق عليه السلام عن التقوى ، قال : أن لا يفقدك الله حيث أمرك ، ولا يراك حيث نهاك . عدة الداعي : ٣٠٣ .

(٣) الآية . ﴿ واتقوا الله ، ويعلمكم الله ، والله بكل شيء عليم ﴾ : سورة البقرة : الآية ٢٨٢ .

(٤) سورة المطففين : الآية ١٤ .

(٥) عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال :
كان أبي عليه السلام يقول : ما من شيء أفسد للقلب من خطيئة إن القلب ليواقع الخطيئة ، فما تزال به حتى تغلب عليه ، فيصير أعلاه أسفله . الكافي : ٢٦٨/٢ ، أمالي الصدوق : ٣٥٦ ، وأول من فجر هذه المعاني ، وأخذها التالون عنه ، أمير المؤمنين عليه السلام إذ قال : إن الإيمان ليبدو لمعة بيضاء . فإذا عمل العبد الصالحات نما وزاد حتى يبيض القلب كله . وإن النفاق ليبدوا نكتة سوداء ، فإذا انتهك المحرمات ، زادت حتى يسود القلب كله ، فيطبع على قلبه ، فذلك الختم . وتلا : ﴿ كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون ﴾ . الحقائق . ٥٣ .

(٦) وهو الطبع ، أو الرين ، أو الختم . وقد مر ذلك كله .

يزهر وقلب الكافر أسود منكوس »][1] .

وقول الباقر (عليه السلام) : « إنّ القلوب ثلاثة : قلب منكوس لا يعي شيئاً من الخير وهو قلب الكافر، وقلب فيه نكتة سوداء فالخير والشرّ فيه يختلجان فأيّهما كانت منه غلبة غلب عليه ، وقلب مفتوح فيه مصابيح تزهر لا يطفأ نوره إلى يوم القيامة »[2] .

فانظر إلى قوله (عليه السلام) : « لا يطفأ نوره إلى يوم القيامة » فإنّ هذا حكم نور القلب بالمعنى الثاني لأنّه باق وإن خرب البدن بخلاف الأوّل كما حقّق في موضع آخر وروى زرارة[3] عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : « ما من عبد إلاّ وفي قلبه نكتة بيضاء فإن أذنب ذنباً خرج في تلك النكتة نكتة سوداء، فإن تاب ذهب ذلك السواد وإن تمادى في الذنوب زاد ذلك السّواد حتّى يغطّي البياض فإذا غطّى البياض لم يرجع صاحبه إلى خير أبداً »[4] وهو قول الله عزّ وجلّ : ﴿ **كلاّ بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون** ﴾ .

---

(١) الحديث : قلب المؤمن أجرد . . . . الإحياء : ٣/١٢ ـ أخرجه أحمد والطبراني ـ الأنوار النعمانية : ٢/٣٢٧ .

(٢) الحديث : إن القلوب ثلاثة . . المصدران السابقان (مع بعض اختلاف في اللفظ) ، الكافي : ٢/٤٢٣ . الحقائق : ٥٣ .

(٣) زرارة بن أعين الشيباني · من الذين أحْيوا ذكر أهل البيت عليهم السلام ومن حواريي محمد بن علي وجعفر بن محمد عليهما السلام . قال فيه أبو عبد الله عليه السلام :
رحم الله زرارة بن أعين لولا زرارة لاندرست آثار النبوة .
وعنه عليه السلام فيه : ما أجد أحداً أحيا ذكرنا ، وأحاديث أبي عليه السلام ؛ إلاّ زرارة ، وأبو بصير المرادي ، ومحمد بن مسلم ، وبريد بن معاوية . ولولا هؤلاء ما كان أحد يستنبط هدىً .
هؤلاء حُفّاظ الدين ، وأمناء أبي على حلال الله وحرامه ، وهم السابقون إلينا في الدنيا والآخرة . الإختصاص : ٦٦ ، التحرير الطاووسي : ١١٥ .
له كتب ، أشهرها صحيحته في الصلاة . توفي سنة ١٥٠ هـ بعد الصادق عليه السلام .

(٤) الحديث : ما من عبد إلاّ وفي قلبه نكتة بيضاء . . . الكافي : ٢/٢٧٣ و٤٢٣ ، =

وقال الله تعالى : ﴿ إنّ الذين اتّقوا إذا مسّهم طائف من الشيطان تذكّروا فإذا هم مبصرون ﴾[1] .

[فأخبر* أنّ جلاء القلب يحصل بالذكر وإنّ المتّقين هم المتذكّرون. فالتقوى باب الذكر، والذكر باب الكشف، والكشف باب الفوز الأكبر][2] .

واعلم أنّ القلب مثال حصن والشيطان عدوّ يريد أن يدخل الحصن ويملكه ويستولي عليه، ولا يقدر على حفظ الحصن من العدوّ إلاّ بحرسة بواب الحصن ومداخله ومواقع تهمه، فينبغي الإهتمام بمعرفة ذلك[3] وتفصيله مما يطول الكلام فيه ويخرج عن الغرض والأمر الجامع له الإقبال على الله تعالى. وتخيّل أنك واقف بين يديه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك كما ورد في الخبر[4] .

= الإختصاص ٢٤٣ ، سر الصلاة : ٨٠ .
ولأبي عبد الله عليه السلام ما هو قريب منه · الكافي : ٢/٢١٤ و ٢٧١
وقريب منه لميمون بن مهران . الإحياء ٣/١٢ .

(١) سورة الأعراف : الآية ٢٠١

(*) ما بين الحاصرتين · [فأخبر أن جلاء القلب ... الفوز] . مقتبس عن الإحياء : ٣/١٢

(٢) الأكبر : وردت بلقاء الله تعالى : المصدر السابق .

(٣) ورد هذا التشبيه عند الغزالي كما يلي · إعلم ، أن البدن كالمدينة ، والعقل ، أعني المدرِكَ من الإنسان ، كملك مدبر لها وقواه المدركة . . كجنوده وأعوانه ، وأعضاءه كرعيته ، والنفس الأمارة بالسوء ، التي هي الشهوة والغضب ، كعدو ينازعه في مملكته ، ويسعى في اهلاك رعيته فصار بدنه كرباط وثغر ، ونفسه كمقيم فيها مرابط . الإحياء : ٣/٧
ومواقع تهمه : نقاط الضعف فيه .

(٤) الحديث : أعبد الله (أو · خف الله ، أو ، إخش الله) كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك واعلم أن أول عبادة الله المعرفة به . من وصية النبي صلّى الله عليه وآله وسلم لأبي ذر : مكارم الأخلاق . ٤٥٩ ، الكافي : ٢/٦٨ ، أربعون البهائي · ١٥٦ ، إرشاد القلوب ١٢٨ ، الأنوار النعمانية · ١/٢٦٠ ، سر الصلاة : ٢٦ و ١٥٧ ، الآداب المعنوية : ٨٠ ، ٢٨١ ، اللمع : ٨٢ و ١٠٠ و ٥٤٥ ، الإحياء : ٤/٣٩٧ ، روضة الطالبين · ١٤٧ ، مختصر الترغيب والترهيب : ٢٩ .
وفي إقبال القلب وتوجهه أحاديث كثيرة ، منها : ما روي عن زين العابدين عليه السلام : =

فإذا شعرت بذلك وتحققته وعلمت به انسدّت الأبواب دون وساوس اللعين وأقبل القلب على الله تعالى وتفرّغ للعبادة .

وقد روي عن النبي (صلى الله عليه وآله) : « إنّ العبد إذا اشتغل بالصلاة جاءه الشيطان وقال له : أذكر كذا أذكر كذا حتّى يضلّ الرجل أن يدري كم صلّى »[1] .

ومن هاهنا ظهر لك أنّ مجرّد التلفّظ بالذكر باللسان ليس هو الزّاجر للشيطان بل لا بدّ معه من عمارة القلب بالتقوى ، وتطهيره من الصّفات المذمومة ، التي هي أعوان إبليس وجنوده ، وإلاّ فالذكر من أقوى مداخل الشيطان وكذلك غيره من العبادات ولذلك قال الله تعالى : ﴿ **إنّ الذين اتّقوا إذا مسّهم طائف من الشيطان تذكّروا فإذا هم مبصرون** ﴾[2] .

فخصّص ذلك بالمتّقي ، وتأمّل أنت في منتهى ذكرك وعبادتك ، وأفضل أعمالك ، وهو الصلاة ، فليس الخبر كالعيان ، فراقب قلبك إذا كنت في الصلاة كيف تتجاذبه[3] الشياطين في الأسواق والبساتين ، وحساب المعاملين ، وجواب المعاندين وغيرهم ، وكيف تمرّ بك في أودية الدنيا ومهالكها حتّى أنّك لا تتذكر ما نسيته من فضول الدّنيا إلاّ في صلاتك ، ولا تزدحم الشياطين على قلبك إلاّ إذا صلّيت فلا جَرَمَ لا يطرد عنك الشيطان بمجرد صورة العبادة وإن نادى بها الواجب عليك ، وخرجت عن عهدة الأمر الإلهي ، بل لا بدّ في دفعه مع ذلك من أصول أخر ، وإصلاح

= إن العبد لا يقبل من صلاته ، إلاّ ما أقبل عليها من قلبه . الوسائل (كتاب الصلاة) : ٢٥٨ وغيره ، مما سيرد بعد حين .

(١) الحديث : إن العبد إذا اشتغل بالصّلاة . . . رياض الصالحين : ٣٩٩ (رواه البخاري ومسلم) وسيرد الحديث لاحقاً بشكل آخر .

(٢) سورة الأعراف : الآية ٢٠١ .

(٣) التطارد بين جندي والملائكة والشياطين في معركة القلب ، دائم ، إلى أن ينفتح القلب لأحدهما فيستوطن ، ويستمكن ، ويكون اجتياز الثاني اختلاساً . الإحياء : ٢٨/٣ .

الباطن من الرّذائل التي هي أعوانه وجنوده وإلاّ لم يزد إلاّ ضرراً، كما أنّ الدواء قبل الإحتماء لا يزيد المريض إلاّ مرضاً وألماً. وبعد ذلك يتّصف بالفضائل. وحينئذٍ يصير قلبه قابلاً للإقبال مشفقاً من التفريط والإهمال.

قال الله تعالى: ﴿ ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾[1].

فاجعل هذه العلامة بينك وبين استقامة قلبك وإقباله، أوقفنا الله وإيّاك على بساط الإستقامة بمحمّد وآله.

ولنقتصر من بحث القلب على هذا القدر مناسبة للإختصار.

في اعتبار حضور القلب في العبادة

المطلب الثاني: في الإستشهاد على ما ينبغي من إحضار القلب في حال العبادة سيّما الصلاة التي هي عمود الدّين[2] ورأس الأعمال.

قال الله تعالى: ﴿ الذين هم في صلوتهم خاشعون ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿ فويل للمصلّين الذين هم عن صلاتهم ساهون ﴾[4].

---

(١) الآية: ﴿ فالذين آمنوا وتطمئن قلوبهم، ألا بذكر الله تطمئن القلوب ﴾ سورة الرعد: الآية ٢٨.

العياشي - عن الصادق عليه السلام - بمحمد صلّى الله عليه وآله وسلم تطمئن، وهو ذكر الله وحجابه.

القمي: الذين آمنوا الشيعة وذكر الله. أمير المؤمنين والأئمة (حاشية الأصل: ٥).

(٢) الحديث الصلاة عماد الدين. مكارم الأخلاق: ٤٦٢، عوارف المعارف: ٣٠٤، وبمعناه مع تغيير مواقع اللفظ، التهذيب: ٢/٢٣٧.

(٣) سورة المؤمنون. الآية ٢

(٤) سورة الماعون: الآية ٥.

عن محمد بن الفضيل، قال: سألت عبداً صالحاً (الإمام الصادق عليه السلام)، عن قول الله عز وجل ﴿ فويل للمصلين .. ﴾، قال: هو التضييع. الكافي ٣/٣٦٨. وفي رواية. الترك لها، وفي أخرى: تأخيرها لغير عذر، الوسائل (كتاب الصلاة): ٢٦١. =

ذمّهم على الغفلة عنها مع كونهم مصلّين لا لأنّهم سهوا عنها وتركوها

وقال تعالى : ﴿ والّذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة ﴾[١] .

أي يفعلونه في حال وجل قلوبهم والإتصاف بالوجل حالة العمل مستلزم بحضور القلب على أتمّ وجه .

وقال النبي (صلى الله عليه وآله) : « الصلاة ميزان من وفّى استوفى »[٢] .

وقال : « أعبد الله كأنّك تراه فإن لم تكن تراه فإنّه يراك »[٣] .

وقال (صلى الله عليه وآله) في فضل إتمامها : « إنّ الرجلين من أمتي يقومان في الصلاة وركوعهما وسجودهما واحد وإنما بين صلاتيهما ما بين السّماء والأرض »[٤] .

= وعن أمير المؤمنين عليه السلام في حديث الأربع مئة ، يعني : غافلين . تحف العقول : ٧٩ .

(١) سورة المؤمنون : الآية ٦٠ .

(٢) الحديث : الصّلاة ميزان · من وفّى استوفى . الكافي : ٢٦٧/٣ ، الإحياء : ١٧٤/١ .
وعن سلمان : الصلاة مكيال فمن وفى استوفي له . لسان العرب : ١٧/٥ ، كشكول البهائي : ٣٦٩/٣ .
قال الفيض قدس الله سره في شرح هذا الحديث :
الأظهر أن يكون المراد أنها معيار لتقرب العبد إلى الله سبحانه وتعالى ، ومنزلته لديه ، واستحقاقه الأجر والثواب منه عز وجل . فمن وفى بشروطها وآدابها ، وحافظ عليها كما ينبغي ، استوفى بذلك تمام الأجر والثواب ، وكمال التقرب إليه سبحانه ، ومن نقّص ، نقص بذلك بقدر ما نقص .
أو المراد أنها معيار لقبول سائر العبادات . فمن وفى بها كما ينبغي ، قبل سائر عباداته واستوفى أجر الجميع . (حاشية الكافي : ٣٦٨/٣) .

(٣) الحديث : أعبد الله كأنك تراه .. تقدّم .

(٤) الحديث : إن الرجلين من أمتي يقومان في الصلاة . . . الإحياء : ١٤٨/١ ـ أخرجه ابن المجبر ـ الآداب المعنوية : ٨١ .

وقال (صلى الله عليه وآله) : « أما يخاف الذي يحوّل وجهه في الصلاة أن يحوّل الله وجهه وجه حمار »[1] .

وقال (صلى الله عليه وآله) : « من صلّى ركعتين لم يحدّث فيهما نفسه بشيء من الدّنيا غفر الله له ذنوبه »[2] .

وعنه (صلى الله عليه وآله) : « من حبس نفسه في صلاة فريضة فأتمّ ركوعها وسجودها وخشوعها ثم مجّد الله عزّ وجل وعظّمه وحمده حتى يدخل وقت صلاة فريضة أخرى لم يقطع بينهما، كتب الله له كأجر الحاجّ المعتمر وكان من أهل علّيّين »[3] .

وعنه (صلى الله عليه وآله) : « إنّ من الصلاة لما يقبل نصفها وثلثها وربعها وخمسها إلى العشر، وإنّ منها لما تلفّ كما يلفّ الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها وإنّما لك من صلاتك ما أقبلت عليه بقلبك »[4] .

---

(١) الحديث : أما يخاف الذي يحول وجهه في الصلاة . . . الإحياء : ١٤٨/١ ـ أخرجه ابن عدي ـ وورد بلفظ مختلف : المصدر السابق، الحقائق : ٤٧ ، الآداب المعنوية : ٨١ .

(٢) الحديث . من صلّى ركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشيء . . . الحقائق : ٢٢١ ، الآداب المعنوية : ٨١ ، مكاشفة القلوب : ٣١٤ ، وتتمته في الإحياء : غفر له ما تقدم من دنبه : ١٥٠/١ ـ أخرجه ابن شيبة ـ

وقريب منه في : تنبيه الغافلين : ١٠٢ .

وعن أبي عبد الله عليه السلام حديث بمعناه الكافي : ٢٦٦/٣ ، الوسائل (كتاب الصلاة) ٣٦٠ .

(٣) الحديث : من حس نفسه في صلاة فريضة . . . الفقيه ١٣٦/١ ، مكارم الأخلاق : ٤٢٧ .

وقد رويت عنه (ص) أحاديث شبيهة به في : التهذيب : ٢٣٧/٢ ، تحف العقول : ٣٩ ، الكافي : ٣٥٧/٢ ، اللمع : ٢٠٨ ، كنوز السنة : ٢٧٦ .

(٤) الحديث : إن من الصلاة لما يقبل نصفها ، وثلثها وربعها . . . الإحياء : ١٦١/١ ، مكاشفة القلوب : ٣١٣ ـ ٣١٤ ، سر الصلاة : ٦٠ ، الآداب المعنوية : ٨١ ، وقريب منه في عوارف المعارف : ١٦٧ ، الإحياء : ١٦١/١ . ولأبي جعفر عليه السلام حديث قريب منه بروايتي =

وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « إذا قام العبد المؤمن في صلاته فنظر الله إليه، أو قال: أقبل الله عليه، حتى ينصرف، واظلّته الرّحمة من فوق رأسه إلى أفق السّماء والملائكة تحفه من حوله إلى أفق السماء، وكّل الله به ملكاً قائماً على رأسه يقول أيّها المصلّي لو تعلم من ينظر إليك ومن تناجي، ما التفت ولا زلت من موضعك أبداً »(١) .

وقال الصادق (عليه السلام) : « لا تجتمع الرغبة والرهبة في قلب إلاّ وجبت له الجنّة. فإذا صلّيت فأقبل بقلبك على الله عزّ وجل فإنّه ليس من عبد مؤمن يقبل بقلبه على الله عزّ وجلّ في صلاته ودعائه إلاّ أقبل الله عليه بقلوب المؤمنين وأيّده مع مودّتهم إيّاه بالجنّة »(٢) .

= محمد بن مسلم ، وأبي بصير ، الوسائل (كتاب بالصلاة) : ٢٥٥ ، الحقائق : ٢٢٣ .

(١) الحديث : إذا قام العبد المؤمن في صلاته ، نظر الله إليه ... الإختصاص : ٦٢ ، مكارم الأخلاق : ٤٦٢ ، عدة الداعي : ١٥٥ ، الآداب المعنوية : ٨١ ، الإحياء ١٦٨/١٠ (بمعناه) .

ولأبي جعفر عليه السلام حديث قريب منه . الوسائل (كتاب الصلاة) : ٢٤٨ .

(٢) الحديث : لا تجتمع الرغبة والرهبة في قلب إلاّ وجبت له الجنة .. (وروي في نهاية الحديث : ... بالمحبة له ، بعد حب الله إياه) . أمالي المفيد : ١٥ ، أسرار الصلاة (ت) : ١٩٨ ، الحقائق : ٢٢٤ ، الآداب المعنوية : ٨١ . وقد ورد بعضه في . الفقيه: ١٣٥/١ ، الوسائل (كتاب الصلاة) : ٣٦٠ .

وقريب منه :

أ ـ الحديث المروي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم : عجائب القرآن . ١٤٣ ، وفي الإحياء : ١٧٠/١ .

ب ـ الحديث المروي عن أبي جعفر عليه السلام : الكافي : ٦٧/٢ و ٧١ .

ج ـ الحديث المروي عن أبي عبد الله عليه السلام : الكافي :٧١/٢ ، أمالي المفيد : ١٩٥ ، عدة الداعي : ١٥٠ ، سر الصلاة : ١٥٧ .

د ـ كلام بعض السلف ، اللمع : ٩١ .

هـ ـ قول مطرف بن عبد الله : الحكمة الخالدة : ١٦٣ .

وعن أبي حمزة الثمالي[1] قال رأيت علي بن الحسين (عليهما السلام) يصلّي فسقط رداؤه عن منكبه فلم يسوّه حتى فرغ من صلاته . قال : فسألته عن ذلك . فقال : ويحك أتدري بين يدي من كنت ؟ إنّ العبد لا يقبل منه صلاة إلّا ما أقبل فيها بقلبه ، فقلت : جعلت فداك هلكنا ، فقال : كلّا إنّ الله يتم ذلك بالنوافل[2] .

وعن الفضيل بن يسار[3] عن أبي جعفر وأبي عبد الله (عليهما السلام) أنّهما قالا : إنّما لك من صلاتك ما أقبلت عليه فيها فإنّ أوهمها كلّها أو غفل عن آدابها لفّت فضرب بها وجه صاحبها[4] .

وروى زرارة[5] عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : « إذا قمت في الصلاة فعليك بالإقبال على صلاتك فإنّما لك منها ما أقبلت عليه بقلبك ولا تعبث فيها بيدك ولا برأسك ولا بلحيتك ولا تحدّث نفسك ولا تتثاءب فيها ولا تمطّ الحديث »[6] .

---

(١) أبو حمزة الثمالي : ثابت بن دينار ، الأزدي ، الكوفي ، صاحب الدعاء المشهور ، روى عن الفضل بن شاذان . قال فيه الإمام الرضا عليه السلام : أبو حمزة الثمالي في زمانه كسلمان الفارسي [وفي رواية : كلقمان] في زمانه وذلك أنه خدم أربعةً منا : عليّاً بن الحسين ، ومحمد ابن علي ، وجعفر بن محمد وبرهة من عصر موسى بن جعفر . كان كوفياً ، وكان أبناؤه : علي والحسين ومحمد ثقاة كاملين توفي سنة : ٥٠ هـ . بعضه عن : التحرير الطاووسي . ٦٢ و ١٧٧ .

(٢) الحديث : إن العبد لا يقبل منه صلاة . . الوسائل (كتاب الصلاة) : ٢٥٨ ، مع اختلاف يسير في اللفظ . وقد مر . كشكول البهائي : ١٦٥/٢ .

(٣) الفضيل بن يسار : النهدي ، مولى ، وأصله كوفي نزل في البصرة . ثقة ، جليل القدر روى عن كل من : أبي جعفر ، وأبي عبد الله عليهما السلام . مات في حياة الثاني ، الذي قال فيه بعدما ترحم عليه : هو منا أهل البيت . جامع الرواة : ١١/٢ .

(٤) الحديث : إنما لك من صلاتك ما أقبلت عليه فيها ، فإن أوهمها كلها . . . (أي : رفعها في حالة الوهم والغفلة) ورد في الآداب المعنوية : ٨١ .

(٥) زرارة . تقدم التعريف به .

(٦) الحديث : إذا قمت في الصلاة ، فعليك بالأقبال على صلاتك فإنما لك منها ما أقبلت عليه =

وروى الحلبي[1] عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال : « إذا كنت في صلاتك فعليك بالخشوع والإقبال على صلاتك فإنّ الله تعالى يقول : ﴿ والّذين هم في صلوتهم خاشعون ﴾[2] .

وعنه ، (عليه السلام) قال : « كان علي بن الحسين (عليه السلام) إذا قام في الصلاة تغيّر لونه ، فإذا سجد لم يرفع رأسه حتى يرفض عرقاً . وكان (عليه السلام) إذا قام في الصلاة كأنّه ساق شجرة لا يتحرّك منه إلّا ما حرّكت الريح منه »[3] .

وعن أبي جعفر (عليه السلام) قال : « إنّ أوّل ما يحاسب به العبد الصلاة فإن قبلت قبل ما سواها . إنّ الصلاة إذا ارتفعت في وقتها رجعت إلى صاحبها وهي بيضاء مشرقة تقول : حفظتني حفظك الله . وإذا ارتفعت في غير وقتها ، بغير حدودها ، رجعت إلى صاحبها وهي سوداء مظلمة تقول : ضيّعتني

= بقلبك . من حديث طويل لأبي جعفر عليه السلام الوسائل (كتاب الصلاة) ٣٥٨ ، وينسب بعض الحديث لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . الفقيه ١٩٨/١ .

(١) الحلبي : هو الشيخ الثقة الصدوق ، عبيد الله بن أبي شعبة الحلبي صنف الكتاب المشهور المنسوب إليه وعرضه على مولانا الصادق عليه السلام ، فصححه واستحسنه ، وقال عند قراءته : ليس لهؤلاء في الفقه مثله الكنى والألقاب : ١٨٨/٢

(٢) سورة المؤمنون : الآية ٢ .
قال أمير المؤمنين عليه السلام : الخشوع زينة الصلاة : كنز الفوائد : ٢٩٩/١ .
وقد توقف المحقق الكاشاني ، قدس الله سره ، في : المحجة البيضاء ، أمام الخشوع في الصلاة ، فرآه قسمين : الخشوع القلبي ، وخشوع الجوارح
أما الخميني ، أعلى الله شأنه ، فيتعدى ذلك ليرى « إن حقيقة الخشوع عبارة عن حالة قلبية تحصل للقلب عن إدراك الجمال والجلال . وبمقدار ما يدرك القلب منهما تزول عنه الإنية والأنانية ، فيخضع ، ويسلم لصاحب الجلال والجمال . الآداب المعنوية : ٤٤ - ٤٥

(٣) وقد أجمعت على ذلك كافة المصادر التي تعرضت لدراسته ، دون استثناء شأنه في ذلك شأن جده الرسول ، ووالديه ، وولده المعصومين ، عليهم السلام أجمعين .
أمالي الصدوق : ١٣٠ و١٥٨ ، الفقيه : ٢١٨/١ ، التهذيب . ٢٨٦/٢ ، إرشاد القلوب : ١٠٥ ، الحقائق : ٢٢٢ ، الآداب المعنوية : ١١٨ ، ١١٩ ، ١٩٧ ، ١٩٩ .

صبغت لله [٢] .

وروى الفيض[٢] بن القاسم عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنّه قال: « إنّه ليأتي على الرجل خمسون سنة وما قبل الله منه صلاة واحدة فأيّ شيء أشدّ من هذا ؟ والله إنّكم لتعرفون من جيرانكم وأصحابكم من لو كان يصلّي لبعضكم ، ما قبلها منه لاستخفافه بها . إنّ الله عزّ وجلّ لا يقبل إلّا الحسن فكيف يقبل ما يستخفّ به »[٣] .

وعن أبي الحسن الرّضا أنّ أمير المؤمنين صلوات الله عليه كان يقول : « طوبى لمن أخلص لله العبادة والدعاء ولم يشغل قلبه بما تراه عيناه ولم ينس ذكر الله بما تسمع أذناه ولم يحزن صدره بما أعطي غيره »[٤] .

وروى سفيان بن عيينة[٥] عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله عزّ وجلّ : ﴿ ليبلوكم أيّكم أحسن عملاً ﴾[٦] قال : « ليس يعني

---

(١) الحديث : إن أول ما يحاسب به العبد الصلاة ، فإن قبلت .. . الكافي : ٣/٢٦٨ .
والمرسول صلى الله عليه وآله وسلم أحاديث شتى بالمعنى نفسه (مع اختلاف يسير باللفظ) .
الفقيه ١/١٣٤ ، الوسائل (كتاب الصلاة) . ٢٤٨ و ٢٤٩ و ٢٥٩ ، التهذيب : ٢/٢٣٩ ، مسند الإمام الرضا : ٢/٢٥٨ ، عيون أخبار الرضا . ١/٣٥ ، صحيفة الرضا : ٦٠ ، إرشاد القلوب . ١٩١ ، كنوز السنة : ٢٦٨ ، الإحياء : ١/٢٤٨ ، مكاشفة القلوب : ٢٥٢ ، عوارف المعارف : ٣٢٢ ، مختصر الترغيب والترهيب : ٢٦ ، تنبيه الغافلين . ١٠١ .

(٢) لعله الفيض بن المختار الجعفي . روى عن أبي جعفر وأبي عبد الله وأبي الحسن عليهم السلام ثقة ، عين وهو أول من سمع النص من أبي عبد الله على أبي الحسن وأخبر به . جامع الرواة ٢/١٤

(٣) الحديث : إنه ليأتي على الرجل خمسون سنة . . . الكافي : ٣/٢٦٩ ، التهذيب ٢/٢٤٠ .

(٤) الحديث : طوبى لمن أخلص لله العبادة . الكافي : ٢/١٦ ، سر الصلاة : ٢٦ و ٦١ .

(٥) سفيان بن عيينة : (ابن أبي عمران) . أبو محمد (١٠٧ هـ - ١٩٨ هـ) . أدرك نيفاً وثمانين تابعياً . من كبار العلماء في زمانه ، والحكماء .
قيل عنه : ليس من أصحابنا ، ولا من عدادنا . جامع الرواة : ١/٣٦٧ .

(٦) الآية : ﴿ الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ﴾ . سورة الملك : الآية ٢

أكثركم عملاً ولكن أصوبكم عملاً وإنّما الإصابة خشية الله[1] تعالى والنّية[2] الصادقة ، ثم قال : الإبقاء على العمل حتى يخلص أشدّ من العمل[3] والعمل الخالص الذي لا تريد أن يحمدك عليه أحد إلّا الله عزّ وجلّ، والنيّة أفضل من العمل. ألآ وإنّ النيّة هي العمل ثم تلا قوله عزّ وجلّ : ﴿ قل كلّ يعمل على شاكلته ﴾[4] يعني على نيّته[5] .

وبهذا الإسناد قال سألته عن قول الله عزّ وجلّ ﴿ إلاّ من أتى الله بقلب سليم ﴾ . قال: السليم الذي يلقى ربّه وليس فيه أحد سواه وقال : وكل قلب فيه شكّ أو شرك فهو ساقط[6] .

وإنّما أراد بالزهد في الدنيا لتفرغ قلوبهم للآخرة .

وعن أبان بن تغلب[7] قال : كنت صلّيت خلف أبي عبد الله

= وقد وردت الرواية في : جامع السعادات ٢/٤١٧ ، وفي الحقائق ٨٦ ، وفي أسرار الصلاة (ت) . ١٧٤ .

(١) أنظر الفرق بين الخوف والخشية كما يراه الطوسي أربعون البهائي ١٥٢ ـ ١٥٣

(٢) النية النية عند العامة . العزم على الطاعة خوفاً أو طمعاً ﴿ يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ﴾ وعند أهل المعرفة العزم على الطاعة هيبه وتعظيماً ، وعند أهل الجذبة والمحبة . العزم على الطاعة شوقاً وحباً ، سر الصلاة ١٥٧ ، وقال أبو نصر السراج . النية بالله ، لله ، ومن الله . عوارف المعارف : ٣٠٨ ، لمزيد من التفصيل أنظر . رسائل الشريف المرتضى ٣/٢٣٣ ـ ٢٣٩ ، الإحياء ٤/٣٦٣ ـ ٣٦٨ .

(٣) عن أبي جعفر عليه السلام ، من حديث له الإبقاء على العمل أشد من العمل الحقائق : ٨٦ ، عدة الداعي : ٢٣٥ (الهامش) .

(٤) الآية ﴿ قل كل يعمل على شاكلته . فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً ﴾ . سورة الإسراء الآية : ٨٤ .

(٥) قال صلى الله عليه واله وسلم . نية المؤمن خير من عمله مصباح الشريعة . ٥٣ .

(٦) الحديث : سألته عن قول الله عز وجل ﴿ إلاّ من أتى الله بقلب سليم ﴾ ، (سورة الشعراء : الآية ٨٩) .

قال : السليم الذي يلقى ربه . . . الكافي ٢/١٦ ، سر الصلاة . ٦١ .

(٧) أبان بن تغلب بن رباح ، أبو سعيد البكري ، الجريري (مولى بني جرير) =

(عليه السلام) بالمزدلفة فلما انصرف التفت إليّ فقال : يا أبان ، هذه الصلوات الخمس المفروضات من أقام حدودهن وحافظ على مواقيتهن ، لقي الله يوم القيامة وله عنده عهد يدخله به الجنة ، ومن لم يقم حدودهن ولم يحافظ على مواقيتهن ، لقي الله ولا عهد له ، إن شاء عذّبه وإن شاء غفر له[1] .

والأخبار في ذلك كثيرة فلنقتصر على هذا القدر .

واعلم أنّه قد استفيد منها أنّ قبول الصلاة موقوف على الإقبال بالقلب عليها والإلتفات عمّا سوى الله فيها وأن قبولها يوجب قبول ما سواها من الأعمال وحينئذٍ فالإهتمام بهذه الصفة أمر مهم والغفلة عنها خسارة عظيمة وانحطاط قويّ وغفله رديَّة، حيث يدئب نفسه في الطّاعة ويقوم بها آناء الليل وأطراف النهار ثم لا يجد بذلك ثمرة ولا يستفيد به

= عظيم المزلة في أصحابنا ، لقي أبا محمد علياً بن الحسين ، وأبا جعفر ، وأبا عبد الله ، عليهم السلام ، وروى عنهم وكان له عندهم حظوة ، وقدم .

قال له أبو جعفر الباقر عليه السلام إجلس في مسجد المدينة ، وأفت النّاس ، فإني أحب أن يرى في شيعتي مثلك

كان قارئاً ، فقيهاً ، لغوياً ، وكان مقدماً في كل فن من العلم في القرآن ، والفقه والحديث ، والأدب ، والنحو له كتب ، وحاله في الثقة والجلالة شهير جدا التحرير الطاووسي · ٤٩ لمزيد عنه ، راجع جامع الرواة ١/٩ ، فصاعدا

(١) الحديث يا أبان ! . هذه الصلوات الخمس المفروضات . الكافي . ٣/٢٦٧ ـ ٢٦٨ ، التهذيب · ٢/٢٣٩ ، الإختصاص ٥٣

جاء في الخبر دخل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلم المسجد وفيه أناس من أصحابه .

قال أتدرون ما قال ربكم ؟

قالوا . الله ورسوله أعلم

قال « إن ربكم يقول · هذه الصلوات الخمس المفروضات ، من صلاّهن لوقتهن ، وحافظ عليهن ، لقيني يوم القيامة وله عندي عهد أدخله به الجنة . ومن لم يصلهن لوقتهن ، ولم يحافظ عليهن ، فذلك إليّ ، إن شئت عذبته ، وإن شئت غفرت له » الفقيه · ١/١٣٤ ، الوسائل (كتاب الصلاة ٢٥٩ ـ ٢٦٠ ، ثواب الأعمال · ٥٤ ، مكاشفة القلوب . ٢٥١ ، تنبيه الغافلين ١٠١

فائدة ﴿ **قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً * الّذين ضلَ سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً** ﴾[1] خصوصاً إذا ضمّ إلى ذلك ما روى أنّ الصلاة إذا ردّت ردّ سائر عمله كما أنّها إذا قبلت قبل سائر عمله[2] .

فنسأل الله تعالى أن يمنّ علينا من فضله العميم بدوام الإقبال وقبول الأعمال .

المطلب الثالث : في بيان الدواء النافع في حضور القلب .

إعلم* [إنّ المؤمن لا بدّ أن يكون معظّماً لله وخائفاً له وراجياً منه ومستحيياً من تقصيره فلا ينفك عن هذه الأحوال بعد إيمانه وإن كانت قوتها عنده بقدر قوّة يقينه. فانفكاكه عنها في الصلاة لا سبب له إلاّ تفرّق الفكر، وتقسّم الخاطر، وغيبة القلب عن المناجاة والغيبة[3] عن الصلاة. ولا يلهي عن الصلاة إلاّ الخواطر الواردة الشاغلة. فالدّواء في إحضار القلب هو

---

(١) سورة الكهف . الآيتان : ١٠٣ ـ ١٠٤

(٢) ما روي : إنّ الصلاة إذا ردت ، . . مكرر . وقد مر آنفاً : أول ما يحاسب به العبد الصلاة . . .

(*) هذا المطلب مقتبس برمته عن الاحياء ١/١٦٣ ـ ١٦٥ ، مع تصرف قليل ، خصوصاً لجهة حذف بعض الأحاديث والأخبار . والعنوان في كليهما واحد .
أما الأخبار والأحاديث التي أسقطها المصنف ، والتي لا تتعدى في الأصل بضعة عشر سطراً ، فتتعلق بـ .
أ ـ تخمير القدر الذي في البيت .
ب ـ نزعه (ص) الخميصة ، واتيانه بانبجانية أبي جهم .
ج ـ أمره (ص) بنزع سير شراك نعله الحديد ، واستبداله بالقديم
د ـ سجوده (ص) بعد احتذائه نعلاً جديداً ، تواضعاً لله عز وجل .
هـ ـ رميه (ص) الخاتم الذهبي من أصبعه (قبل نزول تحريم تزين الرجال بالذهب) ، دفعاً لفتنته .

(٣) وردت : والغفلة ، الإحياء ١٠/١٦٣ .

دفع تلك الخواطر ولا يدفع الشيء إلاّ بدفع سببه . وسبب توارد[1] الخواطر إمّا أن يكون أمراً خارجاً أو أمراً في ذاته باطناً :

أمّا الخارج فما يقرع السمع أو يظهر للبصر ، فإنّ ذلك قد يخطف الهمّ حتى يتبعه ، ويتصرّف فيه ، ثم ينجرُّ منه الفكر إلى غيره ويتسلسل ، ويكون الإبصار سبباً للأفكار ثم تصير بعض تلك الأفكار سبباً للبعض الآخر ، ومن قويت رتبته[2] وعلت همته ، لم يلهه ما يجري على حواسه . ولكنّ الضعيف لا بدّ أن يتفرّق به فكره . فعلاجه قطع هذه الأسباب بأن يغض بصره أو يصلّي في بيت مظلم أو لا يترك بين يديه ما يشغل حسّه، أو يقرب من حائط عند صلاته حتى لا تتسع مسافة بصره ، ويحترز من الصلاة على الشوارع وفي المواضع المنقوشة المصنوعة[3] وعلى الفرش المزيّنة ولذلك كان المتعبّدون يتعبدون في بيت صغير مظلم سعته بقدر ما يمكن الصلاة فيه ليكون ذلك أجمع للهمّ .

وينبغي أن لا يعدل إلى غمض العينين ما وجدالسبيل إلى القيام بوظيفة النظر وهي جعله قائماً إلى موضع سجوده، وغيره من الأمور المعلومة شرعاً فإنّ تعذر القيام بها مع فتحها فالغض أولى لأنّ الفائت من وظيفة الصلاة وصفتها بتقسّم الخاطر أعظم منه مع الإخلال بوظيفة النظر . وليحضر بباله عند نظره إلى موضع سجوده[4] أنّه واقف بين يدي ملك

---

(١) وردت موارد . الإحياء : ١/١٦٣ .

(٢) وردت بيته . الإحياء . ١/١٦٣ .

(٣) وردت : المصوغة الإحياء . ١/١٦٣

(٤) من حديث طويل للصادق عليه السلام يرويه عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : . . . واخشع ببصرك ، ولا ترفعه إلى السماء وليكن نظرك موقع سجودك ، واشغل قلبك بصلاتك فإنه لا يقبل من صلاتك إلاّ ما أقبلت عليه منها بقلبك . . . وليكن قيامك في الصلاة قيام العبد الذليل بين يدي الملك الجليل . واعلم أنك بين يدي من يراك ولا تراه الفقيه · ١/١٩٨

عظيم يراه ويطّلع على سريرته وباطن قلبه وإن كان هو لا يراه ، وإنّ التوجّه إليه لا يكون إلّا بوجه القلب ، ووجه الرأس مثال ومضاف بالتّبع وإنّه يخاف إن ولّاه ظهر قلبه أن يطرده عن باب كرمه ، ويسلبه عن مقام خدمته، ويبعده عن جناب قدسه ومقدس حضرته، وكيف يليق بالعبد أن يقف بين يديّ سيّده ويولّيه ظهره[1] ، ويجعل فكره في غير ما يطلبه منه ؟

لا ريب في أنّ هذا العبد مستحق للخذلان مستوجب للحرمان في الشاهد والخسيس والقياس البعيد، فكيف في المقصد الأصلي والملك الحقيقي .

وقد ورد في الحديث « إنّ الله لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم »[2] .

فبهذا ونظائره تجتمع الهمّة ، ويصفو القلب ، وينحصر بالنظر إلى الأمور الخارجية .

وأمّا الأسباب الباطنية فإنّها أشدّ ، فإنّ من تشعّبت به الهموم في أودية الدّنيا لم ينحصر فكره في فنّ واحد بل لا يزال يطير من جانب إلى جانب ، وغضّ البصر لا يغنيه . فإنّ ما وقع في القلب كاف للشغل . فهذا طريقه أن يردّ النفس قهر إلى فهم ما يقرأه في الصلاة ويشغلها به

---

(١) يعني : كما أن تولية العبد ظهره في العالم الشاهد الخسيس ، عن سيده ، المجازي ، أو الملك المجازي في حال وقوفه بين يديه ، موجب للخذلان والحرمان ، فذلك القياس إلى السيد الأصلي والملك الحقيقي أقبح وأشد إيجاباً للخذلان والحرمان ، مع أن هذا القياس بعيد ، إذ لا نسبة بين المقامين حتى يتم قياس أحدهما على الآخر . (حاشية الأصل : ١٠) .

(٢) الحديث : إن الله لا ينظر إلى صوركم . مكارم الأخلاق : ٤٦٩ ، جامع السعادات : ١١٢/٣ . (مع بعض زيادة) ، الآداب المعنوية : ١٣٣ ، الإحياء : ٣٦٢/٤ ـ أخرجه مسلم ـ عجائب القرآن : ٧٧ . تنبيه الغافلين : ١٧٤

عن غيـره ويعينه على ذلـك ، أن يستعدّ قبـل التّحريـم ، بـأن يجدّد على نفسه ذكر الآخرة ، وموقف المناجاة ، وخطر المقام بين يدي الله تعالى ، وهول المطلع ، ويفرغ قلبه قبل التحريم[1] بالصلاة عمّا يهمّه ، فلا يترك لنفسه شغلاً يلتفت إليه خاطره ، فهذا طريق تسكين الأفكار . فإن كان لا يسكن هـائج أفكـاره بهذا الـدواء المسكّن فلا ينجيـه إلّا المسهـل الـذي يقمع[2] مادة الدّاء من أعماق العروق ، وهو أن ينـظر في الأمور الشـاغلة الصارفة له عن إحضار القلب ولا شك أنّها تعود إلى مهمّاته ، وإنّها إنّمـا صارت مهمّاتٍ لشهواته ، فيعاقب نفسه بـالنزوع[3] عن تلك الشهـوات ، وقطع تلك العلائـق وكلّ ما يشغله عن صلاته ، فهـو ضدّ دينـه ، وجند إبليس عدوّه ، فإمساكه أضرّ عليه من إخـراجه ، فيتخلّص منه بإخـراجه وقـد روي أنّ بعضهم[4] صلّى في حـائط[5] لـه فيـه شجـرة ، فـأعجبـه ريش[6] طائر في الشجرة يلتمس مخرجاً فاتبعه نظره ساعة ، لم يذكر كم صلّى ، فجعل حائطه صدقة ندماً ورجاءً للعوض عمّا فاتـه[7] .

وهكذا كانوا يفعلون قطعاً لمادّة الفكر وكفّارة لما جرى من نقصـان الصـلاة[8] .

---

(١) وردت : قبل الدحول في حرمها بتكبيرة الإحرام . الإحياء : ١٦٤/١ .

(٢) يقمع : يستأصل .

(٣) النزوع : الترك .

(٤) هو أبو طلحة ، المصدر السابق .

(٥) أي بستان

(٦) محرف عن : أعجبه دبسي طار ، المصدر السـابق . والقنطر الـدبسي من الطيـر (يمانيـة) لسان العرب : ١١٩/٥ ، منسوب إلى طير دبس . لسان العرب : ١٣٥/٥ .

(٧) ورد هـذا الخبر لـدى جل من عـالج مـوضوع تـوجه القلب في الصـلاة . بدءاً من الغـزالي ، وانتهاء بدستغيب نور الله مثواه ، والخميني ، أعلى الله درجته .

(٨) عـن عبد الله بن مسعود أنه فاتتـه تكبيرة الإحـرام يومـاً فأعتق رقبـة ، وجاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم . =

وكـان بعضهم إذا فاتتـه صلاة في جمـاعة أحيـا تلك الليلة ، وآخر أخّـر صلاة المغـرب حتى طلع كـوكبـان ، فـاعتق رقبتين ، وثـالـث أخـر ركعتي الفجر فأعتق رقبة ، كلّ ذلـك مجاهـدة للنفس ، ومناقشـة لها في الغفلة عمّا فيه حظها .

فهذا هو الدواء القامع لمادّة العلّة ، ولا يغني غيره ، فإنّ ما ذكرنـاه من التلطّف بـالتسكين والـردّ إلى فهم الـذكـر ، فينفـع في الشهـوات الضعيفة ، والهمم التي لا تشغل إلاّ حواشي القلب . فأمّا الشهوة القـوية المـرهقة فـلا ينفع فيهـا التسكين ، بل تجـاذبها وتجـاذبـك ، ثم تغلبـك وتنقضي جميع صلاتك في شغل المجاذبة .

ومثـاله رجـل تحت شجرة أراد أن يصفـو له فكـره فكانت أصـوات العصافير تشوّش عليه ، فلم يزل يطيرها بخشبة في يده ويعود إلى فكره ، فتعود العصافير فيعود إلى التنفير بالخشبة ، فقيل له[1] إن أردت الخلاص فاقلع الشجرة

فكذلك شجرة الشهوة إذا تشعبت وتفرعت أغصانهـا انجذبت إليهـا الأفكار انجذاب العصافير إلى الأشجار ، وانجذاب الذباب إلى الأقذار ، والشغـل يطول في دفعهـا ، فإن الـذبّـاب كلّمـا ذبّ[2] آب ،ولأجله سمي بالذباب .

= وقال : يا رسول الله ، فاتتني تكبيرة الإحرام فأعتقت رقبة ، هل كنت مدركاً فضلها ؟
فقال : لا .
قال ابن مسعود : ثم أعتقت أخرى ، فهل كنت مدركاً فضلها ؟.
فقـال : لا يا ابن مسعـود . لو أنفقت مـا في الأرض جميعاً لم تكن مـدركـاً فضلهـا . الأنـوار النعمانية : ٢/٣٤١ ، وسيشار إلى ذلك ، بعد قليل .
قال الجنيد : لكل شيء صفوة ، وصفوة الصلاة التكبيرة الأولى . عوارف المعارف : ٣٠٨ .

(١) فقيل له : هذا أسير السواني ولا ينقطع ، فإن أردت الخلاص . . . الإحياء : ١/١٦٥ .

(٢) ذب : دفع وطرد .

فكـذا الخواطـر . فهـذه الشهـوات كثيـرة وقلمـا يخلو العبـد عنها . ويجمعها أصل واحد وهو حبّ الدنيا ، وذلك رأس كل خطيئة[1] وأساس كلّ نقصان ومنبع كلّ فساد ، ومن انطوى باطنه على حبّ الدنيا حتّى مال إلى شيء منها ، لا ليتزودّ منها ويستعين بها على الآخرة، فلا يـطمعنّ في أن تصفـو له لذّة المناجاة في الصلاة فإن من فرح بـالدنيـا فلا يفـرح بالله وبمناجاته ، فإن كانت الدّنيا قرّة عينه إنصرف لا محالة إليها همّه ، وهمة الرجل مع قرّة عينه[2] ولكن مع هذا فلا ينبغي أن يترك المجاهـدة ، وردّ القلب ألى الصلاة ، وتقليل الأسباب الشاغلة .

وأمّا من كانت الدنيا معه وليس هو معها ، وإنّما يصرفها حيث أمره الله تعالى ، ويستعين بها على طاعة الله ويتزود منها إلى الآخـرة ، وهمّته مجتمعـة في ما يبقى ، ويجعلهـا من أسباب الكمـال ومقدّمـاته فـلا بأس عليه . فقد قال (ص) : « نعم العون على تقوى الله الغنى »[3] .

إلاّ أنّ ذلك محلّ الغرور ، وموضـع تلبيس إبليس عليه لعنـة الله ، فليحـذر المستيقظ عند ذلـك ، ولا يزال يـراجع عقله ، ويمتحن قلبـه ،

(١) عن عيسى عليه السلام من حديث قدسي : واعلم أن رأس كل خطيئة وذنب هو حب الـدنيا . الكافي ١/١٤١ . وقد تكرر هذا الحـديث الشريف ، مـع تقديم لفظ ، أو تـأخيره أحيـاناً ، ولكن ، بالمعنى نفسه دائماً على لسان كـل من : رسـول الله صلى الله عليـه وآلـه وسلم . الإحياء : ٣/٤١٣ أمير المؤمنين عليه السلام . تحف العقـول : ١٥٣ ، زين العابـدين عليه السـلام . الكـافي . ٢/٣١٧ ، أبي عبـد الله عليـه السـلام . الكـافي : ٢/٣١٥ ، والآداب المعنوية : ١٠١ .

(٢) وردت هذه الجملة كما يلي :

أ ـ وهمة الرجل مع قرة عينه . فإن كانت قـرة عينه في الـدنيا انصـرف لا محالـة أليها همـه . الإحياء ١/١٦٥؛

ب ـ وهمة الرجل مع قرة عينه ، فإن كانت في الـدنيا ، فهمُـه فيها ، وإن كـانت في الصلاة ، فهمه فيها : أسرار الصلاة (ت) : ١٢٤ .

(٣) وبمعناه : نعم المال الصالح للرجل الصالح . الإحياء : ٣/٢٣٤ .

حذرا من أن يدخل عليه الخطر والكدر ، وهو لا يشعر ، ولا بـرهان على ذلك أقوى من الوجدان .

فهـذا هو الـدواء المر ، ولمـرارته استبشعتـه أكثر الـطباع ، وبقيت العلّة مـزمنة ، وصـار الداء عضـالاً ، حتّى إنّ الأكابـر اجتهدوا أن يصلوا ركعتين لا يحدِّثون فيهما أنفسهم بأمور الدّنيا فعجزوا عن ذلك[1] .

فـإذاً لا مطمـع فيها لأمثـالنا وليتـه سلم لنا من الصـلاة شـطرهـا أو ثلثها[2] من الوسواس فنكون ممّن خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً[3] .

وعلى الجملة ، فهمّـة الدنيـا وهمة الآخـرة في القلب مثـل المـاء الذي يصّب في قدح مملوء بالخلّ ، فبقدر ما يدخل من المـاء يخرج من الخلّ ولا يجتمعان .

فتدبّر هذه الجملة وفقك الله وإيّانا إلى الرّشاد وأوقفنـا على مناهـج السداد .

فهذا ما يتعلق به الغرض من المقدمة .

---

(١) وإلى هذا المعنى إشارة جملة من الأحاديث النبوية الشريفة ، منها :
من صلى ركعتين لم يحدث نفسه فيهما بشيء من الدنيا ، غفر الله له ذنوبه (وقد تقدم) .

(٢) إشارة إلى الحديث : إن من الصلاة لما يقبل نصفها أو ثلثها . . (وقد تقدم) .

(٣) إشارة إلى الآية . ﴿ وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً . ﴾ . سـورة التوبة : الآية ١٠٢ .



أسرار الطهارة والنجاسة



الفصل الأول

في المقدّمات : وهي واجبة ومندوبة .

فالواجبة : الطهارة وإزالة النجاسة وستر العورة ، والمكان الذي يصلّي فيه ، والوقت ، والقبلة[1] .

والمندوبة : كثيرة ، كالمسجد والأذان والإقامة والتوجه بست تكبيرات .

ولكلّ واحدة من هذه المقدّمات وظائف قلبية ، وأسرار خفية ، يطلّع عليها بصفاء العقل ، وما نذكره من الوظائف كالمدرج إلى الريادة والمرقاة إلى غيره من دقايق العبادة .

في أسرار الطّهارة ومعناها :

أمّا الطهارة : فليستحضر في قلبه أنّ تكليفه فيها بغسل الأطراف الظّاهرة ، وتنظيفها لاطّلاع الناس عليها ، ولكون تلك الأعضاء مباشرة

(١) عند الغزالي : أما الشروط السوابق ، فهي : الأذان ، والطهارة ، وستر العورة ، واستقبال القبلة ، والإنتصاب قائماً ، والنية . الإحياء : ١/١٦٥ .

للأمور الدنيوية ، منهمكة في الكدورات الدّنية ، فلأن يطهّر مع ذلك قلبه[١] الّذي هو موضع نظر الحقّ ، فإنه « لا ينظر إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم »[٢] ولأنه الرئيس الأعظم لهذه الجوارح والمستخدم لها في تلك الأمور والمبعّدة عن جنابه تعالى وتقدّس ، أولى وأحرى . بل هذا تنبيه واضح على ذلك وبيان شاف على ما هنالك ، وليعلم من تطهير تلك الأعضاء عند الإشتغال بعبادة الله تعالى ، والإقبال عليه ، والإلتفات عن الدّنيا بالقلب والحواس ، لتلقّي السّعادة في الآخرة . إنّ الدّنيا والآخرة ضرّتان كلّما قربت من إحداهما بعدت عن الأخرى[٣] فلذلك أمر بالتطهير من الدّنيا عند الإشتغال والإقبال على الآخرة .

فأمر في الوضوء[*] بغسل الوجه لأنّ التّوجّه والإقبال بوجه القلب على الله تعالى به ، وفيه أكثر الحواس الظاهرة التي هي أعظم الأسباب الباعثة على مطالب الدنيا . فأمر بغسله ليتوجّه به وهو خال من تلك الأدناس ، ويترقى بذلك إلى تطهير ما هو الرّكن الأعظم[٤] في القياس .

---

(١) عن المعصوم ، لا تجوز صلاة امرىء حتى يطهر جوارحه الخمس . الوجه ، واليدين ، والرجلين ، بالماء ، والقلب ، بالتوبة الأنوار النعمانية : ٢/٣٣٤ .

(٢) الحديث : إن الله لا ينظر إلى صوركم . مرَّ آنفاً .

(٣) الحديث . الدنيا والآخرة ضرتان . سيمر لاحقاً

(*) الوضوء في حديث المعراج

ثم قال ربي يا محمد ! . مُدَّ يديك ، فيتلقاك ماء يسيل من ساق العرش الأيمن . فتلقيته باليمنى ثم قال : يا محمد ! . . خذ هذا الماء فاغسل به وجهك ـ وعلة غسل الوجه أنك تريد أن تنظر إلى عظمتي وأنت طاهر . ـ ، ثم إغسل ذراعيك الأيمن والأيسر ، ـ وعلة ذلك أن تريد أن تتلقى بين يديك كلامي ـ . وامسح على رأسك بفضل ما بيديك من الماء ، ورجليك إلى كعبيك ، وعلة المسح أني أريد أن أوطئك موطئاً لم يطأه أحد من قبلك ولا يطأه أحد غيرك ! الآداب المعنوية : ١٤٧ ، وقريب منه في الكافي : ٣/٤٨٥

أنظر . صفة وضوء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في : الفقيه : ١/٢٤ ـ ٢٥ .

وصفة وضوء أمير المؤمنين عليه السلام المصدر السابق ، أربعون البهائي : الحديث الخامس .

(٤) أي . القلب ، الذي عبر عنه بالرئيس الأعظم ، مر مسطور .

ثم أمر بغسل اليـدين ، لمباشـرتهما أكثـر أحوال الـدّنيا الـدّنيـة ، والشهـوات الطبيعيّـة ، ثم بمسـح الـرّأس لأنّ فيـه القـوة والمفكـرة التي يحصل بوٰاسطتها القصد إلى تناول المرادات الطّبيعيـة ، وتنبعث الحواس حينئـذٍ إلى الإقبـال على الأمـور الـدّنيـويـة ، دون الإقبـال على الآخـرة السنية ، ثم بمسح الرجلين لأنّ بهما يتـوصّل إلى مـطالبه ، ويتـوسّل إلى تحصيـل مآربـه على نحو مـا ذكر في بـاقي الأعضاء ، وحينئـذ يسوغ لـه الدّخول في العبادة، والإقبال عليها فائزاً بالسّعادة[1] .

وأمـر في الغُسل بغسـل جميـع البشـرة لأنّ أدنى حـالات الإنسـان وأشدها تعلّقـاً وتملّكاً بـالملكات الشهـويّة ، حـالة الجمـاع ، وموجبـات الغسل ولجميع بدنه مدخل في تلك الحـالة ، ولهـذا قال صلّى الله عليـه وآله : « إنّ تحت كلّ شعرة جنابة »[2] .

فحيث كـان جميع بـدنه بعيـداً من المـرتبـة العلّيـة ، منغمسـاً في اللّذات الدّنيّة ،كان غسله أجمع من أهمّ المطالب الشرعيّة ليتأهلّ لمقابلة الجهة الشريفة والدّخول في العبادة المنيفة ، ويبعد عن القـوى الحيوانيـة واللّذّات الدنياوية .

ولمّـا كان للقلب من ذلـك الحظّ الأوفـر والنصيب الأكمـل ، كـان

---

(١) « وعلة الوضوء ، [في الحديث] التي من أجلها صار غسل الوجه والذراعين ، ومسح الرأس والرجلين فلقيامه بين يدي الله عز وجل ، واستقباله إياه بجوارحه الطاهرة ، وملاقاته بها الكرام الكاتبين فغسل الوجه للسجود والخضوع ، وغسل اليدين ليقلبهما ويرغب بهما ، ويرهب ، ويتبتل ، ومسح الرأس والقدمين لأنهما ظاهران مكشوفان ، يستقبل بهما في كل حالاته »
من أجوبة الإمام الرضا عليه السلام لمحمد بن سنان عن مسائله في الصلاة عيون أخبار الرضا : ٩٦/١ وهنالك تعليل آخر للوضوء كما بينه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، لنفر من اليهود سألوه عن ذلك . الآداب المعنوية ٠ ١٣٥ .

(٢) الحديث . إن تحت كل شعرة جنابة : لم نعثر عليه

الإشتغال بتطهيره من الرّذائل ، والتّوجّهات المانعة من درك الفضائل ، أولى من تطهير تلك الأعضاء الظّاهرة عند اللبّيب العاقل .

وأمر في التّيمّم بمسح تلك الأعضاء بالتّراب عند تعذّر غسلها بالماء الطّهور ، وضعاً[1] لتلك الأعضاء الرّئيسية وهضماً لها بتلقيها بأثر التربة الخسيسة ، وهكذا يخطر أنّ القلب إذا لم يمكن تطهيره من الأخلاق الرّذيلة وتحليته بالأوصاف الجميلة فليقمه في مقام الهضم والإزراء وليسقه بسياط الذّلّ والاغضاء، عسىٰ أنْ يطلّع عليه مولاه الرّحيم ، وسيّده الكريم ، وهو منكسر متواضع . فيهبه نفحة من نفحات نوره اللامع ،فإنّه عند القلب المنكسرة ، كما ورد في الاثر[2] فترقّ من هذه الإشارات ونحوها ، إلى ما يوجب لك الإقبال ، وتلافي سالف الإهمال .

ومن الأسرار الواردة في الأثر من نظائر ذلك قول الصادق (ع) : « إذا أردت الطّهارة فتقدّم إلى الماء تقدمك إلى رحمة الله تعالى فإنّ الله قد جعل الماء مفتاح قربته ومناجاته ، ودليلا إلى بساط خدمته ، وكما أنّ رحمته تطهّر ذنوب العباد ، كذلك النجاسات الظاهرة يطهرها الماء لا غير .

قال الله تعالىٰ : ﴿ وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته ﴾[3] . ﴿ وأنزلنا من السّماء ماء طهورا ﴾[4]، وقال عزّ وجلّ : ﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حيّ أفلا يؤمنون ﴾[5] .

---

(١) وضعا : مفعول له ، أو لأجله ، وكذلك ، هضما

(٢) سمر ذلك في الحديث عن رفه العلب

(٣) سوره الأعراف : الايه ٥٧

(٤) سوره الفرقان · الايه ٤٨

(٥) سوره الأنبياء الايه ٣٠

فكمّا أحيا كلّ شيء من نعيم الدّنيا ، كذلك بفضله ورحمته جعل حياة القلوب بالطّاعات . وتفكّر في صفاء الماء ورقته ، وطهوره وبركته ، ولطيف امتزاجه بكلّ شيء ، وفي[1] كلّ شيء واستعمله في تطهير الأعضاء التي أمرك الله بتطهيرها وأتِ بآدابها في فرائضه وسننه ، فإنّ تحت كلّ واحدة منها فوائد كثيرة . فإذا استعملتها بالحرمة انفجرت لك عين فوائده عن قريب .

ثمّ عاشِرْ خلق الله تعالىٰ كامتزاج الماء بالأشياء يؤدّي إلى كلّ شيء حقّه ، ولا يتغير عن معناه، معتبراً لقول رسول الله (ص) : « مثل المؤمن الخالص كمثل الماء » .

ولتكن صفوتك مع الله تعالىٰ في جميع طاعاتك كصفوة الماء حين أنزله من السّماء وسمّاه طهوراً . وطهّر قلبك بالتقوى واليقين عند طهارة جوارحك بالماء »[2] .

وفي علل ابن شاذان[3] عن الرضا (ع) إنّما أُمر بالوضوء ليكون العبد طاهراً إذا قام بين يدي الجبّار وعند مناجاته إيّاه ، مطيعاً له في ما أمره ، نقياً من الأدناس والنجاسة ، مع ما فيه من ذهاب الكسل ، وطرد النعاس ، وتذكية الفؤاد للقيام بين يدي الجبار .

وإنّما وجب على الوجه واليدين ، والرأس والرجلين ، لأنّ العبد إذا قام بين يدي الجبّار ينكشف عن جوارحه ويظهر ما وجب فيه الوضوء وذلك إنّه بوجهه يسجد ويخضع ، وبيده يسأل ، ويرغب ، ويرهب ،

---

(١) إشارة لطيفة منه عليه السلام إلى الفرق بين الخلط ، والمزيج .

(٢) مصباح الشريعة الباب الستون (في الطهارة) . ١٢٨ - ١٢٩

(٣) الفضل بن شاذان ويكنى أبا محمد الأزدي ثقة جليل، فقيه ، متكلم ، صنف مئة وثمانين كتابا ترحم عليه أبو محمد عليه السلام مرتين ، وقال فيه : أغبط أهل خراسان بمكان الفضل بن شاذان ، وكونه بين أظهركم جامع الرواة ٢/٥

ويتبتـلّ ، وبرأسـه يستقبله في ركوعـه وسجوده ، وبـرجليه يقـوم ويقعد . وأمر بالغسل من الجنابة دون الخلاء لأنّ الجنـابة من نفس الإنسـان وهي شيء يخرج من جميع جسده ،والخلاء ليس هو من نفس الإنسان إنّمـا هو غذاء يدخل من باب ويخرج من باب » .

وأمّا إزالة النجاسة فالكلام فيها نحو الكلام في الطّهارة في التذكيـر بتـطهير القلب من نجـاسة الأخـلاق ومساويهـا ، فإنّـك إذا أمرت بتـطهير ظاهر الجلد وهو القشر وبتطهير الثياب وهي أبعد من ذاتك [(*)فلا تغفل عن تطهير لبّك الذي هو ذاتك ، وهو قلبك ، فاجتهد لـه تطهيـراً بالتـوبة والنّـدم على ما فـرطّ ، وتصميم العزم على تـرك العـود في المستقبـل . وطهّر بها باطنك فإنّه موقع نظر المعبود] وتـذكر بتخليـك لقضاء الحـاجة نقصك وحاجتك ، وما تشتمل عليه من الأقذار وما في باطنك وانت تزين ظاهرك للنّاس ، والله تعالى مـطّلع على خبث باطنـك ، وخسة حـالك ، واشتغـل بإخـراج نجاسـات الباطن ، والأخـلاق الـداخلة في الأعمـاق ، المفسدة لك على الإطـلاق ، لتستريـح نفسك عنـد إخراجهـا ، ويسكن قلبـك من دنسها ، ويخف لبـك من ثقلها ، وتصلح للوقـوف على بساط الخدمة ،والتأهّل للمناجاة ولا تستر ما ظهر منك فلا بدّ أن يظهر عليك ما تظن [أنك مخفيه](1) لأن الطبيعة تظهـر ما يكنّ فيهـا(2) فتفتضح حينئـذٍ بما سترته عن النّاس كما يفعل الله بكلّ مدلس .

قال الصادق (ع) : « سمي المستـراح مستراحـاً لاستراحـة النفوس من أثقـال النجاسـات واستفراغ الكثـافات والقـذر فيهـا ، والمؤمن يعتبـر عنـدها أن الخـالص من حطام الـدّنيا كـذلك نصيـر عاقبتـه ، فيستـريـح

(*) ما بين الحاصرتين . [فلا تغفل . . نظر المعبود] ، مقتبس عن الإحياء ١٠/ ١٦٥ .

(١) تظن [أنك مخفيه] ، وهو أنسب بكلامهم

(٢) يكن يستتر

بالعدول عنها ، وتركها ، ويفرغ نفسه وقلبه عن شغلها ، ويستنكف عن جمعها وأخذها ، واستنكافه عن النجاسة والغائط والقذر ، ويتفكر في نفسه المكرّمة[1] في حال، كيف تصير ذليلة في حال ، ويعلم أن التمسك بالقناعة والتقوى يورث له راحة الدارين ، وأنّ الراحة في هوان الدّنيا والفراغ من التمتع بها ، وفي إزالة النجاسات من الحرام والشبهة ، فيغلق عن نفسه باب الكبر بعد معرفته إياها ، بأنها مع كونها في حال كيف صارت ذليلة في حال . ويفر من الذنوب ، ويفتح باب التواضع والندم والحياء ، ويجتهد في أداء أوامره واجتناب نواهيه طلباً لحسن المآب وطيب الزلفى ، ويسجن نفسه في سجن الخوف والصبر ، والكف عن الشهوات إلى أن يتصل بأمان الله في دار القرار ، ويذوق طعم رضاه ، فإن المعقول ذلك وما عداه لا شيء »[2] .

في أسرار ستر العورة

[(*)وأما ستر العورة فاعلم أن معناه تغطية مقابح بدنك عن أبصار الخلق ، فإنّ ظاهر بدنك موقع نظر الخلق فما بالك في عورات باطنك ومقابح سرّك التي لا يطلع عليها إلاّ ربّك .

فاحضر تلك المقابح ببالك ، وطالب نفسك بسترها وتحقّق أنه لا يستر عن عين الله ساتر وإنّما يسترها ويكفرها[3] الندم والحياء والخوف ، فتستفيد بإحضارها في قلبك انبعاث جنود الخوف والحياء من مكامنهما

---

(١) من الآية : ﴿ ولقد كرمنا بني آدم ﴾ .

(٢) مصباح الشريعة : الباب التاسع والخمسون (في التبرّز) : ١٢٦ ـ ١٢٧ .

(*) ما بين الحاصرتين : [وأما ستر العورة . من الحياء والخوف] ، مقتبس عن الإحياء : ١٦٦/١ .

(٣) وردت : يغفرها المصدر السابق .

فتذل بها نفسك، ويستكين تحت الخجلة قلبك، وتقوم بين يدي الله تعالى قيام العبد المجرم المسيء الآبق الذي ندم فرجع إلى مولاه ناكساً رأسه من الحياء والخوف]

قال الصّادق عليه السلام: «أزين اللباس للمؤمنين لباس التقوى وأنعمه الإيمان فإن الله عزّ وجلّ قال: ﴿ **ولباس التقوى ذلك خير** ﴾(١).

وأمّا لباس الظاهر فنعمة من الله يستر بها عورات بني آدم وهي كرامة أكرم الله بها عباده من ذريّة آدم (ع) ما لم يكرم غيرهم وهي للمؤمنين آلة لأداء ما افترض الله عليهم.

وخير لباسك ما لا يشغلك عن الله عزّ وجلّ بل يقرّبك من شكره، وذكره وطاعته، ولا يحملك فيها على العجب والرياء، والتزين والمفاخرة والخيلاء، فإنّها من آفات الدّين ومورثة القسوة في القلب.

وإذا لبست ثوبك فاذكر ستر الله تعالى عليك ذنوبك برحمته. والبس باطنَك بالصدق، كما لبست ظاهرك بثوبك. وليكن باطنك في ستر الرهبة، وظاهرك في ستر الطاعة، واعتبر بفضل الله عزّ وجلّ حيث خلق أسباب اللباس لستر العورات الظاهرة، وفتح أبواب التوبة والإنابة ليستر بها عورات الباطن من الذنوب، وأخلاق السوء، ولا تفتضح أحداً حيث ستر الله عليك أعظم منه، واشتغل بعيب نفسك، واصفح عما لا يعنيك حاله وأمره، واحذر أن تفني عمرك بعمل غيرك ويتجر برأس مالك غيرك وتهلك نفسك، فإن نسيان الذنوب من أعظم عقوبة الله تعالى في العاجل وأوفر أسباب العقوبة في الآجل. وما دام العبد مشتغلاً بطاعة الله ومعرفة عيوب نفسه وترك ما يشين في دين الله فهو بمعزل عن الآفات

---

(١) سورة الأعراف الآية ٢٦.

غائص في بحر رحمة الله عزّ وجلّ ، يفوز بجواهر الفوائد من الحكمة والبيان ، وما دام ناسياً لذنوبه ، جاهلاً بعيوبه ،راجعاً إلى حوله وقوته ، فلا يفلح إذاً أبداً »[١] .

في أسرار المكان

وأمّا المكان فاستحضر فيه أنك كائن بين يدي ملك الملوك[٢] تريد مناجاته والتضرع إليه ، والتماس رضاه ، ونظره إليك بعين الرحمة ، فانظر مكاناً يصلح لذلك كالمساجد الشريفة والمشاهد المطهَّرة مع الإمكان ، فإنّه تعالى جعل تلك المواضع محلاً لإجابته ومضمنةً لقبوله ورحمته ، ومعدناً[٣] لمرضاته ومغفرته ، على مثال حضرة الملوك الذين يجعلونها وسيلة لذلك .

فادخلها ملازماً للسكينة والوقار ، مراقباً للخشوع والإنكسار ، سائلاً أن يجعلك من خاص عباده وأن يلحقك بالماضين منهم ، وراقب الله كأنّك على الصّراط جائز ، وكن متردّداً بين الخوف والرجاء ، وبين القبول والطرد ، فيخشع حينئذٍ قلبك ، ويخضع لبّك ، وتتأهّل لأن تفيض عليك الرحمة ، وتنالك يد العاطفة ، وترعاك عين العناية .

قال الصادق عليه السلام : « إذا بلغت المسجد فاعلم أنك قصدت باب ملك عظيم لا يطأ بساطه إلاّ المطهرون ، ولا يؤذن لمجالسته إلاّ الصديقون وهَبِ القدوم إلى بساط خدمة الملك ، هيبة الملك ، فإنّك على خطر عظيم إن غفلت .

---

(١) مصباح الشريعة : الباب الثالث عشر (في اللباس) : ٣٠ ـ ٣١ .

(٢) دأب المصنف على هذا التشبيه ، متأثراً بأئمة أهل البيت عليهم السلام ، وبسلفه أبي حامد الغزالي ، في إحيائه .

(٣) المعدن : الأصل .

واعلم أنّه قادر على ما يشاء من العدل والفضل معك وبك ، فإن عطف عليك بفضله ورحمته ، قبل منك يسير الطّاعة وأجزل لك عليها ثواباً كثيراً وإن طالبك باستحقاقه الصّدق والإخلاص عدلاً[1] بك ، حجبك وردّ طاعتك ، وإن كثرت ، وهو فعال لما يريد .

واعترف بعجزك وتقصيرك ، وانكسارك وفقرك بين يديه ، فإنك قد توجّهت للعبادة له ، والمؤانسة به ، وأخلِ قلبك عن كل شاغل يحجبك عن ربّك فإنّه لا يقبل إلاّ الأطهر والأخلص[2] ، فإن ذقت من حلاوة مناجاته ولذيذ مخاطباته ، وشربت بكأس رحمته وكراماته ، من حسن إقباله وإجاباته ، فقد صلحت لخدمته ، فادخل ، فلك الإذن والأمان ، وإلاّ فقف وقوف مضطرّ قد انقطع عنه الحيل ، وقصر عنه الأمل ، وقضى عليه الأجل .

فإذا علم الله من قلبك صدق الإلتجاء إليه نظر إليك بعين الرأفة والرحمة ، واللطف والعطف ، ووفّقك لما يحب ويرضى ، فإنّه كريم مجيب يحبّ الكرامة لعباده المضطرين إليه ، قال الله تعالى : ﴿ **أمّن يجيب المضّطر إذا دعاه ويكشف السوء** ﴾ »[3] .

في أسرار الوقت :

وأمّا الوقت : فاستحضر عند دخوله أنّه ميقات جعله الله تعالى لك

---

(١) وإلى ذلك يشير الإمام الصادق عليه السلام أيضاً بقوله : إني لا أخاف منك إلاّ عدلك ، ولا أرجو الفضل والعفو إلاّ من عندك . الصحيفة الصادقية ٩١ .
وإشارة المهدي عجل الله فرجه . فإن تعذبني فبذنوبي غير ظالم ، وإن تغفر لي وترحمني فإنك جواد كريم . الصحيفة المهدية . ١٨٦

(٢) وسترد في هذا المعنى جملة أحاديث وأخبار

(٣) مصباح الشريعة . الباب الواحد والستون (في دخول المسجد) : ١٣٠ ـ ١٣١ .

لتقوم فيه بخدمته وتتأهل للمثول في حضرته ، والفوز بطاعته . وليظهر على قلبك السّرور ، وعلى وجهك البهجة عند دخوله ، لكونه سبباً لقربك ، ووسيلة إلى فوزك . فاستعد له بالطهارة والنّظافة ، ولبس الثياب الصّالحة للمناجاة ، كما تتأهب عند القدوم على ملك من ملوك الدّنيا ، وتلقاه بالوقار والسكينة ، والخوف والرجاء ، فإن الرحمة عميمة[1] ، والفضل قديم[2] ، والأخذ[3] والإستدراج[4] متحقق ، والطّرد عند التقصير متوجه ، فكن بين ذلك قواماً[5] .

والزم الخضوع والخشوع والذّل والإنكسار ، فإنّه تعالى عند الموصوف بذلك ومثّل في نفسك لو أنّ ملكاً من ملوك الأرض وعدك بأن يكتبك في وقت معين من خواصّه القائمين بين يديه ببعض خدمته ويخاطبك وتخاطبه ، على طريق الإنبساط والأنس[6] في مخاطباتك ، وتطلب منه ما تحتاج إليه من مهماتك ، ويجعلك عنده من مقربي العباد ، ويخلع عليك خلعةً سنية بين الأشهاد ، ويجعل ذلك إلى مدّة طويلة ، وغاية بعيدة ، مع أنّه لا يؤثّر ذلك في حظك عند الله تعالى ، بل يزيده . . .

---

(١) من قوله عز وجل ﴿ ورحمتي وسعت كل شيء ﴾ .

(٢) من قوله عز وجل ﴿ والله ذو الفضل العظيم ﴾

(٣) من قوله عز وجل ﴿ وكذلك أخذُ ربك إذ أخذ القرى وهي ظالمة ، إن أخذه أليم شديد ﴾ .

(٤) من قوله عز وجل : ﴿ والذين كذبوا بآياتنا ستستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملي لهم إنَّ كيدي متين ﴾

(٥) من قوله عز وجل : ﴿ وكانوا بين ذلك قواماً ﴾ (أي : وسطاً وعدلاً)

(٦) استبشار القلب وفرحه لما انكشف له من قرب الله تعالى وجماله وكماله . روضة الطالبين : ١٤٨ - ١٤٩

وقال الواسطي : لا يصل إلى محل الأنس من لم يستوحش من الأكوان كلها : روضة الطالبين ١٥٢

أما كنت منتظراً ذلك الوقت قبل إبانه[1] ، وتهتم له قبل أوانه ، وتفرح بقربه فضلاً عن دخوله ،وتزيد بهجتك وسرورك عند وصوله ؟

فلا تجعل عناية الله جلّ جلاله بك ، وإعدادك لمخاطبتك له ومخاطبته لك ، وكتبه إيّاك في ديوان المقربين بالصلاة التي هي أفضل الأعمال ، وسجودها أوجب القرب[2] إلى حضرته ، والفوز بمحبّته ، كما ورد في كتابه الحكيم : ﴿ **فاسجد واقترب** ﴾ ، ووعد به رسوله الكريم[3] ، وخلعته الدائمة في الدار الصافية ، دون[4] تقريب ملك من ملوك الدنيا ، مع عجزه عن نفعك ، بدون توفيق الله تعالى له ، وعدم الوثوق الحقيقي بوفائه ودوامه مدّة يسيرة ، على تقدير وقوعه .

ومن هنا كان النبي (ص) ينتظر وقت الصلاة ويشتدّ شوقه ويترقّب دخوله ويقول لبلال مؤذّنه : « أرحْنا يا بلال »[5] أشار بذلك إلى أنه في تعب شديد من عدم اشتغاله بهذه التكليفات ، وقيامه بوظائف الصلاة وإن كان سرّه لا يخلو من ضروب من المناجاة ،إلاّ أن قُرّة عينه في الصلاة كما قال عليه أفضل الصلاة والتّحيات[6] .

---

(١) الإبّان : الوقت والأوان يقال : لكل شيء إبان . أي : وقت ، وحين . والفاكهة في إبانها : في موسمها

(٢) إشارة إلى الآية الكريمة : ﴿ **كلا لا تطعه واسجد واقترب** ﴾ سورة العلق : ١٩ ـ وهي من آيات العزائم ـ

(٣) إشارة إلى الأحاديث المتواترة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وآله الأطهار ، ومن شتى الطرق والأسانيد :

« أقرب ما يكون العبد إلى الله أن يكون ساجداً » . وسيرد ، في باب السجود ، لاحقاً .

(٤) دون : مفعول به ثانٍ لقوله ، فلا تجعل .

(٥) الحديث : أرحنا يا بلال (إيماءة منه صلى الله عليه وآله وسلم ، لرفع الأذان) . مفتاح الفلاح : ١٤١ . الإحياء : ١٦٥/١ ـ أخرجه الدارقطني ـ .

(٦) من الحديث الشريف : وقرة عيني في الصلاة . مفتاح الفلاح : ١٤١ وسيرد لاحقاً .

ثم استشعر بعد هذه البهجة خشية الله تعالى في الوقوف بين يديه وأنت ملطخ بكدوراتك النفسانيّة ، وعلائقك الدّنيوية ، وعوائقك البدنية ، فإنّ استشعار الخوف شعار الكاملين كما أن الغفلة عن ذلك علامة المطرودين ، كما قد عرفته في تضاعيف الأسرار ، وجملة الآثار .

واستحضر عظمة الله وجلاله ، ونقصان قدرك وكماله .

وقد روى عن بعض أزواج[1] النبي أنّها قالت : « كان النبي يحدّثنا ونحدثه فإذا حضر وقت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه ، شغلاً بالله عن كل شيء »[2] وكان عليّ (ع) إذا حضر وقت الصلاة يتململ ويتزلزل فيقال له : « مالك يا أمير المؤمنين ؟ فيقول : « جاء وقت أمانة عرضها الله على السّموات والأرض فأبين حملها وأشفقن منها »[3] .

وكان علي بن الحسين (ع) إذا حضر للوضوء اصفرّ لونه ، فيقال له : ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء ؟ فيقول : « ما تدرون بين يدي من أقوم »[4] .

---

(١) هي السيدة عائشة . إرشاد القلوب : ١٠٥ ، الإحياء : ١/١٥٠ و١٦٣ .

(٢) الخبر : « كان النبي (ص) يحدثنا ونحدثه . . . » وفي رواية : اشتغالاً بعظمة الله عن كل شيء . عدة الداعي : ١٥٦ ، الحقائق : ٢٢٢ ، الأداب المعنوية : ١٩٨ ـ ١٩٩ ، الإحياء : ١/١٥٠ .

(٣) الخبر : كان علي إذا حضر وقت الصلاة يتململ ويتزلزل . الحقائق ٢٢٢ الآداب المعنوية : ١٩٩ ، سر الصلاة : ١٣٢ ، الإحياء . ١/١٥١ ، اللمع : ١٨١ ، عدة الداعي : ١٥١ ، إرشاد القلوب ١٠٥

(٤) الخبر : كان علي بن الحسين عليه السلام إذا حضر الوضوء اصفر لونه . . المصادر السابقة ، عوارف المعارف : ٣٢٣ .
ونقل أبان بن تغلب : إني رأيت علياً بن الحسين إذا قام في الصلاة غشي لونه لونٌ آخر . الوسائل (كتاب الصلاة) : ٢٥٨ و ٣٦٠ . حياة الإمام علي بن الحسين للقرشي . المخطوط : ١٩٢ .

وكلّ ذلك إشارة إلى استحضار عـظمة الله تعـالى ، والإلتفات إليـه حال العبادة والإنقطاع عن غيره .

[(*)وإذا سمعت نداء المؤذن فأحضر في قلبك هول النداء يوم القيامة

(*) ما بين الحاصرتين [وإذا سمعت الأذان . . . القضاء] ، مقتبس عن الإحياء : ١/١٦٤

قال الصّادق عليه السلام : إذا كبرت فاستصغر ما بين السموات العلى والثرى دون كبريائه

مصباح الشريعة · من الباب التاسع والثلاثين (في افتتاح الصلاة) : ٨٧ .

والأذان عنـد أهـل المعرفـة ، كمـا يـراه الخميني ، أعلى الله مـرتبتـه . إعـلام لقـوى الملك والملكوت في الإنسان الكبير والصغير للتهيؤ والحضور في جناب الحق .

والإقامة . إحضارها وإقامتها في محضر القدس الكبريائي جلّ وعلا . سر الصلاة · ١٤٣ .

الأذان والإقامة في حديث المعراج :

إن جبريل كبَّر مرتين ، فسكتت الملائكة ، وفتحت السماء ، واجتمعت الملائكة .

الآداب المعنوية . ٢٥١ و٢٦٣ .

« ثم عـرج بي إلى السماء الـرابعة فلم تقـل الملائكـة شيئاً ، وسمعت دوياً كأنـه في الصدور واجتمعت الملائكة ، ففتحت أبواب السماء . فقـال جبرائيـل . حي على الصلاة ، حيَّ على الصلاة (إلى آخر الإقامة)

وفي تفسير العياشي ما يقرب من هذا المضمون · المصدر السابق

وفي رواية :

ثم أن الله عز وجل قال يا محمد ! . إستقبل الحجر الأسود وكبرني بعدد حجبي .

ـ فمن أجل ذلك صار التكبير سبعاً ـ وافتتح القراءة عند انقطاع الحجب

الوسائـل (كتاب الصـلاة) · ٣٥٨ ـ ٣٥٩ (عن أبي عبد الله وأبي الحسن عليهمـا السلام) ، أسرار الصلاة (ت) ٢٢٧ ، الآداب المعنوية · ٢٥١ ـ ٢٥٢

للمـريـد · أنـظر معـاني كلمـات الأذان والإقـامـة لأميـر المؤمنين عليـه السـلام في · معـاني الأخبـار ٣٨ ـ ٤٢ . وحديثـاً لـه ، طـويـلاً ، حـولهمـا في : صحيفـه الإمـام الـرضـا عليـه السلام : ٦٥ ـ ٦٦ .

أما فضل الأذان فمما لا يكاد يحصى كثرة

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم · من صلى بأذان وإقامة ، أمر الله عـز وجل الـملائكة فصفـوا خلفه صفـاً لا يرى طـرفاه يـركعون بـركوعـه ، ويسجدون بسجـوده ، ويؤمنون على دعائه مكارم الأخلاق : ٤٦٦

وعنه (ص) من أقام ولم يؤذن لم يصل معه إلاّ ملكاه اللذان معه · المصدر السابق

وعن أبي عبد الله عليه السلام ، قال ·

وتشمّر بباطنك وظاهرك للمسارعة والإجابة فإنّ المسارعين إلى هذا النداء ، هم الّذين ينادون باللطف يوم العرض الأكبر ، فاعرض قلبك على هذا النداء ، فإن وجدته مملوءاً بالفرح والإستبشار ومستعداً بالرغبة إلى الإبتدار فاعلم أنّه يأتيك النداء بالبشرى والفوز يوم القضاء] واعتبر بفصول الأذان وكلماته كيف افتتحت بالله ، واختتمت بالله ، واعتبر بذلك أنّ الله عزّ وجلّ « هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن »[1] ووطّن قلبك بتعظيمه وتكبيره عند سماع التكبير واستحضر الدّنيا وما فيها لئلاّ تكون كاذباً في تكبيرك ، وانفِ عن خاطرك كلّ معبود سواه بسماع التهليل ، واحضر النّبي وتأدّب بين يديه ، واشهد له بالرسالة مخلصاً ، وصلّ عليه وعلى آله ، وحرّك نفسك واسع بقلبك وقالبك عند الدّعاء إلى الصّلاة ،

= إدا أذنت وأقمت ، صلّى خلفك صفان من الملائكة وإذا أقمت صلى حلفك صف من الملائكة . الكافي : ٣/٣٠٣ .

ولما قيل له : وكم مقدار كل صف ؟

قال : أقله ما بين المشرق والمغرب . وأكثره ما بين السماء والأرض الإختصاص · ٥٩

الوسائل (كتاب الصلاة) · ٢٤٨ .

وعن كل من أمير المؤمنين وأبي الحسن الرضا عليهما السلام ، مثله · المصدر السابق

(١) هو الأول والآخر والطاهر والباطن

لأمير المؤمنين عليه السلام في شرحها :

هو الأول لم يزل ، والباقي بلا أجل . لا تقدره الأوهام بالحدود والحركات ، ولا بالجوارح والأدوات لا يقال له : متى ؟ . ولا يضرب له مثل بـ حتى

الطاهر : لا يقال مِمَّ ؟ . . والباطن : لا يقال : فيم ؟

لم يقرب من الأشياء بالتصاق ولم يبعد عنها بافتراق .

فالحد لخلقه مضروب ، وإلى غيره منسوب . النهج . ٢/٦٤ .

وفي ذلك يقول أبو عبد الله عليه السلام :

الأول : لا عن أول كان قبله ، ولا عن بدء سبقه .

والآخر : لا عن نهاية ، كما يعقل من صفات المخلوقين . معاني الأخبار ١٢

ومن هذا اليم العباب اغترف الجنيد ، فقال في هذا المعنى قريب لا بالتزاق ، وبعيد لا بافتراق ، ولا كيفية لقربه ومعيته : روضة الطالبين . ١٦٤ .

وما يوجب الفلاح ، وما هو خير الأعمال وأفضلها ، وجدّد عهدك بعد ذلك بتكبير الله وتعظيمه ، واختتمه بذكره كما افتتحت به ، واجعل مبدأك منه ، وعودك إليه ، وقوامك به ، واعتمادك على حوله وقوّته ، فإنّه لا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم .

في أسرار الإستقبال إلى القبلة :

[(*)وأمّا الإستقبال فهو صرف لظاهر وجهك عن ساير الجهات إلى بيت الله .

أفترى أنّ صرف القلب عن سائر الأمور إلى أمر الله ، ليس مطلوباً منك ؟ . . . هيهات هيهات[1] بل لا مطلوب سواه ، وإنّما هذه الظواهر محرّكات للبواطن ، ووسائل إليها ، ومعارج يترّقى منها إليها ، وضبط للجوارح وتسكين لها بالثبات على جهة واحدة ، حتى لا تبغي على القلب فإنّها إذا بغت وظلمت في حركاتها والتفاتاتها إلى جهاتها ، استتبعت القلب ، وانقلبت به عن وجهة الله فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك] ، ومن هنا جاء قول النبي (ص) « أما يخاف الذي يحوّل وجهه في الصلاة أن يحوّل الله وجهه وجه حمار ؟[2] فإنّ ذلك نهي عن الإلتفات عن الله ، وملاحظة عظمته في حال الصلاة فإنّ الملتفت يميناً وشمالاً ملتفت عن الله تعالى ، وغافل عن مطالعة أنوار كبريائه ، ومن كان كذلك فيوشك أن تدوم تلك الغفلة عليه ، فيتحوّل وجه قلبه كوجه الحمار في قلّة عقله للأمور العلويّة وعدم إكرامه بشيء من العلوم والقرب إلى الله تعالى .

(*) ما بين الحاصرتين : [وأما الإستقبال . . . وجه بدنك] مقتبس عن الإحياء : ١/١٦٦ .

(١) هيهات : إسم فعل ماضٍ بمعنى : بَعُدَ ، وكذلك : شتّان .

(٢) الحديث : أما يخاف الذي يحول وجهه . . مر آنفاً .

[(*)واعلم أنّه كما لا يتوجه الوجه إلى جهة البيت إلاّ بالصرف عن غيرها فلا ينصرف القلب إلى الله تعالى إلاّ بالتفرّغ عمّا سوى الله تعالى وقد قال النّبي (ص) « إذا قام العبد إلى صلاته فكان هواه وقلبه إلى الله تعالى ، إنصرف كيوم ولدته أمه](1) .

وقال الصادق (ع) : « إذا استقبلت القبلة فآيس من الدّنيا وما فيها والخلق وما هم فيه ، واستفرغ قلبك عن كل شاغل يشغلك عن الله تعالىٰ ، وعاين بسرّك عظمة الله واذكر وقوفك بين يديه ﴿ **يوم تبلو كلّ نفسٍ ما أسلفت ورُدوا إلى الله مولاهم الحقّ** ﴾(2) وقف على قدم الخوف والرجاء »(3) .

فإذا توجّهت بالتكبيرات ، فاستحضر عظمة الله سبحانه وصغر نفسك وخسّيء عبادتك في جنب عظمته وانحطاط همّتك عن القيام بوظائف خدمته ، واستتمام حقايق عبادته .

وتفكّر عند قولك : اللّهمّ أنت الملك الحق المبين ، لا إلّه إلاّ أنت ، سبحانك وبحمدك في عظيم ملكه ، وعموم قدرته ، واستيلائه على جميع العوالم .

ثمّ إرجع على نفسك بالذّل والإنكسار والإعتراف بالذنوب

(*) ما بين الحاصرتين . [واعلم ، كما أنه لا يتوجه الوجه ولدته أمه] مقتبس عن الإحياء . ١/١٦٦ .

(١) الحديث . إذا قام العبد إلى صلاته . المصدر السابق ، عوارف المعارف وهنالك أحاديث بمعناه .

(٢) الآية . ﴿ **هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت، ورُدُوا إلى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون** ﴾ . سورة يونس : الآية ٣٠

(٣) مصباح الشريعة ٠ من (الباب التاسع والثلاثين) ، في افتتاح الصلاة : ٨٧

والإستغفار[1] عند قولك : عملت سوءاً وظلمتُ نفسي فاغفر لي إنّه لا يغفر الذنوب إلاّ أنت .

وأحضر دعوته لك بالقيام بهذه الخدمة ، ومثّل نفسك بين يديه ، وأنّه قريب منك يجيب دعوة الداعي إذا دعاه ، ويسمع نداءه وأنّ بيده خير الدنيا والآخرة ، لا بيد غيره ، عند قولك : لبّيك وسعديك والخير في يديك .

ونزّهه عن الأعمال السيّئة ، وأفعال الشرّ ، وأبدله بها محض الهداية والإرشاد عند قولك : والشر ليس إليك .

وارغب لهدايته عند قولك والمهدي من هديت .

واعترف له بالعبوديّة وأن قوام وجودك وبدوه ومعاده منه بقولك عبدك وابن عبديك ، منك وبك ولك وإليك .

أي : منك وجوده ، وبك قوامه ، ولك ملكه ، وإليك معاده[2] ، ﴿ وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه ، وله المثل

---

(١) في الإستغفار : روى الباقر عن جده أمير المؤمنين عليهما السلام ، قال : كان في الأرض أمانان من عذاب الله سبحانه وتعالى فرفع احدهما فدونكم الآخر فتمسكوا به ، أما الأمان الذي رفع فهو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأما الأمان الباقي ، فالإستغفار . قال الله جل من قائل : ﴿ وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ، وما كان معذبهم وهم يستغفرون ﴾ كشكول البهائي : ٢/٢٥٧ . وقال الصادق : من استغفر الله في كل يوم سبعين مرة غفر الله له سبع مئة ذنب ولا خير في عبد يذنب في كل يوم أكثر من سبع مئة ذنب : إرشاد القلوب : ١٨١ .

(٢) عن أبي عبد الله عليه السلام ، في افتتاح الصلاة : اللهم أنت الملك الحق ، لا إله إلاّ أنت ، سبحانك ، إني ظلمت نفسي ، فاغفر لي ذنبي ، إنه لا يغفر الذنوب إلاّ أنت . ثم تكبر تكبيرتين ، ثم قل :
لبيك وسعديك ، والخير في يديك ، والشر ليس إليك ، والمهدي من هديت ، لا ملجأ منك إلا إليك سبحانك وحنانيك ، تباركت وتعاليت ، تباركت ربّ البيت . الكافي : ٣/٣١٠ (مع شيء من تصرف قليل) ، الكشكول : ٢/٦٧ .

الأعلى ﴾[1] .

فأحضر في ذهنك هذه الحقايق وتَرَقَّ منها إلى ما يفتح عليك من الأسرار والدقايق وتلقّي الفيض من العالم الأعلى ، فإنّ أبوابه لا تنسدّ عن أحد من القوابل ، ولا يخيب لديه أمل آمل .

اللّهمّ أهّلنا لقبول طوالع أسرارك ، وكمّلنا بالوصول إلى لوامع أنوارك ، واجعلنا من الواقفين على كراسي إرادتك العاكفين على بساط كرامتك ، وتمّمنا من هذا النقصان ، واهدنا إلى طريق الرّضوان ، وجد علينا بلطيف الإحسان ، وأعذنا من صفقة الخسران ،و﴿ آتنا من لدنك رحمةً وهيء لنا من أمرنا رشداً ﴾[2] .

---

(١) سورة الروم : الآية ٢٧ .

(٢) الآية : ﴿ ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشداً ﴾ . سورة الكهف . الآية ١٠ .



أسرار
أركان الصلاة وآدابها



الفصل الثاني

في المقارنات

وهي ثمانية :

الأولى : القيام ووظيفته القلبيّة .

[(*) تذكر أنّك قائم بين يدي الله تعالى وهو مطّلع على سريرتك عالم بما تخفي وما تعلن وهو أقرب إليك من حبل الوريد فاعبده كأنّك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك[1] .

وانصب قلبك بين يديه كما نصبت شخصك وطأطىء رأسك الذي هو أرفع أعضائك ، مطرقاً مستكيناً .

وألزم قلبك التواضع والخشوع والتذلل ، والتبري عن الترؤس والتكبّر كلما وضعت رأسك .

وقم بين يديه قيامك بين يدي بعض ملوك الزّمان ، وإن كنت تعجز

(*) ما بين الحاصرتين [تذكر أنك قائم . السكون والخضوع] مقتبس عن الإحياء : ١/١٦٦ ، (مع شيء من تصرف)

(١) إشارة إلى حديث مكرر .

عن معرفة كنه جلاله ، فإنّك تجد وجداناً ضرورياً أنّك تنقهر عند مكالمة الملك ومحاورته ، وتلزم معه السكون والخضوع] .

وربّما يتبع ذلك رعدة البدن(١) وتلعثم اللسان ، ومنشأ ذلك كلّه الخوف(٢) الحادث عند تصوّر عظمته ، فكيف يتصوّر جبّار الجبابرة ، وملك الدّنيا والآخرة ؟ فعند ذلك يحصل لك الخوف الذي هو المقصد الذاتّي من المعارف ، وكذلك يحصل الرجاء(٣) ، عند تصوّر عظمته ، واستشعار أنّ الكلّ منه ، فإنّ ذلك باعث على رجائه ، وقد تأكد ذلك بالآيات الواردة في باب الخوف والرجاء فكذلك يستلزم ذا الحياء(٤) منه لأنّ المتصوّر عظمة الأمير لا يزال مستشعراً تقصيراً ومتوهّماً ذنباً وذلك الإستشعار والتوهّم يوجب الحياء من الله تعالى ، وهذه أمور مطلوبة من العابد . [* بل قدّر في دوام قيامك في صلاتك أنّك ملحوظ ومرقوب بعين كالئة(٥) من رجل صالح من أهلك وممن ترغب أن يعرفك بالصّلاح ،

---

(١) لأمير المؤمنين عليه السلام . إذا اقشعر جلد العبد ، تحاتت عنه الذنوب ، كما تحات عن الشجرة اليابسة ورقها عوارف المعارف ١٠٨ ، مأخوذ عن حديث مثله لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . . كشكول البهائي . ٢١٨/٣

وللصادق عليه السلام إذا اقشعر جلدك ، ودمعت عيناك ، ووجل قلبك ، فدونك دونك ، فقد قصد قصدك عدة الداعي : ١٦٧

(٢) الخوف حالة للنفس تتولد من المعرفة بقدرة الله وسطوته ، ونفوذ مشيئته . الإحياء ١٦٢/١ .

(٣) الرجاء : معرفة لطف الله عز وجل ، وكرمه ، وعميم إنعامه ، ولطائف صنعه : المصدر السابق .

(أنظر فصل الخوف والرجاء للصادق عليه السلام في مصباح الشريعة : ١٨٠ ـ ١٨١)

(٤) الحياء : استشعاره (المصلي) التقصير في العبادة ، وعلمه بالعجز عن القيام بعظيم حق الله عز وجل . الإحياء . ١٦٢/١

(أنظر فصل الحياء للصادق عليه السلام في مصباح الشريعة : ١٩٠ ـ ١٩١)

(*) ما بين الحاصرتين [بل قدر في دوام قيامك . . وهو أحق أن يخشى] مقتبس عن الإحياء ١٦٦/١

(٥) كالئة : راعية وحافظة

فإنّه تهدأ عند ذلك أطرافك ، وتخشع جوارحك ، وتسكن جميع أجزائك خيفة أن ينسبك ذلك العاجز المسكين إلى قلّة الخشوع

وإذا أحسست من نفسك بالتماسك والثبات عند ملاحظة عبد مسكين فعاتب نفسك وقل لها : يا نفس تدّعين معرفة الله تعالى أفما تستحين من اجترائك عليه ، مع توقيرك عبداً من عباده .

أوتخشين الناس ولا تخشينه وهو أحقّ أن يخشى ؟] .

ألا تستحين من خالقك ومولاك إذا قدّرت اطّلاع عبد ذليل من عباده عليك ، وليس بيده خيرك ولا نفعك ولا ضرّك ، وخشعت لأجله جوارحك ، وحسنت صلاتك[1] .

ثمّ إنّك تعلمين أنّه مطّلع عليك فلا تخشعين لعظمته ، أهوَ أهْوَن عندك من عبد من عباده ؟ فما أشدّ طغيانك وجهلك ، وما أعظم عداوتك لنفسك ! .

ولذلك لمّا قيل للنّبي كيف الحياء من الله تعالى ؟ فقال النبي تستحيي منه كما تستحيي من رجل صالح من قومك[2] .

---

(١) قال الغزالي : واعلم أن تخليص الصلاة من الآفات ، وإخلاصها لوجه الله عز وجل ، وأداءها بالشروط الباطنة التي ذكرناها من الخشوع ، والتعظيم ، والحياء ، سبب لحصول أنوار في القلب فتكون تلك الأنوار مفاتيح علوم المكاشفة . فأولياء الله المكاشفون بملكوت السموات والأرض ، والأسرار الربوبية ، إنما يكاشفون في الصلاة ولا سيما في السجود . ولذلك قال تعالى . ﴿ واسجد واقترب ﴾ وإنما تكون مكاشفات كل مصلٍ على قدر صفائه من كدورات الدنيا ويختلف ذلك بالقوة والضعف والقلة والكثرة ، وبالجلاء والخفاء ، الإحياء : ١/ ١٧٠

(٢) الخبر لما قيل كيف الحياء من الله ؟ . رواية عن أبي هريرة . الإحياء : ١/ ١٦٦ ، ـ أخرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق ، وأرسله البيهقي في الشعب ـ

في أسرار القيام(*)(١)

[وأمّا(*)٢ دوام القيام فهو تنبيه على إدامة القلب مع الله تعالى على نعت واحد من الحضور ، قال النبيّ : «إنّ الله مقبل على العبد ما لم يلتفت »(١) .

وكما يجب حراسة العين والرأس من الإلتفات إلى غير الصلاة فكذلك يجب حراسة السرّ عن الإلتفات إلى غير الصلاة، فإن التفت إلى غيرها فذكره باطلاع الله تعالى عليك ، وقبح التهاون بالمناجى مع غفلة المناجي ليعود إلى التيقظ . والزم الخشوع الباطن فإنّه ملزوم الخشوع ظاهراً ومهما خشع الباطن خشع الظاهر .

قال النّبي (ص) وقد رأى مصلّياً يعبث بلحيته : « أما هذا لو خشع قلبه لخشعت جوارحه »(٢) فإنّ الرعية بحكم الراعي . ولهذا ورد في الدعاء : اللهمّ أصلح الراعي والرعيّة . وهو القلب والجوارح(٣) .

(*)١ [القيام وهو عد الحاصة إقامة الصلب في الحصرة المقدسة للحق ، وتشمير الديل لإطاعة الأمر والحروح مں التدثار ، والقيام ىالإندار . سر الصلاة ٠ ١٥١]

(*)٢ ما بين الحاصرتيں [وأما دوام القيام . القلب والحوارح] مقتبس عں الإحياء ٠ ١/١٦٧ ـ ١٦٨

(١) الحديث . إں الله مقبل على العبد ما لم يلتفت كنوز السنّة ٢٧٩ ، الإحياء ٠ ١/١٦٨ .
ـ أخرجه أبو داوود والنسائي والحاكم ـ وهنالك جملة من أحاديث قريبة منه

(٢) الخبر ، رأى رسول الله مصلياً يعبث بلحيته . . الوسائل (كتاب الصلاة) ٢٤٩ ، إرشاد القلوب ٠ ١١٥ ، كشكول البهائي ٠ ١/٢٧٨ ـ ٢٧٩ ، الآداب المعنوية ٢٧٨ ، عوارف المعارف ٣٠٢ ، الإحياء ٠ ١/١٥٨ ـ أخرجه الترمذي في النوادر ـ
ولأمير المؤمنين عليه السلام ، حديث مشابه له لفظا وفي مناسبة متشابهة الوسائل (كتاب الصلاة) ٢٤٩ . وإلى هذا الحال يشير الغزالي بقوله :
حظ كل واحدٍ في صلاته بقدر خوفه وخشوعه وتعظيمه ، فإن موقع نظر الله سبحانه ، القلوب ، دون ظاهر الحركات . الإحياء . ١/١٦٣

(٣) في الدعاء ، أللهم أصلح الراعي والرعية (يعني : القلب والجوارح) . تفرد بروايته ـ

وكلّ ذلك يقتضيه الطّبع بين يدي من يعظم من أبناء الدّنيا فكيف لا يتقاضاه بين يدي ملك الملوك وجبّار الجبابرة ؟ ومن يطمئن بين يدي غير الله تعالى خاشعاً ثم تضطرب أطرافه بين يدي الله تعالى فذلك لقصور معرفته عن جلال الله تعالى وعن اطلاعه على سرّه وضميره .

وتدّبر قول تعالى : ﴿ الذي يراك حين تقوم وتقلّبك في الساجدين ﴾[1] .

في وظائف النية وأسرارها

الثاني في النية : ووظيفتها العزم على إجابة الله تعالى في امتثال أمره بالصّلاة وإتمامها ، والكفّ عن نواقضها ومفسداتها، وإخلاصها من جميع ذلك لوجه الله تعالى رجاء ثوابه وطلب القربة منه ، وإن عجزت عن مرتبة عبادته لكونه أهلاً للعبادة التي هي عبادة الأحرار . فإذا فاتتك درجة الأحرار والأبرار فلا تفوتنك درجة التجار وهو العمل رجاء للعوض ، فإن فاتتك هذه المرتبة ، فاجلس مع العبيد في مجالسهم وشاركهم في مقاصدهم ، فإنّهم إنّما يعملون ويخدمون في الغالب خوفاً من الضرب والعقوبة وهي غاية الخوف من العقاب[2] .

الغزالي ، وتفسيره على هذا النحو ، وتبعه في ذلك رهط من العرفانيين ، وعلماء الأخلاق . منهم الفيض ، والخميني ، أعلى الله مقامهما . الآداب المعنوية : ٢٧٨ .

(١) سورة الشعراء : الآية ٢١٩

(٢) إشارة إلى قول أمير المؤمنين عليه السلام :

إن قوماً عبدوا الله رغبةً ، فتلك عبادة التجار .

و إن قوماً عبدوا الله رهبةً ، فتلك عبادة العبيد .

وإن قوماً عبدوا الله شكراً ، فتلك عبادة الأحرار . النهج : ٥٣/٤ .

وينسب هذا القول للإمام الحسين عليه السلام تحف العقول : ١٧٧ .

كما ينسب لولده زين العابدين عليه السلام . حياة علي بن الحسين للقرشي المخطوط . ١٩٠/١ . وللصادق أيضاً . جامع السعادات ١١٦/٣ ، سر الصلاة : ٢٥ .

وتقلد في نيتك وقصدك المنّة لله وتقدّس بإذنه إيّاك في المناجاة مع سوء أدبك ، وكثرة عصيانك .

وعظّم في نفسك قدر مناجاته وانـظر من تناجي وكيف تنـاجي وبما تناجي وعند هذا ينبغي أن يعرق جبينـك من الخجلة ، وترتعـد فرائصـك من الهيبة، ويصفرّ وجهـك من الخوف، كماروي في مـا تقـدم عن بعض أزواج النّبي (ص) قالت : « كان رسول الله يحدّثنا ونحدثـه فإذا حضـرت الصلاة فكأنّه لم يعرفنا ولم نعرفه ، شغلاً بالله عن كلّ شيء »[1] .

وقـال الصادق (ع) : « الإخـلاص بجميع حـواصل الأعمـال وهـو معنى مفتـاحه القبـول ، وأدنى حدّ الإخـلاص[2] بذل العبـد طاقتـه ، ثم لا يجعل لعمله عند الله قدراً فيوجب به على ربّه مكافأة لعمله ، فـإنه لـو طالبه بوفاء حقّ العبوديّة لعجز ، وأدنى مقام المخلص في الدّنيا السـلامة من جميع الآثام ، وفي الآخرة النّجاة من النّار ، والفوز بالجنّة »[3] .

وقـال الصادق عليـه السلام : « صاحب النيّـة الصـادقة ، صـاحب القلب السليم لأنّ سلامة القلب من هـواجس المحذورات بتخلص النيّـة لله في الأمور كلّها .

قال الله تعالى : ﴿ يوم لا ينفع مـال ولا بنون إلاّ من أتى الله بقلب سليم ﴾[4] .

---

(١) الخبر . كان رسول الله (ص) يحدثنا ونحدثه . مر ، من حديث عائشه .

(٢) قـال أمير المؤمنين عليـه السلام . وبـالإخلاص يكـون الخلاص ، فـإذا اشتد الفـزع فإلى الله المفزع الكافي ٢/٤٦٨ ، عدة الداعي . ١٧٧ .

(٣) مصباح الشريعة الباب السادس عشر ، (في الإخلاص) ٣٦ .

(٤) سورة الشعراء الآيتان ٨٨ ـ ٨٩ .

ثم النيّة تبدو من القلب على قدر صفاء المعرفة[1] وتختلف على حسب اختلاف الإيمان ، في معنى قوّته وضعفه .

وصاحب النيّة الخالصة، نفسه، وهواه معه مقهوران تحت سلطان

---

(١) قال أمير المؤمنين عليه السلام في إحدى خطبه · أول الدين معرفته ، وكمال المعرفة التصديق به ، وكمال التصديق به توحيده ، وكمال التوحيد الإخلاص له ، وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه حاشية الأصل : ٢٣

وله عليه السلام ما بمعناه في : تحف العقول : ٥١ .

وقال عليه السلام : العلم مقرون إلى العمل ، فمن علم عمل ، ومن عمل علم ، والعلم يهتف بالعمل ، فإذا أجابه وإلّا ارتحل عدة الداعي . ٧٨ .

وعن أبي عبد الله عليه السلام · لا يقبل الله عز وجل عملاً إلّا بمعرفة ، ولا معرفة إلّا بعمل . فمن عرف دلته المعرفة على العمل ومن لم يعمل فلا معرفة له إنّ الإيمان بعضه من بعض . أمالي الصدوق : ٣٧٨ .

ويرى نصير الدين الطوسي ، قدس الله روحه ، في بعض رسائله : إن مراتب معرفة الله متفاوتة . أعلاها في معرفة الله تعالى معرفة أهل الشهود والفناء في الله ، وهي الدرجة العليا ، والمرتبة القصوى . مفتاح الفلاح : ١٢٧ .

وحول حمى كلمة الإمام الآنفة الذكر ، حام الغزالي بقوله :

وخاصية النفس التي للآدمي ، ما يتميز بها عن البهائم . فإنه لم يتميز عنها لقوة في الأكل والوقاع والإبصار ، أو غيرها ، بل ، بمعرفة الأشياء على ما هي عليه . وأصل الأشياء ، وموجدها . ومخترعها ، هو الله عز وجل ، الذي جعلها أشياء . فلو عرف كل شيء ولم يعرف الله عز وجل فكأنه لم يعرف شيئاً .

وعلامة المعرفة المحبة فمن عرف الله تعالى أحبه .

وعلامة المحبة ألّا يؤثر عليه الدنيا ولا غيرها من المحبوبات ، كما قال تعالى ﴿ **قل إن كان أبناؤكم** . . ﴾ فمن كان عنده شيء أحب إلى الله فقلبه مريض . الإحياء ٦٣/٣

ويرى الخميني أعلى الله درجته ، وثبّت في معارج السعادة ، ومراقي الولاية ، قدمه ، بأن الخلوص المطلق من أعلى مدارج الأولياء الكُمَّل . لأن الإخلاص عبارة عن تصفية العمل من مطلق ما يشوب غير الحق . سر الصلاة · ١٥٨ .

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : أوحى الله إلى بعض أنبيائه · قل للذين يتفقهون لغير الدين ، ويتعلمون لغير العمل ، ويطلبون الدنيا لغير الآخرة ، يلبسون للناس مسوك الكباش ، وقلوبهم كقلوب الذئاب ، ألسنتهم أحلى من العسل ، وأعمالهم أمر من الصبر :

ـ إياي تخادعون ؟ لأتيحنّ لكم فتنة تذر الحكيم حيران . عدة الداعي : ٧٩

تعظيم الله والحياء منه »[1] .

في أسرار تكبيرة الإحرام(*)[1]

الثالث : تكبيرة الإحرام ومعناها : إنّ الله سبحانه أكبر من كلّ شيء أو أكبر من أن يوصف أو من أن يدرك بالحواسّ ، أو يقاس بالنّاس[2]، [(*)[2] فإذا نطق به لسانك، فينبغي أن لا يكذبه قلبك، فإن كان في قلبك شيء هو أكبر من الله تعالى فالله يشهد أنّك لكاذب ، وإن كان الكلام صدقاً[3] ، كما شهد على المنافقين في قولهم إنّه (ص) رسول الله[4] .

فإن كان هواك أغلب عليك من أمر الله وأنت أطوع له منك لله ،

---

(١) الحديث : صاحب البية . والحياء منه . مصباح التسريعة من الباب الثالث والعشرين (في النية) ٥٣٠ .

(*)[1] قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم . لكل شيء أنفة ، وأنفة الصلاة التكبيرة الأولى ، (وأنفة الشيء · ابتداؤه) لسان العرب ٩/١٤

(٢) عرَّف أمير المؤمنين عليه السلام التكبيرة الأولى ، بما يلي : لا يلمس بالأخماس ، ولا يدرك بالحواس . الفقيه · ١/٢٠٠

ويرى أبو حامد الغزالي أن حضور القلب هو روح الصلاة ، وإن أقل ما يبقى به رمق الروح الحضور عند التكبير ، فالنقصان منه هلاك وبقدر الزيادة عليه تنبسط الروح في أجزاء الصلاة . الإحياء : ١/١٦١ .

أما الفيض الكاشاني ، قدس الله سره ، فقد لحظ القبول والإجزاء .

فالقبول ، من العبادة ، ما يترتب عليه الثواب في الآخرة ، وتقرب إلى الله زلفى .

والإجزاء ما يسقط التكليف عن العبد ، وإن لم يثب عليه . الآداب المعنوية : ٨٤ .

(*)[2] ما بين الحاصرتين : [فإذا نطق به لسانك . . . بكرم الله وعفوه] مقتبس عن الإحياء ١/١٦٦ .

(٣) قال أبو سعيد الخراز رحمه الله : إذا العبد قال : الله أكبر ، ويكون في قلبه شيء غير الله فلا يكون صادقاً في قوله : الله أكبر اللمع · ٢٠٥ .

(٤) من الآية الكريمة : ﴿ إذا جاءك المنافقون ، قالوا نشهد إنك لرسول الله ، والله يعلم إنك لرسوله ، والله يشهد أن المنافقين لكاذبون ﴾ سورة المنافقون : الآية ١

فقد اتخذته إلٓهك وكبّرته ، فيوشك أن يكون قولك : الله أكبر ، كلاماً باللسان المجرّد وقد تخلف القلب عن مساعدته ، وما أعظم الخطر في ذلك لولا التوبة[١] والإستغفار[٢] وحسن الظنّ بكرم الله وعفوه][٣] .
قال الصادق (ع) : « إذا كبّرت فاستصغر ما بين السموات العلى والثرى دون كبريائه .

فإنّ الله تعالى إذا اطّلع على قلب العبد وهو يكبّر وفي قلبه عارض عن حقيقة تكبيره قال : « يا كاذب أتخدعني ؟ وعزّتي وجلالي لأحرمنّك حلاوة ذكري ولأحجبنك عن قربي والمسرّة بمناجاتي »[٤] .

فاعتبر قلبك حين صلاتك ، فإن كنت تجد حلاوتها ، وفي نفسك سرورها وبهجتها ، وقلبك مسرور بمناجاته ، ملتذّ بمخاطباته ، فاعلم أنّه قد صدّقك في تكبيرك له ، وإلاّ فقد عرفت من سلب لذّة المناجاة وحرمان حلاوة العبادة ، أنّه دليل على تكذيب الله لك ، وطردك عن بابه .

---

(١) قال الصادق عليه السلام التوبة حبل الله ، ومدد عنايته وكل فرقة من العباد لهم توبة ، فتوبة الأنبياء من اضطراب السر ، وتوبة الأولياء من تلوين الخطرات ، وتوبة الأصفياء من التنفيس ، وتوبة الخاص من الإشتغال بغير الله تعالى ، وتوبة العام من الذنوب . مصباح الشريعة ، الباب الرابع والأربعون (في التوبة) . ٩٧

(٢) روى السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : خير الدعاء الإستغفار . عدة الداعي . ٢٦٥
وقال عليه السلام : إن القلوب تصدأ كصدأ النحاس ، فاجلوها بالإستغفار . (المصدر السابق) .

(٣) ورد في الحديث القدسي : أنا عند حسن ظن عبدي بي ؛ فلا يظن عبدي إلاّ خيراً . عدة الداعي : ١٤٤ .
وعن الصادق عليه السلام : وليس يحسن ظن عبد مؤمن بالله عز وجل ، إلا كان الله عند حسن ظنه فإن الله كريم يستحيي أن يخلف ظن عبده ورجاءه . عده الداعي : ١٤٧

(٤) مصباح الشريعة ، الباب التاسع والثلاثون (في افتتاح الصلاة) : ٨٧ ـ ٨٨ .

في أسرار دعاء التّوجه ومعناه :

[وأمّا(*) دعاء التوجه : فأول كلماته قولك : ﴿ وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمواتِ وَالأَرضَ ﴾ وليس المراد بالوجه الوجه الظّاهر ، فإنّك إنّما وجّهته إلى جهة القبلة ، والله سبحانه تقدّس عن أن تحدّه الجهات حتّى تقبل بوجه بدنك عليه ، وإنّما وجه القلب هو الذي يتوجّه به إلى الله فاطر السموات والأرض .

فانظر إلى وجه قلبك أمتوجه هو إلى أمانيه وهمه في البيت والسوق وغيرهما ، متّبع للشهوات أم مقبل على فاطر السموات ؟ . . .

وإيّاك أن تكون مفاتحتك للمناجاة بالكذب والإختلاق فيصرف وجه رحمته عنك ، وقبوله في ما بقي على الإطلاق ، ولن ينصرف الوجه إلى الله تعالى إلاّ بالإنصراف عمّن سواه ، فإنّ القلب بمنزلة مرآة وجهها صقيل وظهرها كدر[1] لا يقبل انطباع الصور، فإذا توجّهت إلى شيء انطبع فيها ، واستدبرت غيره ، ولا يمكن انطباعه ، ولهذا كانت الدّنيا والآخرة ضرتين ، كلّما قربت من إحداهما بعدت عن الأخرى .

فاجتهد في الحال في صرفه إليه وإن عجزت عنه على الدوام فليكن قولك في الحال صادقاً عسى أن يسامحك في الغفلة بعد ذلك .

وإذا قلت : ﴿ حنيفاً مسلماً ﴾[2] فينبغي أن تحضر في بالك أنّ

(*) ما بين الحاصرتين : [وأما دعاء التوجه ـ وهو نفسه دعاء الإستفتاح ـ فأول كلماته . . . ملائماً للحال] مقتبس عن الإحياء : ١/١٦٦ ـ ١٦٧ ، بتصرف قليل .

وحديث هذا الدعاء أخرجه مسلم من حديث أمير المؤمنين عليه السلام . الإحياء : ١/١٥٤ .

(١) تشبيه مكرر ، ومعاد .

(٢) حنيفاً مسلماً : عن أبي عبد الله عليه السلام : أي خالصاً مخلصاً ليس فيه شيء من عبادة الأوثان . الكافي : ٢/١٥ .

المسلم هو الّذي « سلم المسلمون من يده ولسانه »[1] .

فإن لم تكن كذلك كنت كاذباً . فاجتهد أن تعزم عليه في الإستقبال وتندم على ما سبق من الأحوال .

وإذا قلت : ﴿ وما أنا من المشركين ﴾ فاحضر ببالك الشرك الخفيّ[2] وأنّ قوله تعالى ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربّه ﴾[3] إلخ ، جعل من يقصده بعبادة ربّه ، وجه الله وحمد الناس مشركاً .

فاستشعر الخجلة في قلبك إن وصفت نفسك بأنّك لست من

---

(١) الحديث : المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه .
عن أبي جعفر عليه السلام ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
- ألا أنبئكم بالمؤمن ؟ - من ائتمنه المؤمنون على أنفسهم وأموالهم .
- ألا أنبئكم بالمسلم ؟ - من سلم المسلمون من يده ولسانه .
والمهاجر : من هجر السيئات وترك ما حرم الله .
والمؤمن حرام على المؤمن أن يظلمه أو يخذله أو يغتابه أو يدفعهُ دفعة
الكافي . ٢/٢٣٥ ، ورد بعضه في مكارم الأخلاق . ٤٣٨ ، وفي كنوز السنة ٤٧٣ ، وفي رياض الصالحين (باختلاف لفظ) ، رواه البخاري ومسلم .
ولأبي الحسن الرضا عليه السلام بعضه . عيون أخبار الرضا ١/٢٧

(٢) الشرك الخفي : وهو الرياء ، وقد سمي الشرك الأصغر . الإحياء : ٣/٣٠١ و٣٠٦ .
قال صلى الله عليه وآله وسلم : إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر
قالوا . وما الشرك الأصغر يا رسول الله ؟
قال . الرياء . عدة الداعي . ٢٢٨ ، الإحياء ٣/٢٩٤ أخرجه أحمد والبيهقي ورواه الطبراني . وله شوائب أخفى من دبيب النمل : المصدر السابق ، بل ، أخفى من دبيب النملة الخرساء ، في سواد الليلة الظلماء ، على الصخرة الصماء . الأنوار النعمانية . ٢/٣٧٤ . وبما هو بمعناه ، اللمع ١١٧ ويسيره شرك . خطبة الديباج لأمير المؤمنين . تحف العقول : ١٠٦ يقول الله عز وجل اذهبوا إلى الذين كنتم تراؤون في الدنيا ، هل تجدون عندهم ثواب أعمالكم ؟ عدة الداعي : ٢٢٨

(٣) الآية : ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً ﴾ سورة الكهف : ١١٠ .

المشـركين من غير بـراءة من هـذا الشـرك ، فـإنّ اسم الشـرك يقـع على القليل والكثير منه .

وإذا قلت : ﴿ محياي ومماتي لله ﴾ فاعلم إنّ هذا حال عبد مفقـود لنفسـه موحـود لسيّده وإنّـه إن صدر[1] عن غضبـه ورضاه ، وقيامه وقعـوده ورغبتـه في الحيـاة ورهبتـه من الموت ، لأمـور الدّنـيا ، لم يكن مـلائمـاً للحال] .

في أسرار القراءة[*] ووظائفها

الـرابع : القراءة . ووظائفهـا لا تكاد تنحصـر ، ولا يحيط بها قـوّة البشر ، وإنّ الإعتناء بشأنها يخرج عن وضع الرّسالة لأنّها حكاية كلام الله جلّ جلاله المشتمل على الأساليب العجيبة والأوضاع الغريبـة ، والأسرار الدّقيقة ، والحكم الأنيقة ، وليس المقصود منها مجرّد حركة اللّسان ، بل المقصـود معانيهـا وتدبُّـرها ، ليستفيـد منها حكمـةً وحقـائق ، وأسراراً ، وترغيباً وترهيباً ، وأمراً ونهياً ، ووعـداً ووعيداً ، وذكـر أنبيائـه ونعمه[2] ، إلى غيـر ذلـك من الفـوائـد [فـإذا[*] قلت : « أعـوذ بـالله من الشّيـطان الـرّجيم »[3] ، فاعلم أنّـه عدوّك ومتـرصّد لصـرف قلبـك عن الله تعـالى

---

(١) صدر (عن الماء) عاد عنه بعد ري وصـــده ورد .

(*) إن القراءة ينبغي أن تكون عن قلبٍ حاضر ، وتوجه كامل . بحيث كلمـا أجرى القـارىء إسماً من تلك الأسمـاء العليا ، والنعـوت العظمى ، على لسـانه ، أو نقشـه على صفحـة جنـانـه ، حصل للمطلوب مزيد إنكشافٍ وانجلاء ، وأحسَّ هـو بتزايـد قربٍ واعتـلاء . وهكذا شيئـاً فشيئاً إلى أن يترقى من مرتبة البرهان إلى درجة الحضور والعيان . مفتاح الفلاح . ٢٩١ .

(٢) وذلك مجمل ما أتى به القرآن الكريم ، وجماع مواضيعه

(*) ما بين الحاصرتين [فإذا قلت : أعـوذ بالله من الشيـطان الرجيم . . . ورتـل كما كنت تـرتل في الـدنيا] مقتبس عن الإحيـاء . ١٦٧/١ ـ ١٦٨ بتصرف قليـل ، لا يعـدو بعض زيـادة قليلة لا تقدم ، وحذفاً نزراً لا يؤخر .

(٣) من الآية . ﴿ فإذا قرأت القرآن فـاستعذ بـالله من الشيطان الـرجيم . إنه ليس لـه سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون ﴾ سورة النحل : الآيتان ٩٨ ـ ٩٩ .

حسداً لك على مناجاتك مع الله تعالى ، وسجودك له ، مع أنّه لعن بسبب سجدة واحدة تركها ، وأن استعاذتك بالله منه ، وتركك ما يحبّه وتبديله بما يحبّ الله تعالى ، لا بمجرّد قولك : « أعوذ بالله من الشّيطان الرجيم » .

فإنّ من قصده سبع أو عَدوّ ليفترسه أو يقتله ، فقال أعوذ منك بذلك الحصن الحصين وهو ثابت في مكانه ، فإنّ ذلك لا ينفعه بل لا يعيذه إلا تبديل المكان . فكذلك من يتبّع الشهوات التي هي محالّ[1] الشيطان ومكاره الرحمن ، فلا ينفعه[2] مجرّد القول ، فليقرن قوله بالعزم على التعوّذ بحصن الله تعالى من شر الشيطان ، وحصنه « لا إله إلاّ الله » إذ قال تعالى في ما أخبر عنه نبينا صلّى الله عليه وآله وسلم « لا إله إلاّ الله حصني »[3] والمتحصن به من لا معبود له سوى الله تعالى .

---

(١) وردت : محاب . الإحياء : ١٦٨/١

(٢) وردت : نفعه . المصدر السابق

(٣) الحديث : لا إله إلاّ الله حصني .

أجمع المحدثون على أنه لما وافى الإمام أبو الحسن الرضا عليه السلام نيسابور ، وأراد أن يرحل منها اجتمع عليه أصحاب الحديث مقسمين عليه أن يحدثهم حديثاً ينفعهم . فروى عليه السلام عن آبائه الأئمة المعصومين ، عن جده صلى الله عليه وآله وسلم ، عن جبريل ، عن الله عز وجل ، قوله ، تعالى .

« لا إله إلاّ الله حصني ، فمن دخل حصني أمن من عذابي »

فارتفعت الأصوات بالتوحيد والتهليل . ولما تحركت القافلة للمسير ، أطل برأسه الشريف من المحمل ، قائلا .

ـ بشروطها وأنا من شروطها ـ أي : الإقرار له بأنه إمام مفترض الطاعة ـ

عيون أخبار الرضا (بعدة أسانيد) : ١٤٣/١ ـ ١٤٥ و ١٤٨ ، يليها تعلق للصدوق ، قدس الله سره ، مستفيض على هذا الخبر . أمالي الصدوق . ٢٠٨ ، معاني الأخبار : ٣٧٠ ـ ٣٧١ (بنص مختلف) ، أمالي المفيد : ٢٦ . الآداب المعنوية : ٣٧٢ . حياة علي بن الحسين للقرشي المخطوط . ١١/٢ . حياة الحسن العسكري للقرشي المخطوط : ٨٦ . عجائب القرآن : ٤٠ ، ولأهل العرفان في تفسيرها وجوه . المصدر السابق ٤٢ ـ ٤٣ =

فأمّا من اتخذ إلهه هواه ، فهو في ميدان الشيطان لا في حصن الله

ومن دقايق مكائده أن يشغلك في الصلاة بذكر الآخرة وتدبّر فعل الخيرات ، ليمنعك عن فهم ما تقول وتقرأ .

فاعلم أنّ كلّ ما يشغلك عن فهم معاني قراءتك فهو وسواس ، فإنّ حركة اللّسان غير المقصودة ، بل المقصود معانيها كما مرّ .

والناس في القراءة على ثلاثة أقسام : فمنهم من يحرك لسانه بها ولا يتدّبر قلبه لها ، وهذا من الخاسرين الداخلين في توبيخ الله سبحانه وتهديده بقوله : ﴿ **أفلا يتدبّرون القرآن أم على قلوب أقفالها** ﴾[1] ودعاء نبيه صلّى الله عليه وآله : « ويل لمن لاكها بين لحييه ثم لا يتدبّرها »[2] .

ومنهم من يحرك لسانه وقلبه يتبع اللسان فيسمع ويفهم منه كأنّه يسمعه من غيره وهذه درجة أصحاب اليمين .

ومنهم من يسبق قلبه إلى المعاني أولاً ثم يخدم اللسان قلبه فيترجمه وهذه درجة المقرّبين .

وفرق جليّ بين أن يكون اللسان ترجمان القلب كما في هذه الدرجة وبين أن يكون معلمه كما في الدّرجة الثانية فالمقربون لسانهم ترجمان يتبع القلب ولا يتبعه القلب .

الإحياء ١/١٦٧ ، أخرج الحاكم وأبو نعيم عن طريق أهل بيت النبوة وحديث قريب منه

الإحياء ٤/٢٦٣

(١) سورة محمد (ص) : الآية ٢٦

(٢) الحديث « ويل لمن لاكها بين لحييه » لم نعثر عليه ، وقريب منه الحديث الشريف : يأتي على الناس زمان يتخللون الكلام بألسنتهم ، كما تتخلل البقرة الكلأ بلسانها .

الإحياء ٣/١٢٠

في تفصيل ترجمة القرآن وما يتعلق بها

وتفصيل ترجمة المعاني على سبيل الإختصار أنّك إذا قلت : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾(*)(1) ، فانو به التبرّك لابتداء القراءة لكلام الله تعالى وافهم أن معناه أن الأمور كلها بالله ، وأن المراد هٰهنا بالإسم هو المسمّى وإذا كانت الأمور كلها بالله فلا جرم كان :

(*) بسم الله الرحمن الرحيم .
القراءة في حديث المعراج .
فلما فرغ [رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم] من التكبير والإفتتاح ، قال الله تعالى الآن وصلت إليَّ ، فسمِّ باسمي فقال : بسم الله الرحمن الرحيم أسرار الصلاة (ت) . ٢٢٧ .

(١) في شرحها : عن أبي عبد الله عليه السلام : الباء : بهاء الله ، والسين : سناء الله . والميم : مجد الله ، (وروى بعضهم : ملك الله) ، والله . إله كل شيء والرحمن لجميع العالم ، والرحيم : بالمؤمنين خاصة . وله ، عليه السلام ، فيها تفسير آخر . معاني الأخبار : ٣ .
وللخميني أعلى الله ، في مراتب السعادة ، درجته أول ما ظهر من مظاهر الإسم الأعظم مقام الرحمانية والرحيمية الذاتيتين . وهما من أسماء الله الجمالية ، الشاملة على كل الأسماء مصباح الهداية ١٨ .
و « بسم الله » مظهر الإسم الأعظم ، والمشيئة المطلقة ، فهو مفتاح الكتاب ومختامه ، وفاتحته وختامه . كما أن إسم الله ظهور وبطون ، ومفتاح بمختم». سر الصلاة ١٨٥ .
وعن الإمام أبي الحسن الرضا عليه السلام ، عندما سئل عن شرحها
أسِمُ على نفسي بسمة (أي بعلامة) عيون أخبار الرضا ٢/٢٣٦ ، معاني الأخبار : ٣ ، الآداب المعنوية . ٣٨٨ و ٣٩٥
وعن الشيخ العارف محي الدين إبن عربي ، فيها : ظهر العالم ببسم الله الرحمن الرحيم ، وظهر الوجود ببسم الله الرحمن الرحيم . مصباح الهداية ٩٤ و ١٣١
وإليه يشير الخميني ، أعلى الله مقامه ، بقوله : يقول أحد العرفاء سر الصلاة : ١٩
ولمزيد من شرح « الرحمن الرحيم » ، أنظر مفتاح الفلاح . ٢٨٣ ـ ٢٨٤ ، المقصد الأسنى . ٦٥ ـ ٦٩ .
أما (الله) ، فهو الإسم المحيط ، التام ، الأعظم ، الأزلي ، الأبدي ، السرمدي ، وهو جامع لجميع مراتب الأسماء الإلهية الإختصاص ١٣٨
وهو بتعبير آخر : « إسم للموجود الحق ، الجامع لصفات الإلٰهية ، المنعوت بنعوت الربوبية المنفرد بالوجود الحقيقي » . المقصد الأسنى : ٦٤

﴿الحمد لله﴾(*)، ومعناه أنّ الشكر لله إذ النعم من الله ومن يزى من غير الله نعمة ، أو يقصد غير الله بشكر لا من حيث أنّه مسخَّر من الله ، ففي تسميته وتحميده نقصان بقدر التفاته إلى غير الله .

فإذا قلت : ﴿ رب العالمين ﴾ فاحضر في قلبك أنّ العالمين كلّها مربوب مثلك بربوبيّته ، مستغرق في نعمته .

فإذا قلت : ﴿ الرّحمن الرحيم ﴾ فاحضر في قلبك أنواع لطفه لتنفتح لك رحمته[2] ، فينبعث بها رجاؤك .

ثمّ استشعر[3] من قلبك التعظيم والخوف بقولك : ﴿ مالك يوم الدّين ﴾[4] أمّا العظمة ، فلأنّه لا ملك إلّا له ، وأمّا الخوف فلهول يوم الجزاء والحساب الذي هو مالكه .

ثم جدّد الإخلاص بقولك : ﴿ إيّاك نعبد ﴾[5] وجدد العجز

---

(١) الحمد لله رب العالمين ·

(*) في حديث المعراج تم أوحى الله أن احمدني . فلما قال : الحمد لله رب العالمين ، قال السي في نفسه · شكراً !
فأوحى الله تعالى إليه . قطعت ذكري فسمّ باسمي
فمن أجل ذلك جعل « الرحمن الرحيم » مرتين أسرار الصلاة (ت) · ٢٨١ .
أما « الحمد » فكما نقل النهائي عن بعض المحققين ·
« إظهار مرايا المحمود على الغير فما دام للأغيار وجود في نظر السّالك ، فهو يظهر كمالات المحبوب عليهم ، ويذكر مراياه لديهم . وأما إذا آل أمره ، وترقى حاله ، بسبب ملازمة الأذكار ، وملاحظة الآثار ، إلى ارتفاع الأستار ، واضمحلال الأعيان ، لم يبق سوى المعبود بالحق ، والجمال المطلق مفتاح الفلاح . ٢٩٣

(٢) وردت لتتصح . الإحياء · ١٦٧/١ ، والأفضل كما أثبتت ، لقوله تعالى ﴿ ما يفتح الله للناس من رحمة ﴾

(٣) وردت . استثر المصدر السابق

(٤) مالك يوم الدين قراءة عاصم والكسائي ، وقرأه الباقون ، ملك مفتاح الفلاح · ٢٨٥

(٥) إياك نعبد رجوع العبد إلى الحق ، بالفناء الكلي المطلق سر الصلاة · ١٧٣ ـ ١٧٤

والإحتياج والتبري عن حولك وقوّتك، بقـولك: ﴿ وإيّـاك نستعين ﴾(*)، وتحقّق أنّه ما تيسرت طاعتك إلاّ بإعانته وإنّ المنّة له إذ وفقّـك لطاعتـه ، واستخدمك لعبادته ، وجعلك أهلاً لمناجاته . ولـو حرمـك التّوفيق لكنت من المطرودين مع الشّيطان الرجيم اللعين .

ثمّ إذا فـرغت عن التفـويض[1] بقـولـك : ﴿ بسم الله الـرّحمن الـرحيم ﴾ وعن التحميد وعن إظهـار الحاجـة إلى الإعانـة مـطلقـاً فعيّن سؤالـك ولا تـطلب إلاّ أهمّ حـاجـاتـك وقـل : ﴿ إهـدنـا[2] الصّـراط

(*) ﴿ وإيـاك نستعين ﴾ : نقـل الثقـاة أن محمـود بن عمـر الخـوارزمي ، لمـا صنف تفسيره (الكشـاف) . حمله وأتى به إلى الغـزالي ليمده بـالألطاف والإنصـاف ، فلما جلس عنـده ، ونقل سبب مجيئه إليه ، قال له الغزالي :

ـ كيف فسرت : إياك نستعين ؟

فقال ، قلت : إن تقديم المفعول يفيد الإنحصار .

فقال : إذاً أنت من علماء القشر .

فـرجـع الخـوارزمي نـادمـاً على مـا فعـل . الأنـوار النعمـانيـة ٣/٦٥ ـ ٦٦ ، كشكـول البهائي : ٣/٤٠٥ ـ ٤٠٦ .

وحـول ذلـك ، قـال بعض المحققين ، يمكن أن يكـون في تقـديم الضميـر على الفعـل أيضـا ، إشارة لـطيفة إلى ذلـك . فكأنـه بتقديمـه يشير إلى أن المعبـود أحق بالتقـديم في كل اللحاظات . فيجب أن يكون نظر العبد في جميع تقلباته ، أولاً ، إليـه ، ثم به ، إلى غيره ، من حيث نسبته إليه ، لا من حيث نفسه . أسرار الصلاة (ت) ٢٤٤

وحول الآية جملةً ، قال بعض أهل المعرفة :

كما أن سورة العبد قسمت بين العبد والحق ، كما في الرواية التي ستلي بعد قليل

فمن أول السورة إلى : إياك نعبد ـــ للحق .

و : إياك نعبد وإياك نستعين : ـــ مشترك بين العبد والحق .

ومنها إلى آخر السورة : ـــ مختص بالعبد . سر الصلاة : ١٧٣ ـ ١٧٤

(١) وردت : من التعوذ ، ومن قولك . . . الإحياء : ١/١٦٨ .

(٢) إهدنا : ويراها الشيخ البهائي ـ قدس الله سره ـ، ضمن أربع :

أ ـ جلب المنافع ، ودفع المضار .

ب ـ نصب الدلائل العقلية الفارقة بين الحق والباطل ، والصلاح والفساد

ج ـ إرسال الرسل ، وإنزال الكتب .

المستقيم ﴾(1) الذي يسوقنا إلى جوارك ويفضي بنا إلى مرضاتك .

وزده شرحاً وتفصيلاً وتأكيداً واستشهد بالذين أفاض عليهم نعمة الهداية من النبيّين والصّدّيقين والشّهداء والصّالحين(2) ، دون الذين غضب الله تعالى عليهم ﴿ غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ من الكفار الزائغين من اليهود والنصارى والصّابئين(3) .

فإذا تلوت الفاتحة كذلك فيشبه أن تكون ممن قال الله تعالى فيهم فيما أخبر النبيّ (ص) : « قسمت الفاتحة بيني وبين عبدي نصفين فنصفها لي ونصفها لعبدي ، يقول العبد الحمد لله رب العالمين فيقول الله : حمدني وأثنى عليَّ » وهو معنى قوله : « سمع الله لمن حمده . . . » الحديث(4) .

= د ـ الهداية إلى طريق السير إلى حظائر القدس ، والسلوك إلى مقامات الأنس ، بانطماس آثار التعلقات الدنية ، واندراس أكدار الجلابيب الجسمية ، والإستغراق في ملاحظة أسرار الكمال ، ومطالعة أنوار الجمال مفتاح الفلاح ٢٩٦ ـ ٢٩٧ .

(1) الصراط المستقيم : في بعض الأخبار ، رواية عن الصادق والعسكري عليهما السلام : أنه أمير المؤمنين عليه السلام ، ومعرفته . معاني الأخبار : ٣٢ ـ ٣٣ ، أسرار الصلاة (ت) : ٢٤٩ ، وله معانٍ أخر

(2) صراط الذين أنعمت عليهم

(3) غير المغضوب عليهم ولا الضالين

(4) الحديث . عن الصادق ، عن آبائه المعصومين ، عن أمير المؤمنين عليهم السلام ، قال : لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، يقول :

قال الله عز وجل : قسمت الفاتحة بيني ، وبين عبدي ، نصفين : فنصفها لي ، ونصفها لعبدي ، ولعبدي ما سأل ، إذا قال العبد : « بسم الله الرحمن الرحيم » ، قال الله جل جلاله : بدأ عبدي بإسمي وحق عليَّ أن أتمم أموره ، وأبارك به في أحواله

وإذا قال : « الحمد لله رب العالمين » ، قال جل جلاله : حمدني عبدي ، وعلم أن النعم التي له من عندي ، وإن البلايا التي اندفعت عنه فبتطولي . أشهدكم أني أضيف له إلى نعم الدنيا نعم الآخرة ، وأدفع عنه بلايا الآخرة ، كما دفعت عنه بلايا الدنيا

وإذا قال : « الرحمن الرحيم » ، قال جل جلاله : شهد بأني الرحمن الرحيم ، أشهدكم لأوفرن من نعمتي حظه ، ولأجزلن من عطائي نصيبه .

فلو لم يكن من صلاتك حظٌ سوى ذكر الله في جلاله وعظمته ، فناهيك به غنيمةً فكيف بما ترجوه من ثوابه وفضله .

وكذلك ينبغي أن تفهم ما تقرأ من السور فلا تغفل عن أمره ونهيه ، ووعده ووعيده ، ومواعظه وأخبار أنبيائه وذكر منّته وإحسانه . فلكلّ واحد حقّ : فالرجاء حقّ الوعد ، والخوف حقّ الوعيد ، والعزم حقّ الأمر والنهي ، والإتعاظ حقّ الموعظة ، والشكر حقّ تذكّر المنّة ، والإعتبار حقّ أخبار الأنبياء .

= فإذا قال : « مالك يوم الدين » ، قال الله تعالى · أشهدكم ، كما اعترف بأني الملك يوم الدين ، لأسهلن حسابه ، ولأقبلن حسناته ، ولأجاوزن عن سيئاته .

فإذا قال : « إياك نعبد » ، قال · صدق عبدي ، إياي يعبد أشهدكم لأثيبنه على عبادته ثواباً يغبطه كل من خالفه في عبادته لي

فإذا قال « وإياك نستعين » ، قال الله تعالى : بي استعان ، وإليّ التجأ ، أشهدكم لأعينه على أمره ، ولأغيثنه في شدائده ، ولآخذن بيده يوم نوائبه .

فإذا قال : « إهدنا الصراط المستقيم .. إلى آخر السورة » ، قال الله تعالى : هذا لعبدي ولعبدي ما سأل ، فقد استجبت لعبدي ، وأعطيته ما أمل ، وآمنته مما منه وجل . أسرار الصلاة : ٢٥٧ ـ ٢٥٨ الأنوار النعمانية : ٢/٣٥٥ (بعضه) ، الإحياء . ١/١٦٨ ، عوارف المعارف : ٣٠٢ ـ أخرجه مسلم ـ .

وبالجملة ، ففاتحة الكتاب « أفضل القرآن » ، كما صرح بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : جواهر القرآن : ٣٧ و ٣٨ . وهي « أشرف ما في كنوز العرش » كما نعتها أمير المؤمنين عليه السلام . أمالي الصدوق : ٥٥ ، مسند الرضا : ١/٥١٥ ، وهي « السبع المثاني ، وهي أفضلهن » ، إذ تعدل ، حسب ما في بعض الروايات ، ثلثي القرآن .

لمزيد من تفصيل ، أنظر : مسند الرضا (فضلها) : ٢/٣١ ـ ٣٢ ، أسرار الصلاة (ت) : ٢١٤ ـ ٢٢٤ ، الآداب المعنوية (مع تحقيقات عرفانية وحكمية ، وبحوث ، وتنبيهات عرفانية ، وأدبية ، وإشراقية ، وفقهية ، وإيمانية) : ٣٩٥ ـ ٤٥٦ ، سر الصلاة : ١٧١ ـ ١٧٤ و : ١٨٣ ـ ٢٢٩ ، التفسير الصوفي للقرآن . ١٢٥ ـ ١٢٧ ، ومظانها أكثر من أن تحصى في شروحات القرآن ، وتفاسيره

فيما يتعلّق بقراءة القرآن مطلقاً

تفصيل وظيفة قراءة القرآن :

وتفصيل وظيفة قراءة القرآن لا يحتمله هذا المحلّ لكنّا نذكر جملة منه في آخر الفصل .

وبالجملة ففهم معاني القرآن يختلف بحسب درجات الفهم ، والفهم يختلف بحسب وفور العلم ، وصفاء القلب ، ودرجات ذلك لا تنحصر والصّلاة مفتاح القلوب ، فيها تنكشف أسرار الكلمات .

فهذا حقّ القراءة وهو أيضاً حقّ الأذكار والتّسبيحات ، ثم يراعى الهيئة[1] في القراءة زيادة على التدبّر[2] فرتّل ولا تسرد[3] فإنّ ذلك أيسر للتأمل . ويفرّق بين نغماته في آية الرحمة والعذاب ، والوعد والوعيد والتحميد والتمجيد والتعظيم ، ورُوي أنّه يقال لقارىء القرآن : « اقرأ وارق ورتّل كما كنت ترتّل في الدنيا »[4] .

---

(١) وهي مظهر من مظاهر احترام القرآن الكريم ، وتأدب أمام المولى تعالى .

(٢) التمعن ، والفهم ، والإتعاظ .

(٣) والسرد أو النثر ، قريبان من « الهدرمة » ، وهي قراءة عجلى ، دون ترتيل
وقد أفاض بذلك أبو عبد الله عليه السلام ، بقوله :
« قُرّاء القرآن ثلاثة : رجل قرأ القرآن ، فاتخذه بضاعة ، واستدرّ به الملوك ، واستطال بـه على الناس ؛ ورجل قرأ القرآن ، فجمع حروفه ، وضيّع حدوده ، وأقامه مقامه القدح ؛ فلا كثّر الله هؤلاء من حملة القرآن ، ورجل قرأ القرآن ، فوضع دواء القرآن على داء قلبه ، . . أعـز من الكبريت الأحمر » . الكافي : ٢/٦٢٧ .

(٤) الحديث : يقال لقارىء القرآن : اقرأ وارق ! . . . » . الإحياء : ١/١٦٨ ، من حديث عبد الله بن عمر . رياض الصالحين : ٣٨٩ ، وقد رواه أبو داوود ، وحسّنه الترمذي .
وعن أمير المؤمنين عليه السلام من وصيته لإبنه محمد بن الحنفية : واعلم أن درجات الجنة على قدر آيات القرآن فإذا كان يوم القيامة يقال لقارىء القرآن : إقرأ وارق ! . . الحقائق : ٢٥٠ .
وعن ابن مسعود ، قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من قرأ حرفاً من القرآن فله حسنة ، والحسنة بعشر

ومن وظائف القراءة من الأثر قول الصادق عليه السلام : « من قرأ القرآن ولم يخضع له ولم يرقّ قلبه ولم ينشىء حزناً ووجلاً في سرّه، فقد استهان بعظيم شأن الله تعالى وخسر خُسراناً مبيناً .

فقارىء القرآن يحتاج إلى ثلاثة أشياء : قلب خاشع ، وبدن فارغ ، وموضع خال ، فإذا خشع لله قلبه ، فرّ منه الشيطان الرّجيم . قال الله تعالى : ﴿ **فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم** ﴾ فإذا فرغ نفسه من الأسباب تجرّد قلبه للقراءة فلا يعترضه عارض ، فيحرمه نور القرآن وفوائده .

وإذا اتخذ مجلساً خالياً واعتزل عن الخلق بعد أن أتى بالخصلتين الأوليين : خضوع القلب وفراغ البدن ، استأنس روحه وسرّه بالله ، ووجد حلاوة مخاطبات الله عباده الصالحين ، وعلم لطفه بهم ، ومقام اختصاصه لهم ، بفنون كراماته ، وبدايع إشاراته ، فإذا شرب كأساً من هذا المشرب لا يختار على ذلك الحال حالاً ، ولا على ذلك الوقت وقتاً ، بل يؤثره على كلّ طاعة وعبادة ، لأنّ فيه المناجاة مع الرّب بلا واسطة .

فانظر كيف تقرأ كتاب ربك ، ومنشور ولايتك ، وكيف تجيب أوامره ، وتجتنب نواهيه ، وكيف تتمثل حدوده فـ ﴿ **إنه كتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد** ﴾[1] ، فرتّله ترتيلاً ، وقف عند وعده ووعيده ، وتفكّر في أمثاله ومواعظه ، واحذر أن تقع من إقامتك حروفه أي : ترتيله ، في إضاعة حدوده »[2] .

= أمثالها ، لا أقول لكم : آلم : حرف ، ولكن ألف : حرف ، ولام : حرف ، وميم : حرف . رياض الصالحين : ٣٨٨ . أنظر الحديث القدسي الطويل في نهاية موضوع الصلاة في هذا الكتاب .

(١) سورة فصلت : الآية ٤٢ .

(٢) مصباح الشريعة : الباب الثاني عشر (في قراءة القرآن) : ٢٨ - ٢٩ .

في وظائف الركوع(*)(١) وأسراره

الركوع :

فإذا وصلت إليه [فجدّد(*)(٢) على قلبك ذكر كبرياء الله تعالى وعظمته وخساسة كل ما سواه ، وتلاشيه ، فارفع يديك(١) له ، وقل : « الله أكبر » ، مستجيراً في رفعك بعفو الله من عقابه ، ومتبعاً سنة نبيه، ثم تستأنف له ذلاً وتواضعاً بركوعك ، واجتهد في ترقيق قلبك ، وتجديد خشوعك ، واستشعر ذلك ، وعزّز مولاك ، واتضّاعك ، وعلوّ ربك ، وتستعين على تقرير ذلك في قلبك بلسانك فتسبّح ربّك ، وتنزهه ، وتشهد له بالعظمة والكبرياء ، وأنّه أعظم من كل عظيم بقولك : « سبحان ربي العظيم وبحمده »(٢) وتكرّر ذلك على لسانك وقلبك لتؤكده بالتكرار ، وتقرّره في ذاتك بالتذكار ، وكلّما أكثرت فيه ، وازددت خضوعاً ، زدت عند مولاك رفعة .

ثم ترتفع(٣) من ركوعك راجياً أنّه راحم ذلّك ويؤكد(٤) الرجاء في

(*)١ الركوع في حديث المعراج :

خاطبه العزيز : فانظر إلى عرشي .

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : فنظرت إلى عظمة ذهبت لها نفسي ، وغشي علي . فألهمت أن أقول . سبحان ربي العظيم وبحمده ، لعظم ما رأيت . فلما قلت ذلك تحلّى الغشي عني ، حتى قلتها سبعاً ، ألهَمُ دلك، فيرجعت إليَّ نفسي كما كانت . الآداب المعنوية . ٢٠٧ .

(*)٢ ما بين الحاصرتين : [فجدد على قلبك . . . الحمد لله رب العالمين] ، مقتبس عن الإحياء ١/١٦٩ ، بتصرف قليل .

(١) لأن رفع اليدين هو ضرب من الإبتهال والتبتل والتضرع . فأحب الله عز وجل أن يكون العبد في وقت ذكره له متبتلاً ، متضرعاً . ولأن في رفع اليدين إحضار النية ، وإقبال القلب على ما قال وقصد . عيون أخبار الرضا : ١/١١٧ .

(٢) لما نزلت ﴿ سبح باسم ربك العظيم ﴾ قال صلى الله عليه وآله وسلم : إجعلوها في ركوعكم . . وكانوا يقولون في الركوع : اللهم لك ركعت . تفسير الأعلى : ١ .

(٣) أما رفع الرأس من الركوع ، فانصراف من الكثرات الأسمائية وفناء في الصفات . سر الصلاة . ٢٠٩ .

=

قلبك بقولك : «سمع الله لمن حمده» . أي : أجاب الله لمن حمده وشكره .

ثم تردف ذلك بالشكر المتقاضي للمزيد فتقول : الحمد لله ربّ العالمين][1] إلخ .

وفي ذلك غاية في الخضوع ومزيد التذلّل إذا راعيت ذلك بالحقيقة .

وقد قال الصادق عليه السلام : « لا يركع عبد لله تعالى ركوعاً على الحقيقة إلاّ زيّنه الله تعالى بنور بهائه وأظلّه في ظلال كبريائه وكساه كسوة أصفيائه ، والركوع أوّل والسّجود ثان ، فمن أتى بمعنى الأول صلح للثاني . وفي الركوع أدب[2] وفي السجود قرب[3] ومن لا يحسن الأدب لا يصلح للقرب .

= (٤) وردت : ومؤكداً . الإحياء : ١/١٦٩ .

(١) وردت : ربنا لك الحمد . المصدر السابق .

(٢) وللإنحناء الركوعي آداب . الآداب المعنوية : ٥٢٣ ـ ٥٢٤ .

نذكر منها :

أ ـ استيفاء الركوع ، بمد العنق إلى الأمام قليلاً ، والنظر إلى موضع السجود ، مع استواء الظهر .

وتأويل ذلك ، كما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام : آمنت بالله ولو ضربت عنقي . الفقيه : ١/٢٠٤ ، مكارم الأخلاق : ٣٢٠ ، الأنوار النعمانية : ٣٦٧ ، أسرار الصلاة (ت) : ٢٦٦ .

ب ـ إقامة الصلب بعد رفع الرأس ؛ فقد روى الصادق عليه السلام ، عن جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ؛ ـ من حديث طويل ـ : من لم يقم صلبه فلا صلاة له . واخشع ببصرك ، ولا ترفعه إلى السماء ، وليكن نظرك إلى موقع سجودك ، وأشغل قلبك بصلاتك ، فإنه لا يقبل من صلاتك ، إلا ما أقبلت عليه منها بقلبك . الفقيه : ١/١٩٨ .

وعنه (ص) . لا صلاة لمن لا يقيم صلبه في الركوع والسجود مختصر الترغيب والترهيب : ٣٧ ـ رواه أحمد وأبو داوود ـ

ولأمير المؤمنين عليه السلام حديث مثله . الكافي : ٣/٣٢٠ .

فاركع ركوع خاضع لله بقلبه ، متذلل ، وجل تحت سلطانه ، خافض له بجوارحه خفض خائف ، حزين على ما يفوته من فوائد الراكعين .

وحكي أنّ ربيع بن خثيم[1] كان يسهر بالليل إلى الفجر في ركوع واحد فإذا أصبح تزفر وقال : « أوه ، سبق المخلصون وقطع بنا » .

واستوف ركوعك باستواء ظهرك ، وانحط عن همّتك في القيام بخدمته إلاّ بعونه ،وقرّ بالقلب عن وساوس الشيطان وخدائعه ومكائده ، فإنّ الله تعالى يرفع عباده بقدر تواضعهم له ، ويهديهم إلى أصول التواضع والخضوع والخشوع بقدر اطلاع عظمته على سرائرهم[2] .

السادس : في وظائف السجود(*) وأسراره

السجود وهو أعظم مراتب الخضوع وأحسن درجات الخشوع[3]

= وكذلك ، لأبي عبد الله عليه السلام ، شبيهه . المصدر السابق .

(٣) إشارة إلى قوله عز وجل . ﴿ واسجد واقترب ﴾ والأحاديث الشريفة المتعلقة بذلك سترد بعد قليل في باب السجود .

(١) الربيع بن خثيم : أحد الزهاد الثمانية . اختلف إلى عبد الله بن مسعود عشرين سنة وأخذ عنه ، لم يرد ذكره في (الأعلام) . قبره في خراسان ، مشهور بضريح الخواجة ربيع . التحرير الطاووسي : ١٠٧ . أنظر بعض المأثور عنه في الإحياء . ١/١٧١ ، كشكول البهائي : ١/١٥ و٢٢٧ و٢/٢٣١ و٣/٩٢ و٤٥٣ ، صلاة الخاشعين : ٥٨ .

(٢) مصباح الشريعة : الباب الأربعون (في الركوع) : ٨٩ ـ ٩٠ .

وفي هذا الحديث الشريف إشارات وبشارات وآداب ووظائف . الآداب المعنوية : ٥٢٧ .

(*) السجود : سر كل الصلاة ، وكل سر الصلاة ، وآخر منزل للقرب ، ومنهى النهاية للوصول .

ورمز إليه بعض الواصلين ، بأنه اسقاط الحدث وإثبات القدم .

وبالجملة ، السجدة عند أهل المعرفة وأصحاب القلوب ، هي غمض العين عن الغير ، والهجرة عن جميع الكثرات حتى كثرة الأسماء والصفات ، والفناء في حضرة الذات ، ولها مقامات . الآداب المعنوية . ٢١٣ .

والسجود صورة الفناء في أقصى درجات الإستكانة . أسرار الصلاة (ت) : ٢٧١ .

(٣) عن ابن عباس : إن الخشوع في الصلاة أن لا يعرف المصلي من على يمينه وشماله . عوارف المعارف : ١٦٦ .

وأعلى مراتب الإستكانة وأحقّ المراتب باستيجاب القرب إلى الله تعالى وتلقي أنوار رحمته ، ومعاطف كرمه ، كما نبّه عليه الكتاب الكريم في أمره لنبيّه صلى الله عليه وآله ، أن يسجد ووعده على ذلك بأن يقرب[1] .

فإذا أردت السجود فاستحضر عظمة الله تعالى زيادة على ما حضر حالة الركوع ،وكبره رافعاً يدك وأنت قائم [ثم(*)' إهْوِ إلى السجود ومكّن أعزّ أعضائك وهو الوجه من أذل الأشياء وهو التراب[2] فإن أمكنك

(١) من الآية : ﴿ واسجد واقترب ﴾ .

ومن الحديث المتواتر عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وآله الأطهار . « أقرب ما يكون العبد من الله أن يكون ساجداً » . مع اختلاف في بعض اللفظ أحياناً .

الكافي : ٣/٢٦٥ ، الفقيه : ١/١٣٤ ، عيون أخبار الرضا : ١/١٠ ، الإحتصاص . ٦٠ ، أمالي المفيد : ٦٠ ، مسند الرضا : ٢/١٥٧ ، الوسائل (كتاب الصلاة) : ٤٠٦ ، الإحياء : ١/١٤٩ ، مكاشفة القلوب : ٢٥٢ ـ أحرجه مسلم ـ .

(*) السجود في حديث المعراج :

عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (بعد إتمام الركوع الأول وبيان أسراره) ، فقال [الله تعالى] :

ـ إرفع رأسك ! .

فرفعت رأسي ، فنظرت إلى شيء ذهب منه عقلي . فاستقبلت الأرض بوجهي ، ويدي .

فألهمت أن قلت : « سبحان ربي الأعلى وبحمده » لعلو ما رأيت . قلتها سبعاً . فرجعت إليّ نفسي . كلما قلت واحدة تجلّى عني الغشي ، فقعدت .

فصار السجود فيه : سبحان ربي الأعلى وبحمده ، وصارت القعدة بين السجدتين استراحة من الغشي ، وعلو ما رأيت . فألهمني ربي أن أرفع رأسي ، فرفعت ، ونظرت إلى ذلك العلو ، فغشي عليَّ ، فخررت لوجهي واستقبلت الأرض بوجهي ويدي وقلت : « سبحان ربي الأعلى وبحمده » ، قلتها سبعاً .

ثم رفعت رأسي فقعدت قبل القيام لأثني النظر في العلو ، فمن أجل ذلك صارت سجدتين وركعة ومن أجل ذلك صار القعود قبل القيام قعدة خفيفة . الآداب المعنوية : ٢١٧ ـ ٢١٨ .

(*)' ما بين الحاصرتين : [ثم إهو إلى السجود . . . وعد إلى السجود ثانياً] مقتبس عن الإحياء : ١/١٦٩ مع بعض تصرف .

(٢) فبالسجدة على التراب تتم دائرة الكمال الإنساني . سر الصلاة : ٢٢٢ .

=

أن لا تجعل بينهما حائلاً فتسجد على الأرض فافعل فإنّه أجلب للخشوع وأدل على الذّل والخضوع .

وهذا هو السّر في منع الشريعة من السجود على ما يأكله الآدميون ويلبسونه[1] لأنّه من متاع الدّنيا وأهلها الذين اغتروا بغرورها وركنوا إلى زخرفها واطمأنواإليها فاسلمتهم إلى المهالك ، أحوج ما كانوا إليها .

وإذا وضعت نفسك موضع الذّل فاعلم أنك وضعتها موضعها ، ورددت الفرع إلى أصله ، فإنّك من التراب خلقت ، وإليه رددت ، ثم تخرج منها مرة أخرى .

فاحضر في بالك نقلاتك منها ، وإليها، ثم خروجك منها ، بتكرّر السجود كما ذكر الله تعالى لك بقوله : ﴿ **منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة أخرى** ﴾[2] .

وعند هذا جدّد على قلبك عظمة الله تعالى وعلوّه وقل: سبحان ربّي الأعلى وبحمده[3] وأكده بالتكرار فإنّ المرة الواحدة ضعيفة الأثر في القلب .

= وكان الصادق عليه السلام لا يسجد إلاّ على تراب من تربة الإمام الحسين عليه السلام تذللاً لله تعالى ، واستكانة إليه . إرشاد القلوب . ١١٥ .

(١) عن أبي عبد الله عليه السلام · السجود لا يجوز إلاّ على الأرض ، أو ما أنبتت الأرض إلاّ ما أكل أو لبس . الفقيه . ١/ ١٧٧ ، مكارم الأخلاق · ٣٤١ .
وعنه عليه السلام : لا تسجد إلاّ على الأرض أو ما أنبتت الأرض إلا القطن والكتان . الكافي · ٣/ ٣٣٠ ، التهذيب : ٢/ ٣٠٣ .

(٢) وتأويل هذه الآية ، كما ورد عن أمير المؤمنين عليه أفضل التحية والسلام :
السجدة الأولى ، وتأويلها : اللّهم إنك منها خلقتنا (يعني من الأرض)
وتأويل رفع رأسك : ومنها أخرجتنا .
والسجدة الثانية : وإليها تعيدنا .
ورفع رأسك . ومنها تخرجنا تارة أخرى ! الفقيه : ١/ ٢٠٠ ، أسرار الصلاة (ت) : ٢٧١ ، صلاة الخاشعين . ٦١ ـ ٦٢ .

(٣) لما نزلت ﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾ قال صلى الله عليه وآله وسلم ، إجعلوها في =

فإذا رقّ قلبك[1] ، وظهر ذلك، فليصدق رجاؤك في رحمة ربك فإنّ رحمته تتسارع إلى الضعف والذلّ ، لا إلى التكبر والبطر ، فارفع رأسك مكبراً وسائلاً حاجتك، ومستغفراً من ذنوبك، ثم أكدّ التواضع بالتكرار وعُد إلى السجود[2] ثانياً] كذلك فبزيادته يزيد القرب منك وبتكراره تنالك السوانح الإلّهية ، وتظهر اللوامع الغيبيّة[3] إذا وقع على وجهه .

قال الصادق عليه السلام : « ما خسر والله قط من أتى بحقيقة السجود ، ولو كان في العمر مرة واحدة ، وما أفلح من خلا بربّه في مثل ذلك الحال شبيهاً بمخادع نفسه، غافلاً لاهياً عمّا أعدّ الله للساجدين من أنس العاجل، وراحة الآجل، ولا بعُد عن الله أبداً من أحسن تقرّبه في السجود ولا قرب إليه أبداً من أساء أدبه وضيع حرمته، بتعليق قلبه بسواه في حال سجوده .

= سجودكم ، . . . وكانوا يقولون في السجود · « اللهم لك سجدت » ، تفسير الأعلى : ١ .

(١) روى أبو بصير عن أبي عبد الله عليه السلام :
إذا رقّ قلب أحدكم فليدع ، فإن القلب لا يرق حتى يخلص الكافي : ٢/٤٧٧ ، عدة الداعي : ١٢٥ و ١٧٩ .
وقال وهيب بن الورد رحمه الله : نظرنا في هذه الأحاديث والآداب ، فلم تجد شيئاً أرقّ لهذه القلوب ولا أشد استجلاباً للحزن من تلاوة القرآن وتدبره اللمع : ١٢٥

(٢) وفي السجدة الثانية سر ، فكأنه أتم فناءه عن نفسه بالفناء عن جميع آثاره ، فاستحق بذلك أقصى درجات العبودية ، ومقام الشهود ، والبقاء الأبدي أسرار الصلاة(ت) : ٢٧١ .
فالساجد إذا أذيق طعم السجود يقرب ، لأنه يسجد ويطوي بسجوده بساط الكون، ما كان وما يكون . ويسجد على طرف رداء العظمة ، فيقرب . روضة الطالبين : ١٥٩

(٣) فأولياء الله المكاشفون بملكوت السموات والأرض وأسرار الربوبية ، إنما يكاشفون في الصلاة ، لا سيما في السجود . الإحياء : ١/١٧٠ .
هذا على أن يباشر الأرض بكفيه في حال السجود ـ كما أشار بذلك أمير المؤمنين عليه السلام ـ لعله يصرف عنه الغل يوم القيامة . الكافي : ٣/٢٦٥ ، الفقيه : ١/٢٠٥ ، علل الشرائع : ٣٣١ ، الإختصاص : ٦٠ ، أمالي المفيد : ٦١ .
ولأن اليدين ـ كما يقول أبو عبد الله عليه السلام ـ مفتاح الصلاة . الفقيه : ١/٢٨٥ .

فـاسجد سجـود متـواضـع لله ذليـل علم أنّـه خلق من تـراب تـطأه الخلق ، وأنّه ركّب من نطفة يستقذرها[1] كلّ واحد ، وَكَوِّنَ ولم يكن وقد جعل الله تعالى معنى السجود سبب التقرّب إليه بالقلب والسـرّ والروح ، فمن قرب منه بعد من غيره .

ألا ترى في الظاهـر أنّه لا يستـوى حال السجـود إلّا بالتـواري عن جميع الأشياء والإحتجاب عن كلّ ما تراه العيون ؟

كذلك أمر الباطن. فمن كان قلبه متعلّقـاً في صلاتـه بشيء من دون الله، فهوقـريب من ذلك الشيء، بعيـد عن حقيقــة مـا أراد الله منــه في صلاته .

قال الله عزّ وجـلّ :﴿ ما جعـل الله لرجُـل من قلبين في جوفـه ﴾[2] وقـال رسول الله : « قـال الله تعالى : مـا اطّلع على قلب عبد فَـأعلم فيه حبّ الإخـلاص لـطاعتي لوجهي، وابتغـاء مرضاتي ، إلّا تـوليت تقـويمـه وسياسته ومن اشتغـل في صلاتـه فهو من المستهـزئين بنفسه ، ومكتـوب اسمه في ديوان الخاسرين »[3] .

---

(١) المعنى مستـل من إحدى كلم أمير المؤمنين عليه السـلام : ابن آدم أوله نـطفة مـدرة ، وآخره جيفة قذرة ، وهو فيما بينهما يحمل العذرة . كشكول البهائي : ٢/١٢٥ .

(٢) الآية : ﴿ ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفـه ، وما جعـل أزواجكم اللاَّئي تظاهرون منهن أمهـاتكم ، وما جعـل أدعياءكم أبنـاءكم ، ذلكم قولكم بـأفواهكم ، والله يقـول الحق ، وهو يهدي السبيل ﴾ . سورة الأحزاب : الآية ٤ .

(٣) مصباح الشريعة : الباب الحادي والأربعون (في السجود) ٠ ٩١ ـ ٩٢ .

وقد ورد هذا الحديث القدسي في الجواهر السنية : ١٦٧ ، نقلاً عن هذه الرسالة .

السابع في وظائف التشهد(*) وأسراره :

التشهّد :

إذا جلست للتشهّد بعد هذه الأفعال الدقيقة ، والأسرار العميقة ، المشتملة على الأخطار الجسيمة والأهوال العظيمة فاستشعر الخوف التام ، والرّهبة والحياء والوجل ، أنْ يكون جميع ما سلف منك غير واقع على وجهه ولا محصلاً لوظيفته وشرطه ، ولا مكتوباً في ديوان المقبولين ، فاجعل يدك صفراً[1] من فوائدها إلاّ أن يتداركك الله برحمته ، ويقبل عملك الناقص بفضله[2] .

وارجع إلى مبدأ الأمر وأصل الدين ، واستمسك بكلمة التوحيد[3]

(*) التشهد والسليم في حديث المعراج :
قال [الله لرسوله] بعد الركعة الثانية : إرفع رأسك يا محمد ، ثبّتك ربك .
فلما ذهب ليقوم ، قيل : إجلس ، فجلس فأوحى الله إليه . يا محمد ! . . . إذا ما أنعمت عليك فسمِّ باسمي ، فألهم بأن قال : بسم الله ، وبالله ، والأسماء الحسنى كلها لله تعالى . ثم أوحى الله إليه : يا محمد ! . . . صلِّ على نفسك ، وعلى أهل بيتك
فقال : صلّى الله عليَّ ، وعلى أهل بيتي .
ثم التفت ، فإذا صفوف من الملائكة والمرسلين .
فقيل : يا محمد ! . . سلم عليهم .
فقال : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .
فأوحى الله إليه : إن السلام ، والتحية ، والرحمة ، والبركات ، لك ولذريتك . أسرار الصلاة (ت) : ٢٨١ - ٢٨٢ .

(١) الحديث : إن ربكم حيي كريم ، يستحي من عبده إذا رفع يديه أن يردهما صفراً . الإحياء : ١/٣٠٥ . أخرجه أبو داوود ، والترمذي .

(٢) قال الغزالي بهذا المعنى : ثم أشعِرْ قلبك الوجل والحياء من التقصير في الصلاة ، وخف ألاّ تقبل صلاتك ، وأن تكون ممقوتاً بذنب ظاهر أو باطنٍ ، فترد صلاتك في وجهك ، وترجو - مع ذلك - أن يقبلها بكرمه وفضله . الإحياء : ١/١٦٩ .

(٣) التوحيد : لا إله إلاّ الله ! . . وهي ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : خير العبادة . الكافي : ٢/٥٠٦ و٥١٧ ، مكارم الأخلاق : ٣٠٩ ، عدة الداعي : ٢٦١ ، وهي : أفضل الذكر . رياض الصالحين : ٥٠٢ . والأحاديث في ذلك أكثر من أن تحصى . . . : =

وحصن الله تعـالى[1] الذي من دخله كـان آمنـاً ، إن لم يكن حصـل في يدك غيره ، واشهد له بالوحدانيّة ، وأحضر رسولـه المكرّم ونبيّـه المعظّـم ببالك واشهد له بالعبوديّة ، والرسالة ، وصلّ عليه وعلى آله مجدّداً عهـد الله تعالى بإعادة كلمتي الشهادة، متعرضاً بهما لتأسيس مـراتب السعادة ، فإنهما أول الوسائـل ، وأساس الفـواضل ، وجمـاع أمر الفضـائل مـرتقباً لإجابته (ص) لك بصلاتك عشراً من صلاته[2] إذا قمت بحقيقة صلاتـك عليه التي لو وصل إليك منها واحدة أفلحت أبداً .

قال الصّادق (ع) : « التشهد ثناء على الله تعـالى فكن عبداً لـه في السرّ خاضعاً له في الفعل، كما أنّـك عبدٌ لـه بالقـول والدّعـوى . وصِل صدق لسانك بصفاء صدق سرّك ، فإنّه خلقك عبداً ، وأمرك أن تعبده[3] بقلبك ولسانك وجوارحك وأن تحقّق عبوديّتك له بـربوبيتـه لك وتعلم أن نـواصي الخلق بيده[4] فليس لهم نفس ولا لحـظة إلاّ بقـدرتـه ومشيتـه ، وهم عاجزون عن اتيان أقل شيء في مملكته إلاّ بإذنه وإرادتــه .

قال الله عز وجـل : **﴿ وربّك يخلق مـا يشاء ويختـار ما كـان لهـم**

= من قال لا إله إلاّ الله خالصاً مخلصاً ، دخل الجنة كشكول البهائي ٣/١٨١
أنظر ثواب من قال : لا إله إلا الله ، في : ثواب الأعمال : ٢٠ ـ ٢٩ .

(١) إشارة ألى الحديث القدسي : لا إله إلا الله حصني وقد تقدم .

(٢) قال صلى الله عليه وآله وسلم : من صلّى عليَّ صلاة واحدة صلى الله عليه عشراً . الإحياء : ١/٢٧١ . مختصـر الترغيب والترهيب : ٢٠ ، رياض الصـالحين . ٤٩١ ، تنبيه الغـافلين . ـ رواه مسلم ـ .
وروي عن أبي عبد الله عليه السلام : من صلى على النبي صلى الله عليه وآلـه وسلم ، صلاةً واحدةً ، صلّى الله عليه ألف صلاة في ألف صف من الملائكة . الكافي : ٢/٤٩٢ .

(٣) إشـارة إلى قولـه تعـالى : **﴿ ومـا خلقت الجن والأنس إلاّ ليعبـدون ﴾** سـورة الـذاريـات : الآية ٥٦ .

(٤) إشارة إلى قوله تعالى : **﴿ ومـا من دابة إلاّ وهـو آخذ بنـاصيتها ﴾** (سـورة هود : الآيـة ٥٦) **أي : مالك لها ،** يصرفها كيفما يشاء ويريد .

الخيرة من أمرهم سبحـان الله وتعالى عمّـا يشركـون ﴾[1] فكـن لله عبداً شاكراً بالفعل، كما أنّك عبد ذاكر بـالقول والدّعوى، وصِـل صدق لسـانك بصفاء سرّك فإنّه خلقك ، فعزّ وجلّ أن تكون إرادة ومشيّة لأحد إلّا بسابق إرادته ومشيّته ، فـاستعمل العبـوديّة في الـرضاء بحكمـه والعبادة في أداء أوامره .

وقد أمرك بالصلاة على نبيّه[2] محمّد صلّى الله عليـه وآله ، فأوصل صلاته بصلاته ، وطاعته بطاعته ، وشهادته بشهادته ، وانظر أن لا يفوتك بركات معرفة حرمته ، فتحرم من فائدة صلاته وأمره بالإستغفار لك والشفاعـة فيك إن أتيت بـالواجب في الأمـر والنهي والسنن والآداب وتعلم جليل مـرتبتـه عند الله عز وجل »[3] .

الثامن : في وظائف السّلام وأسراره :

التسليم :

إذا فـرغت من التشّهـد فـأحضـر نفسـك بحضـرة سيّـد المـرسلين والمـلائكـة المقـرّبين وقـل : « السّـــلام عليـك أيّهــا النّبي ورحمـة الله وبـركـاتـه » ، إلى آخـر التسليم المستحب . . . ثم أحضـــر في بـالـــك النّبي (ص) وبقيّـة أنبيـاء الله والأئمـة (ع) والحفـظة لـك من المـلائكــة المقـرّبين المحصين لأعمـالـك ، وقـل : « السّـــلام عليكم ورحمـة الله وبركاته » ولا يطلق لسانك بصيغـة الخطاب من غيـر حضور مخـاطب في ذهنك فتكون من العابثين واللّاعبين .

---

(١) سـورة القصص : الآية ٦٨ .

(٢) بقوله تعالى : ﴿ إن الله وملائكتـه يصلون على النبي يا أيهـا الذين آمنـوا صلوا عليه وسلمـوا تسليماً﴾ .

(٣) مصباح الشريعة ، الباب الثاني والأربعون (في التشهد) : ٩٣ - ٩٤ .

وكيف تسمع الخطاب لمن لا تقصد ، لولا فضل الله تعالى ورحمته الشاملة ، ورأفته الكاملة في اجتزائه ذلك من أصل الواجب ، وإن كان بعيداً عن درجات القبول ، منحطاً عن أوج القرب والوصول .

وإن كنت إماماً لقوم فاقصدهم بالسّلام مع من تقدّم من المقصودين وليقصدوا هم الرّد عليك أيضاً ، ثم ليقصدوا مقصدك بسلام ثان ، فإذا فعلتم ذلك فقد أديّتم وظيفة السّلام، واستحققتم من الله تعالى مزيد الإكرام .

وأصل السّلام مشترك بين التحيّة الخاصة وبين الإسم المقدّس[1] من أسماء الله تعالى ، والمعنى هنا على الأوّل ظاهر ، وعلى الثاني يكون مستعاراً في الخلق بإذن الله للتفاؤل بالسّلام والأمان من عذاب الله تعالى لمن قام بحدوده .

قال الصادق (ع) : « معنى السّلام في دبر كلّ صلاة الأمان. أي من أدّى أمر الله وسنّة نبيّه (ص) خاضعاً له خاشعاً منه قلبه ، فله الأمان من بلاء الدنيا والبراءة من عذاب الآخرة. والسّلام إسم من أسماء الله تعالى أودعه خلقه ليستعملوا معناه[2] في المعاملات والأمانات والإلصاقات وتصديق مصاحبتهم فيما بينهم، وصحّة معاشرتهم . وإذا أردت أن تضع السّلام موضعه وتؤدّي معناه ، فاتّق الله ليسلم منك دينك ، وقلبك ، وعقلك، لا تدنسها بظلمة المعاصي. ولتسلم حفظتك لا تبرمهم[3] ولا تملهم ، وتوحشهم منك بسوء معاملتك معهم ، ثمّ صديقك ثمّ عدوّك

(١) من الآية : ﴿ هو الله الذي لا إله إلاّ هو ، الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون ﴾ . سورة الحشر : الآية ٢٣ ؛ وتحتها معان مدفونة لا تتكشف إلا للموفقين . الإحياء : ١/٢٨٢ ـ ٢٨٣ .

(٢) الأمن والأمان

(٣) لا تضجرهم .

فإنّ من لم يسلم منه من هو أقرب إليه، فالأبعد أولى. ومن لا يضع السّلام بمواضعه هذه، فلا سلام ولا تسليم. وكان كاذباً في سلامه وإن أفشاه في الخلق »[1] .

تتمة الفصل :

إذا أتيت بالصّلاة على ما وصفت لك ، فاختمها بالخشوع والخضوع ، والخوف من منقلب الرّد وخيبة الحرمان . واستشعر شكر الله تعالى على توفيقه لإتمام هذه الطاعة ، وتوهّم أنّك مودّع في صلاتك هذه ، وإنّك ربّما لا تعيش بمثلها كما قال صلّى الله عليه وآله وسلم : « صلّ صلاة مودّع »[2] ثمّ استشعر بقلبك الحياء من التقصير في الصّلاة ، والخوف من أن تلف فيضرب بها وجهك[3] فإذا فعلت ذلك رجوت أن تكون من الخاشعين ﴿ **الذين هم على صلاتهم يحافظون** ﴾[4] و﴿ **الذين هم على صلاتهم دائمون** ﴾[5] . [واعرض[*] صلاتك على

---

(١) مصباح الشريعة . من الباب الثالث والأربعون (في التسليم) : ٩٥ ـ٩٦ .
هذا ، وتنتهي الصلاة ـ كما بدأت ـ بالتكبيرات الإختتامية .
« وسر التكبيرات الإختتامية هو السر الإجمالي للتكبيرات الإفتتاحية » . سر الصلاة : ٢٣٥

(٢) الحديث : إذا صليت فصل صلاة مودع ، ولا تحدث بحديث تعتذر منه ، واجمع اليأس مما في أيدي الناس . الإحياء : ٣/٢٣٩ ، أخرجه ابن ماجه ، والحاكم ، والبيهقي (نحوه) .
وهذا الحديث من المشاهير في بابه ومعناه . وقد ورد ضمن الأربع مئة من وصايا أمير المؤمنين عليه السلام . تحف العقول : ٨٤ . ومن حديث أبي عبد الله عليه السلام . مكارم الأخلاق : ٣٠٠ ، ثواب الأعمال : ٦١ ، الوسائل (كتاب الصلاة) ٣٦٠ ، أمالي المفيد : ٦١ . عدة الداعي . ٢٢٨
ولأمير المؤمنين عليه السلام في معنى الشطر الثاني من هذا الحديث : إياك وما تعتذر منه ، فإنه لا يعتذر من خير : المرجع الأخير .

(٣) مر ذلك في الصلاة التي لا يحضر فيها المصلي قلبه ، فهو غافل عنها ، ولاهٍ ، وساهٍ .

(٤ ، ٥) عن الفضيل ، قال : سألت أبا جعفر عن قوله عز وجل : ﴿ **الذين هم على صلاتهم يحافظون** ﴾ (المؤمنون : ١٩) ، قال : هي الفريضة . =

هذا الوصف . فبقدر ما يتيسّر منها كذلك ينبغي أن تفرح وترجو ، وعلى ما يفوتك ينبغي أن تتحسّر وتجتهد في مداواة قلبك ، فإن صلاة الغافل مربع إبليس اللعين نسأل الله أن يغمرنا برحمته ، ويتغمّدنا بمغفرته ، ولا وسيلة لنا إلّا الإعتراف بالعجز عن القيام بوظائف طاعته] .

في وظائف المصلّي عقيب الصلاة :

ثمّ عقب ذلك كلّه بالإشتغال بالتعقيب[1] من الذكر والدعاء ، وبالغ في الإخلاص والإنقطاع والإبتهال إلى الله تعالى في مغفرة ذنبك ، وقبول عملك وتلّقي طاعتك ، بيد الرحمة ، فإنّ الفضل عميم ، والكرم جسيم ، والرّحمة واسعة ، والجود فائض ، والمحل قابل .

وخلاصة وظائف الدّعاء عقيب الصلاة وغيرها ما قاله مولانا

= قلت : ﴿الذين هم على صلاتهم دائمون﴾ (المعارج ٠ ٢٣)، قال هي النافلة. الكافي . ٢٦٩ ـ ٢٧٠ ، التهذيب : ٢/٢٤٠ ، الوسائل كتاب الصلاة ٠ ٢٥٤

(*) ما بين الحاصرتين : [واعرض صلاتك . . . طاعته] مقتبس عن الإحياء : ١/١٧٠ ، بتصرف قليل .

(١) روي عن الإمام الصادق عليه السَّلام ، في التعقيب : التعقيب أبلغ في طلب الرزق من الضرب .

ـ والضرب (هنا) : السفر من بلد إلى بلد لتحصيل الرزق بالتجارة وغيرها ـ مفتاح الفلاح : ٤٨٠ . والمعنى مأخود عن أمير المؤمنين عليه السلام في (الجلوس في المسجد بعد طلوع الفجر إلى طلوع الشمس) . تحف العقول : ٧٢ ـ ٧٣ .

وخير التعقيب ، وأفضله ـ كما ورد في أحاديث أئمة الهدى ـ تسبيح الزهراء عليها السلام ، وقد قال فيه الصادق عليه السلام . تسبيح فاطمة في كل يوم ، في دبر كل صلاة ، أحب إلى الله من صلاة ألف ركعة في كل يوم . الكافي : ٢/٥٠٠ ، مكارم الأخلاق ٠ ٣٠١ ، أسرار الصلاة (ت) ٢٨٣ ، صلاة الخاشعين : ٦٤

ولو كان من تعقيبات ما هو أفضل منه لنحله رسول الله فاطمة عليها السلام . الكافي : ٣/٣٤٣ أنظر قصة هذا التسبيح ، رواية عن أمير المؤمنين عليه السلام ، في : الفقيه : ١/٢١١ ، علل الشرائع : ٢/٣٦٦ ، مفتاح الفلاح : ٢١٥ ـ ٢١٦ .

الصادق (ع): «إحفظ أدب الدعاء[1]، وأنظر من تدعو، وكيف تدعو، ولما تدعو، وحقق عظمة الله تعالى وكبرياءه، وعاين بقلبك علمه بما في ضميرك، واطلاعه على سرّك، وما يكنّ فيه من الحقّ والباطل، واعرف طرق نجاتك وهلاكك، كي لا تدعو الله تعالى بشيء عسىٰ فيه هلاكك، وأنت تظنّ أنّ فيه نجاتك.

قال الله تعالى: ﴿ ويدعو الإنسان بالشرّ دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولا ﴾[2] وتفكّر ماذ تسأل ولماذا تسأل. والدعاء استجابة الكلّ منك للحقّ، وتذويب المهجة في مشاهدة الرّب، وترك الإختيار جميعاً، وتسليم الأمور كلها ـ ظاهرها وباطنها ـ إلى الله تعالى[3] فإن لم تأت بشرط الدعاء فلا تنتظر الإجابة ﴿فإنه يعلم السرّ وأخفى﴾[4] فلعلك تدعوه بشيء قد علم من نيّتك بخلاف ذلك.

قال بعض الصحابة[5] لبعضهم: «أنتم تنتظرون المطر بالدعاء وأنا أنتظر الحجر»[6].

---

(١) أنظر آداب الدعاء. الإحياء: ١/٣٠٤ ـ ٣٠٩

(٢) سورة الإسراء: الآية ١١.

(٣) إذ الإسلام من التسليم لله تعالى يفعل ما يشاء ويريد، كما ورد عن الأئمة الأطهار عليهم السّلام من رسالة أبي عبد الله إلى جماعة الشيعة: واعلموا أن الإسلام هو التسليم، والتسليم هو الإسلام فمن سلّم أسلم، ومن لم يسلّم فلا إسلام له. الكافي: ١١/٨. وهذا القول مستل من قول أمير المؤمنين عليه السلام، الإسلام هو التسليم، والتسليم هو التصديق، والتصديق هو اليقين، واليقين هو الأداء، والأداء هو العمل: معاني الأخبار: ٣

(٤) الآية: ﴿ وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السرَّ وأخفى ﴾ سورة طه: الآية ٧

(٥) هو مالك بن دينار البصري، أبو يحيى، من رواة الحديث. كان ورعاً يأكل من كسبه، ويكتب المصاحف بالأجرة، توفي في البصرة سنة ١٣١ هـ /٧٤٨ م. الأعلام: ٥/٢٦٠ ـ ٢٦١. وعليه، فمالك بن دينار من التابعين، أو تابعي التابعين.

(٦) قيل لمالك بن دينار: أدع لنا ربك!.
فقال: إنكم تستبطئون المطر، وأنا أستبطيء الحجر الإحياء: ١/٣٠٨، رسالة منهاج العارفين مجموعة (القصور العوالي): ٩١.

واعلم أنّـه لو لم يكن الله أمـرنا بـالدّعـاء لكنّا إذا أخلصنـا الدعـاء تفضّل علينا بالإجابة فكيف وقد ضمن ذلك لمن أتى بشرائط الدعاء .

وسئل رسول الله (ص) عن إسم الله الأعظم فقال : « كـل إسم من أسمـاء الله أعظم ففـرّغ قلبك عن كـلّ من سواه ، وادعه بـأيّ إسم شئت فليس في الحقيقة لله إسم دون إسم بل هو الله الواحد القهار »[1] .

وقـال الـنّبـي (ص) : « إنّ الله لا يـستجيب الـدعــاء مـن قلب لاهٍ . . . »[2] .

فإذا أتيت بما ذكرت لك من شرايط الدّعاء وأخلصت سرّك لـوجهه فابشر بإحدى ثلاث إمّا أن يعجل لك ما سألت وإمّـا أن يدّخـر لك مـا هو أعظم منه ، وإمّا أن يصرف عنك من البلاء ما لو أرسله عليك لهلكت .

قـال النّبي (ص) : « قال الله تعالى : من شغله ذكـري عن مسـألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين » .

قال الصادق (ع) : « لقد دعوت الله تعالى مرة واحدة فاستجاب لي ونسيت الحاجة[3] لأن استجابته باقباله على عبده عند دعوته، أعظم وأجـل مما يريد منه العبد، ولو كانت الجنة ونعيمهـا الأبد ولكن لا يعقـل ذلك إلاّ العاملون المحبّون العارفون الفائزون صفـوة الله وخواصّـه ، إنتهى »[4] . وهو كاف في وظيفة الدعاء .

---

(١) ينسب الغزالي هذا الحديث إلى أبي يزيد البسطامي · المصدر السابق .

(٢) تحاوز المصنف رضوان الله عليه الجملة التاليـة : (إذا أراد أحدكم ألاّ يسـأل ربه إلاّ أعـطاه . فلييأس من الناس كلهم ، ولا يكن رجاؤه إلا من عند الله عز وجل . فـإذا علم الله تعالى ذلـك من قلبه لم يسأله شيئاً إلاّ أعطاه فإذا أتيت . .) . مصباح الشريعة : ١٣٣ ـ ١٣٤

(٣) الحر : قال الصادق عليه السلام ، لقد دعوت الله تعالى مرة . . . ينسبه الغزالي لأبي الحسين الوراق ، في رسالته (منهاج العارفين) وهذا غير دقيق من صاحب الإحياء

(٤) مصباح الشريعة من الباب الثاني والستين (في الدعاء) · ١٣٢ ـ ١٣٤

وإن عقبت بشيء من القرآن فينبغي أن تتدبّر بعض وظائفه لتقوم بشروطه، وتمتثل برسوم حدوده كما ينبغي ذلك لكل قارىء. وما ورد في ثواب[1] قراءة القرآن والحثّ عليه، يخرج ذكره عن موضع الرسالة فلنذكر مهمّ وظائفه ملخّصاً وهو أمور :

في وظائف القارىء عند القراءة[*]

الأوّل : حضور القلب وترك حديث النفس .

قيل في تفسير قوله تعالى : ﴿ **يا يحيى خذ الكتاب بقوّة** ﴾ أي : بجدّ واجتهاد . وأخذه بالجدّ أن يتجرّد عند قراءته بحذف جميع المشغلات والهموم عنه .

الثاني : التّدبّر : وهو طور وراء حضور القلب فإنّ الإنسان قد لا يتفكّر في غير القرآن ولكنّه يقتصر على سماع القرآن وهو لا يتدبّره والمقصود من التلاوة والتدبّر .

قال سبحانه : ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً** ﴾[2] ، وقال تعالى : ﴿ **ورتّل القرآن ترتيلاً** ﴾[3] .

---

(١) أنظر ثواب تلاوة القرآن في الإحياء : ٢/٦١١-٦١٣ .

(*) في وظائف القارىء عند القراءة ، تلخيص لما في الإحياء : ٢٨١ - ٢٨٨ .
وقد وردت تحت عنوان : (في أعمال الباطن في التلاوة) . وهي عشرة .
١ - فهم أصل الكلام ٢ - التعظيم ٣ - حضور القلب ٤ - التدبر ٥ - التفهم ٦ - التخلي عن موانع الفهم ٧ - التخصيص ٨ - التأثر ٩ - الترقي ١٠ - التبري .

(٢) الآية : ﴿ **أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً** ﴾ . سورة النساء : الآية ٨٢ .

(٣) الآية : ﴿ **أو زد عليه ورتل القرآن ترتيلا** ﴾ . سورة المزمل : الآية ٤ .

لأنّ الترتيل يمكّن الإنسان من تدبّرالباطن. قال صلى الله عليه وآله وسلم : « لا خير في عبادة لا فقه فيها ، ولا خير في قراءة لا تدبّر فيها »[1] .

وإذا لم يمكن التدبّر إلّا بالترديد فليردّده . وقال أبو ذر رضي الله عنه : « قام رسول الله ليلة يردد قوله تعالى : ﴿ **إن تعذبهم فإنّهم عبادك وإن تغفر لهم فإنّك أنت العزيز الحكيم** ﴾[2] » .

الثالث : التفهّم : وهو أن يستوضح من كلّ آية ما يليق بها إذ القرآن يشتمل على ذكر صفات الله تعالى وأفعاله ، وأحوال أنبيائه ، والمكذّبين لهم ، وأحوال ملائكته وذكر أوامره وزواجره ، وذكر الجنّة والنّار ، والوعد والوعيد ، فليتأمل معاني هذه الأسماء والصفات لينكشف له أسرارها ،فإن تحتها أسرار الدقائق ، وكنوز الحقايق .

قال ابن مسعود : « من أراد أن يعلم علم الأولين والآخرين فعليه بالقرآن »[3] .

---

(١) الحديث : لا خير في عبادة لا فقه فيها . . . منسوب لأمير المؤمنين عليه السلام . الإحياء : ٢٨٢/١ .

(٢) الخبر . قال أبو ذر رضي الله تعالى عنه ؛ قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يردد قوله تعالى : ﴿ **إن تعذبهم** . . ﴾ . الإحياء : ٢٨٢/١ . أخرجه ابن ماجه ، والنسائي بسندٍ صحيح .

وفي الإستشهاد بالرواية ، للمقام ، ما لا يخفى . وهو منه رضي الله عنه عجيب غريب . حاشية الأصل . ٣٤ ، وشبيه بذلك قيام الدارمي ليلة بآية : ﴿ **أم حَسِبَ الذين اجترحوا السيئات** . . ﴾ .

وقيام سعيد بن جبير رضي الله عنه ليلة بترديد الآية : ﴿ **وامتازوا اليوم أيها المجرمون** ﴾ . الإحياء : ٢٨٢/١ .

(٣) قال عبد الله بن مسعود : من أراد علم الأولين والآخرين . . الإحياء : ٢٨٣/١ ، اللمع : ١٠٥ (مع اختلاف في اللفظ يسير) .

قال الله تعالى : ﴿ قل لو كان البحر مداداً ﴾[1] إلخ .

وقال علي (ع) : « لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً من تفسير فاتحة الكتاب »[2] .

فمن لم يتفهّم معاني القرآن في تلاوته وسماعه ، ولو في أدنى المراتب ، دخل في قوله تعالى : ﴿ أولَئك الذين طبع الله على قلوبهم ﴾[3] ، وقوله : ﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾[4] .

الرابع : التخلّي عن موانع الفهم : فإنّ أكثر الناس منعوا من فهم القرآن لأستار وحجب أسدلها الشيطان على قلوبهم فحجبت عن عجائب أسراره قال (ص) : « لولا أنّ الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى الملكوت »[5] ومعاني القرآن وأسراره من جملة الملكوت .

والحجب الموانع منها : الإشتغال بتحقيق الحروف ، وإخراجها من مخارجها ، والتشدّق بها ، من غير ملاحظة المعنى وقيل أنّ المتولّي لحفظ ذلك شيطان وكّل بالقرّاء ليصرفهم عن معنى كلام الله تعالى ،فلا يزال يحملهم على ترديد الحرف ويخيّل إليهم أنّه لم يخرج من

---

(١) الآية : ﴿ قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً ﴾ . سورة الكهف : الآية ١٠٩ .

(٢) الإحياء : ١/٢٨٣ .

وقال عليه السلام : لو شئت أن أوقر بعيراً من قول : الحمد لله ، لفعلت ! . . روضة الطالبين : ١٦٣ .

(٣، ٤) مرّتا .

(٥) الحديث : لولا أن الشياطين يحومون . . . الإحياء : ١/٢٣٢ و ٢٨٤ و٣/٩ و١٥ . معارج القدس : ١٩٦ ، عوارف المعارف: ٣٢٥ ـ أخرجه أحمد ـ أسرار الصلاة (ت) : ٢٠٦ .

مخرجه[1] ، فيكون تأمله مقصوراً على مخارج الحروف فأنّى تنكشف لـه المعاني ؟

وأعظم ضحكة للشيطان من كان مطيعاً مثل هذا التلبيس .

ومنهـا : أن يكون مبتلى من الـدنيا بهـوىً مـطاع فـإنّ ذلـك سبب لظلمة القلب كالصّـدأ على المرآة فيمنع جليّة الحقّ أن يتجلى فيه ، وهو أعـظم حجاب للقلب ، وبه حجب الأكثرون . وكلّمـا كانت الشهـوات أكثـر تراكماً على القلب ، كان البعد عن أسرار الله تعالى أعظم .

ولذلك قـال (ص) : « الدنيـا والآخرة ضـرّتان بقـدر ما يقتـرب من إحداهما يبتعد عن الأخـرى »[2] .

الخـامس : أن يخصّص نفسه بكـلّ خطاب من القـرآن من أمـر أو نهي أووعد أو وعيد يقدّر أنه هو المقصود .

---

(1) قـال التبريـزي ، صاحب (أسـرار الصلاة) : ومن جملة اسـداله (الشيـطان) سدل وسـواس القراءة ، فيوكل إليه من أبنائه من يصرف كل همه لإقامـة حروفـه ، فيدخله بـذلك في إضـاعة حـدوده ، ويأمـر بالتكـرار والترديـد ليتحقق عنده بحكمـه استقـامـة الحـروف وخـروجهـا من مخارجها : أسرار الصلاة (ت) : ٢٠٦ ـ ٢٠٧ . ويرى ابن الجوزي على صعيد مشابـه ، بأنـه « قد لبس إبليس على بعض المصلين في مخارج الحروف فتراه يقول :

الحمد ، الحمد ، . . . فيخرج بإعـادة الكلمة عن قـانون أدب الصّـلاة ، وتارة يلبس عليـه في تحقيق التشديد ، وتارة في إخراج ضاد « المغضوب » .

ولقد رأيت من يقول « المغضوب » فيخرج بصاقه مع إخراج الضاد ، لقوة تشديده .

وإنما المراد تحقيق الحرف فحسب . تلبيس إبليس : ١٤٠ .

(2) الحـــديث : الدنيـا والآخرة ضُـرَّتان . . . لم نعثر عليه . وقـد ورد : قال بعض أصحـابنا مـا ملخصهُ : إن الدنيا والآخرة ضرتان . الحقائق : ٢١٩ .

ولعل المصنف ، قدس الله سره ، يقصد به ما روي عن أمير المؤمنين عليه السلام :

الدنيا والآخرة عدوان متعاديان ، وسبيلان مختلفان . فمن أحبَّ الدنيا ووالاها ، أبغض الآخرة وعاداها . مثلهما مثل المشـرق والمغرب . والمـاشي بينهما لا يـزداد عن أحدهمـا قربـاً ، إلا ازداد من الآخر بعداً . تحف العقول : ١٥١

وكـذلك إن سمـع قصص الأوّلين والأنبياء عليهم السـلام علم أنّ مجرّد القصّة غيـر المقصود الإعتبار، ولا يعتقد أنّ كـلّ خطاب خـاص في القرآن المراد به الخصوص، فإنّ القرآن وسـاير الخـطابات الشـرعيّة واردة على طريقة « إيّاك أعني واسمعي يا جارة »[1] وهي كلّها نـور ، وهدىً ، ورحمة للعالمين .

ولذلك أمر الله تعالى الكافة بشكر نعمة الكتاب فقال : ﴿ **واذكروا نعمة الله عليكم وما أنـزل عليكم من الكتاب والحكمـة يعظكم بـه** ﴾[2] وإذا قدّر أنّه المقصود لم يتخذّ دراسة القرآن عملاً،بل قراءته كقراءة العبد كتاب مولاه الّذي كتبه إليه ليتدبّره ويعمل بمقتضاه .

وقال حكيم : « هذا القرآن أتانـا من قبل ربّنـا بعهوده نتـدبّرهـا في الصلاة ، ونقف عليهـا في الخلوات ، ونعـدّهـا في الـطاعـات بـالسنن المتّبعات »[3] .

السادس : التأثر : وهو أن يتـأثّر قلبـه بآثـار مختلفة بحسب اختـلاف الآيات فيكون له بحسب كلّ فهم حال[4] ووجدٌ[5] يتّصف به عندما يوجّه نفسه في كلّ حالة إلى الجهة التي فهمها : من خوف أو حزن أو رجاء أو

---

(١) المثل : إياك أعني ، واسمعي يا جارة . كناية عن صرف القول إلى غير المخاطب به .

(٢) سورة البقرة : الآية ٢٣١ .

(٣) قال الغزالي : قال بعض الحكماء : هذا القرآن رسائل أتتنا من ربنا عز وجل ،بعهوده، نتدبرها في الصلوات . ونقف عليهـا في الخلوات ، ونـنفـذهـا في الـطاعـات ، والسنن المتبعـات . الإحياء : ١/٢٨٥ .

(٤) الحـال : منزلـة العبد في الحين ، فيصفـو له في الـوقت حالـه ، ووقته . وقيـل غيـر ذلـك . الإملاء : ١٦ .

(٥) الوجد : قيل : الوجد سر صفات الباطن . كمـا أن الطـاعة سـر صفـات الظاهـر . عوارف المعارف : ١١٣ .

وقيل : مصادفة القلب بصفاء ذكر كان قد فقده . الإملاء : ١٨ .

غيره ، فيستعدّ لذلك، وينفعل، ويحصل له التأثّر والخشية . ومهما قويت معرفته فكانت الخشية أغلب الأحوال على قلبه .

إنّ التقصير غالب على العارفين فلا يرى ذكر المغفرة والرحمة إلاّ مقروناً بشروط يقصر العارف على نيلها كقوله تعالى : ﴿ **وإنّي لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثمّ اهتدى** ﴾[1] فإنّه قرن المغفرة بهذه الشروط الأربعة .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ **والعصر إنّ الإنسان لفي خسر** ﴾ إلى آخر السّورة[2] وذكر فيه أربعة شروط .

وحيث أوجز واختصر ذكر شرطاً واحداً جامعاً لكلّ الشرايط فقال تعالى : ﴿ **إنّ رحمة الله قريب من المحسنين** ﴾[3] إذ كان الإحسان جامعاً لكلّ الشرايط[4] .

وتأثّر العبد بالتلاوة أن يصير بصفة الآية المتلوّة. فعندالوعيد يتضاءل من خشية الله ، وعند الوعد يستبشر فرحاً بالله ، وعند ذكر الله وأسمائه يتطأطأ خضوعاً لجلاله ، وعند ذكر الكفّار في حق الله تعالى ، ما يمتنع عليه ، كالصاحبة والولد ، يغضّ صوته وينكسر في باطنه حياءً من قبح أفعالهم ، ويكبّر الله ويقدّسه عمّا يقول الظالمون ، وعند ذكر الجنّة ينبعث بباطنه شوق إليها وعند ذكر النار ترتعد فرائصه خوفاً منها[5] .

ولمّا قال رسول الله لإبن مسعود : « إقرأ عليّ » .

---

(١) سورة طه الآية ٨٢

(٢) وتتمتها : ﴿ إلا الذين آمنوا ، وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر ﴾ . وهي الشروط الأربعة المنوه عنها .

(٣) سورة الأعراف : الآية ٥٦

(٤) .. فالإحسان يجمع الكل . الإحياء ١/٢٨٥ .

(٥) من كلام وهيب بن الورد . المصدر السابق .

قال: « فافتتحت سورة النساء ، فلمّا بلغت ﴿ فكيف إذا جئنا من كلّ أمّة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ﴾[1] رأيت عينيه تذرفان بالدمع فقال لي : « حسبك الآن »[2] .

وذلك لإستغراق تلك الحالة لقلبه بالكلّية .

والقرآن إنّما يراد لهذه الأحوال واستجلابها إلى القلب والعمل بها .

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « إقرأوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ولانت له جلودكم فإذا اختلفتم فلستم تقرؤونه »[3] .

وقال الله تعالى : ﴿ الّذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً ﴾[4] .

وإلّا فالمؤونة في تحريك اللسان خفيفة .

وروي أنّ رجلاً جاء إلى النبي ليعلمه القرآن فعلّمه فانتهى إلى قوله تعالى : ﴿ فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرّة شراً يره ﴾[5] فقال يكفيني هذا ، وانصرف .

---

(١) سورة النساء : الآية ٤١ .

(٢) الخبر : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لابن مسعود . إقرأ عليَّ .
فقال : يا رسول الله ، أقرأ عليك ، وعليك أنزل ؟ .
فقال : إني أحب أن أسمعه من غيري . . . الإحياء : ١/٢٨٠ و ٢٨٦ ، متفق عليه من حديث ابن مسعود .

(٣) اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم ، ولانت له جلودكم ، فإذا اختلفتم فيه فلستم تقرؤونه .
وفي رواية : فقوموا عنه . الإحياء : ١/٢٨٦ ، متفق عليه

(٤) سورة الأنفال : الآية ٢ .

(٥) سورة الزلزلة : الآيتان ٧ ـ ٨ .

فقال رسول الله : « إنصرف الرجل وهو فقيه [1] .

وأمّا التالي باللسان المعرض عن العمل بالقلب ، فجدير أن يكون المراد بقوله تعالى : ﴿ ومن أعرض عن ذكري فإنّ له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى ﴾[2] الآية .

وإنّما حظّ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل ، وحظّ العقل تفسير المعاني ، وحظّ القلب الإتعاظ والتأثّر بالإنزجار والإيتمار[3] .

السابع : الترقي : وهو أن يوجّه قلبه وعقله إلى القبلة الحقيقيّة فيسمع الكلام من الله تعالى لا من نفسه .

ودرجات القراءة ثلاث ، أدناها أن يقدر العبد كأنّه يقرأ على الله تعالى ، واقفاً بين يديه ، وهو ناظر إليه ومستمع منه ، فيكون حاله عند هذا التقدير السؤال والتّضرّع والإبتهال .

والثانية : أن يشهد بقلبه كأنّه سبحانه يخاطبه بألطافه ، ويناجيه بانعامه ، وإحسانه وهو في مقام الحياء والتعظيم لمنن الله ،والإصغاء إليه ، والفهم منه .

الثالثة : أن يرى في الكلام المتّكلّم وفي الكلمات الصفات ، فلا

---

(١) الخبر : روي أن رجلاً جاء إلى النبي ليعلمه القران . . . الإحياء : ١/٢٨٧ ، ويروى نهاده الحديث بشكل مختلف . أخرجه أبو داوود ، والنسائي ، وابن حبان ، والحاكم .
وقيل : أن الرجل هو صعصعه جد الفرزدق الشاعر

(٢) الايات : ﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ، ونحشره يوم القيامة أعمى .
قال : رب لم حشرتني أعمى ، وقد كنت بصيراً .
قال . كذلك أتتك اياتنا فنسيتها ، وكذلك اليوم تنسى ﴾ سورة طه : الايات ١٢٥ ـ ١٢٦ .

(٣) وتتمه القول عند الغزالي : فاللسان يرتل ، والعقل يترجم ، والقلب يتعظ . الإحياء : ١/١٨٧ .

ينظر إلى قلبه ولا إلى قراءته ولا إلى التعلّق بالأنعام ، من حيث هو منعم عليه ، بل يقصر الهمّ على المتكلّم ، ويقف فكره عليه ، ويستغرق في مشاهدته ، وهذه درجة المقرّبين[1] .

وعنها أخبر جعفر بن محمد الصادق (ع) بقوله : « لقد تجلّى الله لخلقه في كلامه ولكنّهم لا يبصرون » وقال أيضاً ، وقد سألوه عن حالٍ لحقته في الصلاة حتى خرّ مغشيّاً عليه ، فلمّا أفاق قيل له في ذلك ، فقال : « ما زلت أردّد هذه الآية على قلبي حتّى سمعتها من المتكلّم بها فلم يثبت جسمي بمعاينة قدرته[2] .

الثامن : التبرّي : والمراد به أن يتبرأ من حوله وقوّته[3] فلا يلتفت إلى نفسه بعين الرضا والتزكية .

فإذا تلا آيات الوعد ومدح الصّالحين ، حذف نفسه عن درجة الإعتبار ، وشهد فيها الموقنين والصدّيقين ، ويتشوّق إلى أن يلحقه الله بهم .

وإذا تلا آيات المقت والذم للمقصرين شهد نفسه هناك وقدّر أنه

---

(١) وتتمة القول عند الغزالي وما قبله درجة أصحاب اليمين ، وما خرج عن هذا فهو درجات الغافلين : المصدر السابق

(٢) الخبر : قال جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام . والله ، لقد تجلّى الله عز وجل لخلقه في كلامه ولكنهم لا يبصرون
وقال ، وقد أصابته حال قربٍ في الصلاة وغشي : ما زلت أردد هذه الآية حتى سمعتها من المتكلم . المصدر السابق وردت بلفظ قريب منه في . مفتاح الفلاح : ٢٩٢ ، كشكول البهائي : ٣/١٢٠ و ٤٤٤ ، الحقائق . ٢٢٣ ، الأنوار النعمانية . ٢/٣٥٥ـ٣٥٦ . أسرار الصلاة (ت) : ١١٩

(٣) وهذا ما التفت إليه أمير المؤمنين عليه السلام ، في صلاته ، فكان يقول وهو يقوم بعد إتمام السجود :
بحول الله وقوته أقوم وأقعد ، وأركع وأسجد . متبرئاً ، عليه السلام ، من كل حول له وقوة

المخاطب خوفاً وإشفاقاً وإلى هذه المرتبة أشار أمير المؤمنين (ع) وسيد الوصيين (ع) في الخطبة التي يصف فيها المتقين بقوله : « وإذا مروا بآية فيها تخويف أصغوا إليها مسامع قلوبهم وظنّوا أنّ زفير جهنّم في آذانهم »[1] إلخ .

ومن رأى نفسه بصورة التقصير في القراءة كان ذلك سبب قربه .

ومن شاهد نفسه بعين الرّضا فهو محجوب بنفسه .

فهذه نبذة من وظائف القراءة وأسرارها وفّقنا الله لتلقّي الأسرار وألحقنا بعباده الأبرار .

في وظائف سجدة الشكر

وإذا وصلت إلى هذا المقام فاسجد سجدتي الشكر[2] شكراً لله سبحانه على مزيد الأنعام ، وأحضر انعامه لديك ببالك ، وأياديه عندك في جميع أحوالك، وقل شكراً شكراً إلى تمام ما يمكنك من المزيد ،

---

(١) من خطبة لأمير المؤمنين ، عليه السلام ، في وصف المتقين ، استجابة لطلب أحد أصحابه ، وكان يدعى هماماً ، وكان عابداً . مكارم الأخلاق : ٤٧٦ ، كشكول البهائي . ٤١٩/٣ ـ ٤٢٠ .

(٢) عن الصادق ، عليه السلام ، « إنما يسجد المصلي سجدة بعد الفريضة ، يشكر الله تعالى ذكره ، على ما منَّ به عليه من أداء فرضه ، وأدنى ما يجزي فيها : « شكراً لله » ثلاث مرات الفقيه : ١/٢٢٠ .

وقال عليه السلام ـ من حديث طويل ـ : سجدة الشكر واجبة (بمعنى الإستحباب المؤكد) ، على كل مسلم ، تتم بها صلاتك ، وترضي ربك ، وتعجب الملائكة منك . وإن العبد إذا سجد سجدة الشكر ، فتح الرب تبارك وتعالى الحجاب بين العبد وبين الملائكة . » التهذيب ٢/٢١٠ ، الوسائل (كتاب الصلاة) : ٤٢٢ ـ ٤٢٣ ، الجواهر السنية : ٣٤٨ ، أسرار الصلاة (ت) ٢٩٦ ، صلاة الخاشعين : ٦٥ .

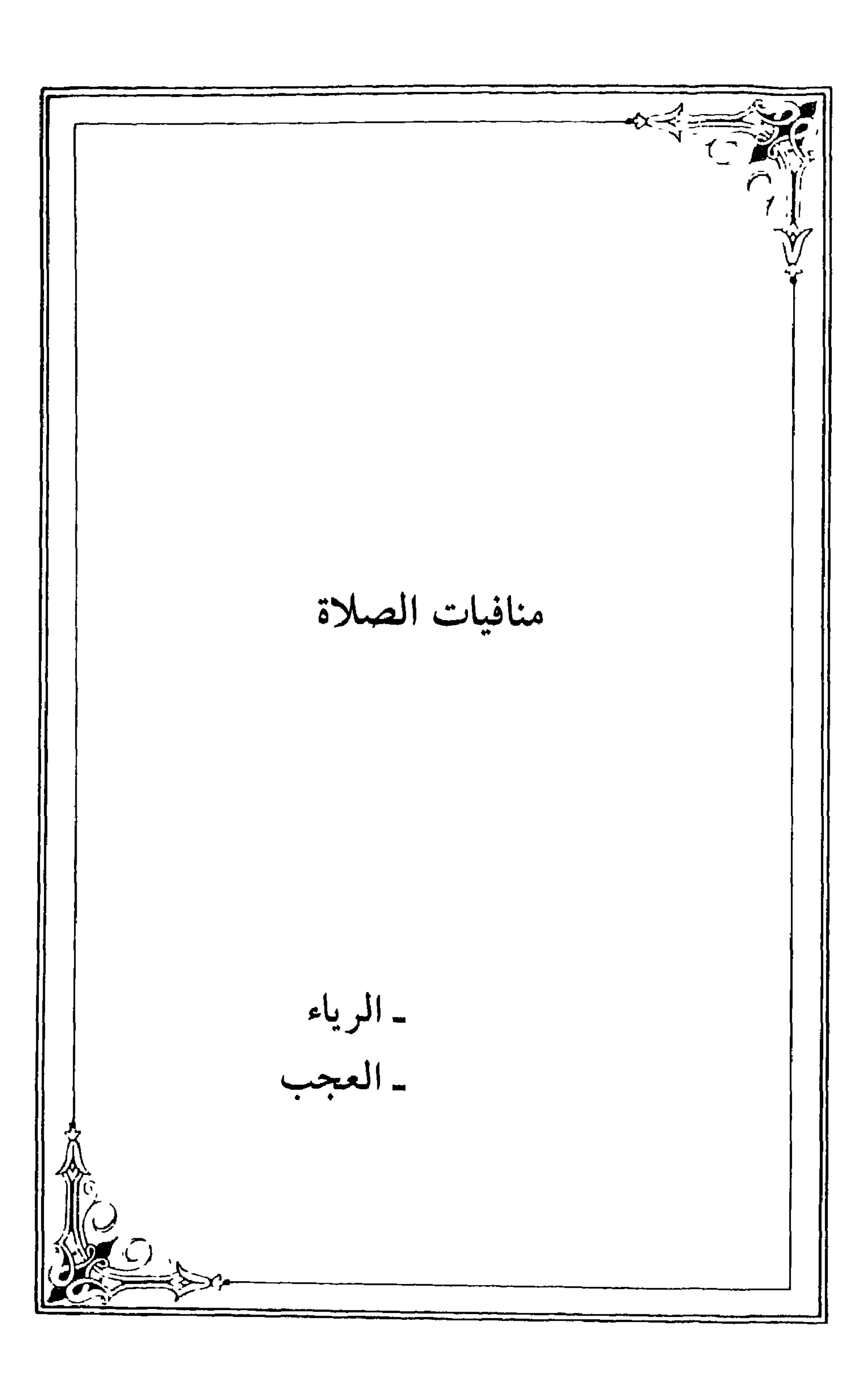
وأول من سجدها أمير المؤمنين عليه السلام قُبيل ليلة المبيت . الأنوار النعمانية : ٢/٣٧٠ .

أنظر سجدة الشكر ، في مفتاح السنة . ٢٣٣ .

فأنت مع ذلك مقصّر عما يجب عليك من التحميد وغاية ما يجب الإعتراف بالتقصير ، والإستغفار من كلّ قليل وكثير .

اللهمّ ارزقنا العمل بما كشفت لنا من أسرار الآيات ، وزدنا فيضاً وعرفاناً يكونا لنا سلّماً إلى نيل تلك الدّرجات ، ووفّقنا لدرك الحقّ بالتوفيق ، وثبت أقدامنا على مقامات الصدق وحقايق التحقيق ، بفضلك وجودك العميم ، إنّك أنت الوهّاب الكريم .





منافيات الصلاة

- الرياء
- العجب



الفصل الثالث

في ما يبطل الصّلاة وينافيها

في المنافيات :

وهي في هذا المقام ما أبطلت الصلاة أو نقصت كمالها من جهات قلبية . وهي تنقسم إلى منافيات الكمال وإلى منافيات الصحّة .

وضابط الأوّل ما ينافي الإقبال بالقلب على الله تعالى من حديث النفس ، والإلتفات إلى أمر دنيوي ، بل الفكر في غير متعلق الصلاة وإن كان أخروياً ، فإنّه من دقايق مكائد الشيطان[1] فإنّ المطلوب لله تعالى والموجب للقبول إنّما هو الإقبال على كلّ فعل من أفعالها حال الإشتغال فيه كما نبه عليه بقوله صلى الله عليه وآله وسلم : « وإنّما لك من صلاتك ما أقبلت عليه بقلبك »[2] .

ويدخل في هذا القسم ما عدّه الفقهاء من المكروهات ، كمدافعة الأخبثين[3] ، والنعاس ، والتنخم ، والبصاق ، والعبث ، وغيرها ، فإنّها

---

(١) قال الغزالي : حجاب الحق عن الخلق أربع · النفس ، والهوى ، والشيطان ، والدنيا روضة الطالبين : ١٠٧

(٢) تقدم .

(٣) الحديث · يكره للرجل الصلاة وهو يدافع الأخبثين . لسان العرب : ٥/٣٥٤ ، أخرجه =

مشتركة في مضادة الإقبال ، ومنافية للخشوع .

= الطبراني من حديث ابن عمر .
كما نهى صلى الله عليه وآله وسلم عن صلاه الحاقن ، والحاقب ، والحازق . الإحياء : ١٥٦/١ .
وقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام مثله . فالحاقن : الذي به البول . والحاقب : الذي به الغائط ، والحازق : الذي به ضغطة الخف . معاني الأخبار : ٢٣٧ ، عوارف المعارف . ٣١٩ .

* * *

أمّا وقد أتينا على نهاية موضوع الصلاة ، بكل ما فيها من حقائق ودقائق ، وتنبيهات وإشارات ، ومعارف ولطائف ، وأخبار وأسرار ، فلنورد هذا الحديث القدسي الجليل ، المروي في تفسير الإمام عليه السلام ، فهو بشارة للمصلين ، ونفحة للمنيبين .

قال : « إذا توجه المؤمن في مصلاه ليصلي ، قال الله عز وجل لملائكته :

- يا ملائكتي ، أما ترون إلى عبدي هذا ، قد انقطع عن جميع الخلائق إليّ ، وأمّل رحمتي وجودي ورأفتي ؟ . . أشهدكم أني أخصه برحمتي وكراماتي .

وإذا رفع يده ، وقال : الله أكبر ! . . أثنى على الله ، قال الله لملائكته :

- يا عبادي ، أما ترونه كيف كبرني ، وعظمني ، ونزهني عن أن يكون لي شريك أو شبيه أو نظير ، وتبرأ مما يقول أعدائي من الإشراك ؟

أشهدكم أني سأكبره وأعظمه في دار جلالي ، وأنزهه في تنزهات دار كرامتي ، وأبرئه من آثامه ، ومن ذنوبه ، ومن عذاب جهنم ، ومن نيرانها .

وإذا قال : بسم الله الرحمن الرحيم ، وقرأ فاتحة الكتاب ، وسورة ، قال الله لملائكته :

- أما ترون عبدي كيف تلذذ بقراءة كلامي ؟ . . أشهدكم ، ملائكتي ، لأقولن له يوم القيامه : إقرأ في جناتي ، وارقَ درجاتي . ولا يزال يقرأ ويرقى بعدد كل حرف درجة من ذهب . ودرجة من فضة ، ودرجة من لؤلؤ ، ودرجة من جوهر ، ودرجة من زبرجد أخضر ، ودرجة من زمرد أخضر ، ودرجة من نور رب العزة . . .

فإذا ركع ، قال الله تعالى لملائكته :

- يا ملائكتي ، أترون كيف تواضع لجلال عظمتي ؟ . أشهدكم لأعظمنه في دار كبريائي وجلالي .

فإذا رفع رأسه من الركوع ، قال الله تعالى لملائكته :

- يا ملائكتي ، أما ترون كيف يقول : أرتفع على أعدائك ، كما أتواضع لأوليائك ، وأنتصب لخدمتك . أشهدكم يا ملائكتي لأجعلن جميل العاقبة له ولأصيرنه إلى جناني .

فإذا سجد ، قال الله تعالى لملائكته :

- يا ملائكتي ، أما ترون كيف تواضع بعد ارتفاعه ، وقال : إني ، وإن كنت جليلاً مكيناً في

وأمّا منافيات الصّحة فضابطها منافاة الإخلاص واستكثار الطاعة ، ويدخل في الأوّل : الرياء بأقسامه ، وفي الثاني العجب. والكلام في كلّ منهما مستوفى ، وذكر أقسامهما وأحكامهما يخرج عن وضع الرسالة ، لكنّا نذكر المهمّ .

واعلم أنّ الوعيد على هاتين الآفتين في الكتاب والسّنة كثير يخرج عن حدّ الحصر ، قال الله تعالى : ﴿ **فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون . الذين هم يراؤون ويمنعون الماعون** ﴾[1] .

وقال النبي : «إنّ النار وأهلها يعجّون من أهل الرياء» فقيل : «يا رسول الله وكيف تعجّ النار ؟ » قال : « من حرّ النار التي يعذبون

= دنياك ، فأنا ذليل عند الحق إذا ظهر لي . سوف أرفعه ، وسأدفع به الباطل
فإذا رفع رأسه من السجدة الأولى ، قال الله تعالى :
ـ يا ملائكتي ، أما ترونه كيف قال : إني وإن تواضعت لك ، فسوف أخلط الإنتصاب في طاعتك ، بالذل بين يديك .
فإذا سجد ثانية ، قال الله تعالى لملائكته :
ـ أما ترون عبدي هذا كيف أعاد التواضع لي ؟ لأعيدن إليه رحمتي .
فإذا رفع رأسه قائماً ، قال الله تعالى .
ـ يا ملائكتي ! . . لأرفعنه بتواضعه ، كما ارتفع إليَّ بصلاته .
ثم لا يزال يقول الله تعالى لملائكته هكذا في كل ركعة ، حتى إذا قعد في التشهد الأول ، والتشهد الثاني ، قال الله تعالى :
ـ يا ملائكتي ، قد قضى خدمتي وعبادتي ، وقعد يثني عليَّ ، ويصلي على محمدٍ نبيي ، لأثنينَّ عليه في ملكوت السموات والأرض ، ولأصلينَّ على روحه في الأرواح .
فإذا صلّى على أمير المؤمنين في صلاته ، قال الله :
ـ يا عبدي ! . . . لأصلين عليك كما صليت عليه . ولأجعلنه شفيعك كما استشفعت به .
فإذا سلّم من صلاته ، سلم الله عليه ، وملائكته . (إنتهى) . أسرار الصلاة (ت) : ٢٧٨ ـ ٢٧٩ .

(١) الآيات : ﴿ **فويل للمصلين . الذين هم عن صلاتهم ساهون . الذين هم يراؤون ويمنعون الماعون** ﴾ . سورة الماعون : الآيات ٤ ـ ٧ .

فيها »[1] .

وعنه صلّى الله عليه وآله قال : « المرائي يوم القيامة ينادى بأربعة أسماء:يا كافر يا فاجر يا غادر يا خاسر ،ضلّ سعيك وبطل أجرك ولا خلاق لك ، التمس الأجر ممن كنت تعمل له يا مخادع »[2] .

وعنه (ص) : « إنّ الله تعالى يقول : أنا أغنى الأغنياء عن الشرك من عمل عملاً فأشرك فيه غيري فنصيبي له فأنا لا أقبل إلّا ما كان خالصاً لي »[3] .

وعنه (ص) : « إنّ الجنّة تكلّمت وقالت إنّي حرام على كل بخيل ومراءٍ »[4] .

وعنه (ص) : « إنّ أوّل من يدعى يوم القيامة رجل جمع القرآن، ورجل قتل في سبيل الله، ورجل كثير المال فيقول الله عزّ وجلّ للقارىء : « ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي ؟ » .

فيقول : « بلى يا ربّ » .

فيقول : « ما عملت في ما علمت ؟ » .

---

(١) الحديث : إن النار وأهلها يعجون من أهل الرياء . الأنوار النعمانية : ٢/٣٧١ .

(٢) الحديث : المرائي ينادى يوم القيامة بأربعة أسماء (وفي رواية : أسامٍ) . . الإحياء : ٣/٢٩٤ و ٢٩٦ . أخرجه ابن أبي الدنيا ، أسرار الصلاة : ٢٠ .

(٣) الحديث القدسي : أنا أغنى الأغنياء عن الشرك . . . حاشية الأصل : ٣٩ . الكافي : ٢/٢٩٥ ، الحقائق : ٨٥ ومع اختلاف باللفظ ، وجزئياً أحياناً ، وقريباً منه أحياناً أخرى في مكارم الأخلاق : ٤٥٣ ، عدة الداعي . ٢١٧ ، الجواهر السنية : ١٦٤ و١٦٧ و ١٦٩ و ٣٥١ و ٣٥٢ ، الإتحافات السنية : ٣٤ و ٣٦ و ٣٧ و ٦٨ . عجائب القرآن : ٤٧ ، الإحياء : ٣/٢٩٤ و : ٤/٣٨٥ ، أربعون الغزالي : ١٢٧ ، تنبيه الغافلين : ٣ .

(٤) لم نعثر عليه .

فيقول : « يا ربّ قمت به في آناء الليل وأطراف النهار » .

فيقول الله : « كذبت » وتقول الملائكة : « كذبت » ويقول الله تعالى : « إنّما أردت أن يقال فلان قارىء فقد قيل ذلك » .

ويؤتى بصاحب المال فيقول الله تعالى : « ألم أوسع عليك حتى لم أدعك محتاجاً إلى أحد ؟ . . » .

فيقول : « بلى يا ربّ » .

فيقول : « فما عملت في ما آتيتك » .

قال : « كنت أصل الرّحم واتصدّق » .

فيقول الله تعالى : « كذبت » وتقول الملائكة : « كذبت » ويقول الله تعالى : « بل أردت أن يقال فلان جواد وقد قيل ذلك » .

ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله فيقول الله تعالى : « ما فعلت ؟ » .

فيقول : « أمرت بالجهاد في سبيل الله فقاتلت حتى قتلت » .

فيقول تعالى : « كذبت » وتقول الملائكة : « كذبت » ويقول الله تعالى : « بل أردت أن يقال فلان شجاع جريء فقد قيل ذلك » .

ثمّ قال رسول الله : « أولئك خلق الله تسعر بهم نار جهنّم »[1] .

وعن الصادق عليه السلام : « إيّاك والرياء فإنّه من عمل لغير الله وكله الله إلى من عمل له »[2] .

---

(١) الحديث . أول من يدعى يوم القيامة رجل جمع القرآن ورجل قتل في سبيل الله ورجل كثير المال . . . عدة الداعي : ٢٢٨ ، الإحياء . ٣/٢٩٤ و ٤/٣٧٧ (مختصراً) - رواه مسلم - . تنبيه الغافلين : ٥ ، (مختصراً ومختلفاً لفظاً) .

(٢) بعض هذا الحديث مقتبس من قول أمير المؤمنين عليه السلام . إخشوا الله خشيةً ليست=

وعنه عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ : ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربّه فليعمل صالحاً ولا يشرك بعبادة ربّه أحداً ﴾ .

قال : « الرجل يعمل شيئاً من الثواب لا يطلب به وجه الله إنّما يطلب تزكية النفس يشتهي أن يسمع به الناس فهذا الذي أشرك بعبادة ربّه »[1] .

ثم قال : « ما من عبد أسرّ خيراً فذهبت الأيام حتى يظهر الله له خيراً وما من عبد أسرّ شرّاً فذهبت الأيام حتى يظهر له شرّاً » .

والأثر في ذلك يطول .

وقال الله تعالى في ذمّ العجب : ﴿ ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم ﴾[2] .

وذكر ذلك في معرض الإنكار .

وقال تعالى : ﴿ وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً ﴾[3] وهو أيضاً

= تعرير ، واعملوا لله في غير رياء ولا سمعة . إنه من عمل لغير الله وكله الله إلى عمله . الكافي ٢/٢٧٢ ، الحقائق ٨٥

(١) الخبر عن الصادق عليه السلام في قوله عز وجل . ﴿ من كان يرجو لقاء ربه ﴾ . قال : الرجل يعمل شيئا من الثواب ، لا يرجو به وجه الله تعالى الوسائل (كتاب الصلاة) ، مع بعض تغيير في اللفظ الحقائق ٨٦

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، قال : من صلّى صلاة يرائي بها ، فقد أشرك ثم قرأ الآية عدة الداعي ٢١٦ ، الأنوار النعمانية ٢/٣٧٢ ، جامع السعادات ٢/٤٢٢ ، الإحياء ٣/٢٩٣

(٢) الآية . ﴿ ولقد نصركم الله في مواطن كثيرة ، ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم ﴾ . . سورة التوبة الآية ٢٥

وخبر قولهم يوم حنين : لا نغلب اليوم من قلة ، أخرجه البيهقي في (دلائل النبوة) .
ولابن مردويه في تفسيره من حديث أنس .
لما التقوا يوم حنين أعجبتهم كثرتهم ، فقالوا : اليوم نقاتل !. ففروا الإحياء : ٣/٣٧٤

(٣) الآيتان . ﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالاً * الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم =

راجع إلى العجب بالعمل على وجه .

وقال النّبي (ص) : « ثلاث مهلكات : شحٌّ مطاع ، وهوىً متّبع ، وإعجاب المرء بنفسه »[1] .

وقال الصّادق عليه السلام : « من داخله العجب هلك »[2] .

وعنه (ع) : « للعجب درجات : منها أن يزيّن للعبد سوء عمله فيراه حسناً فيعجبه ، ويحسب أنّه يحسن صنيعاً »[3] .

وعنه (ع) قال : «أتى عالم عابداً فقال له : « كيف صلاتك » قال : « مثلي يُسأل عن صلاته وأنا أعبد الله منذ كذا وكذا ؟ » قال : « وكيف بكاؤك ؟» قال : « أبكي حتّى تجري دموعي » فقال له العالم : « فإنّ ضحكك وأنت خائف، خير من بكائك وأنت مدلّ ، إنّ المدلّ لا يصعد من عمله شيء »[4] .

وعن أحدهما (ع) قال : « دخل المسجد رجلان : أحدهما عابد

= يحسبون أنهم يحسنون صنعاً * ﴾ : سورة الكهف الآيتان ١٠٣ ـ ١٠٤

(١) الحديث : ثلاث مهلكات . . . من وصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأمير المؤمنين عليه السلام . كشكول البهائي ٢٧٧/٢ ، علل الشرائع ٤٢٧ ، جامع السعادات ١/٣٥٤ ، الأنوار النعمانية : ٣٨٠/٢ ، عدة الداعي ٢٣٥ ـ ٢٣٦ ، الحقائق ٩٦ ، الإحياء ١٥/١ و ٢٧٨/٣ ـ أخرجه الطبراني وأبو نعيم والبيهقي ـ ، الحكمة الخالدة : ١٠٨ ـ ١٠٩

(٢) للصادق عليه السلام : من داخله العجب هلك الكافي . ٣١٣/٢ ، جامع السعادات : ٣٦٠/١ .

ويعزى هذا الحديث لأمير المؤمنين عليه السلام . مسند الرضا ٤٩٧/١

(٣) سئل أبو الحسن موسى عن العجب الذي يفسد العمل ، قال العجب درجات الكافي : ٣١٣/٢ ، معاني الأخبار ٢٤٣ ـ ٢٤٤ ، جامع السعادات ٣٥٩/١

(٤) الخبر : أتى عالم عابداً ، فقال له كيف صلاتك ؟ . الكافي : ٣١٣/٢ ، جامع السعادات ٣٦٠/١ ، الإحياء : ٣٧١/٣ (قريب منه) ، عدة الداعي ٢٤٢ (بعضه) الحقائق . ٩٦ .

والآخر فاسق ، فخرجا من المسجد والفاسق صدّيق والعابد فاسق »[1] .

وذلك أنّه يدخل المجسد العبد مدلاً بعبادته فيدل بها فتكون فكرته في ذلك ، ويكون فكرة الفاسق في الندم على فسقه ويستغفر الله عزّ وجلّ مما صنع من الذنوب .

وقال النّبي صلى الله عليه وآله وسلم : « قال الله تعالى لداوود : « يا داوود بشّر المذنبين وانذر الصدّيقين » .

قال : « كيف أبشّر المذنبين وأنذر الصدّيقين» قال : « يا داوود بشر المذنبين ، إنّي أقبل التوبة ، وأعفو عن الذنب . وانذر الصدّيقين أن لا يعجبوا بأعمالهم فإنّه ليس عبد يعجب بالحسنات إلاّ هلك »[2] .

واعلم أنّ الرياء على ضربين : رياء محض ورياء مختلط .

فالمحض : أن يريد بعمله نفع الدنيا ، وهو أعم من أن يتوصّل به إلى محرّم أومباح ،أو ليحذر من أن ينظر إليه بعين النقص ،ولا يعدّ من الخاصة .

والمختلط : أن يقصد به ذلك مع التقرّب إلى الله تعالى وكلاهما مفسد للعمل بل الأول ساقط عن درجة البحث والإعتبار .

والثاني هو الإشراك بالله تعالى في العبادة التي قد تقدّم أنه يتركها لشريكه وهذا هو الشرك الخفي في هذه الأمّة[3] الذي أشار إليه النبي (ص) بأنّه في أمّته فاش .

---

(١) عن أحدهما [الباقر أو الصادق عليهما السلام] ، قال : دخل المسجد رجلان ، أحدهما عابد والآخر فاسق . الكافي . ٢/٣١٤

(٢) الحديث القدسي : قال الله تعالى لداوود : يا داوود بشر المذنبين . المصدر السابق ، جامع السعادات : ١/٣٥٩ ، الجواهر السنية : ٨١ ـ ٨٢ ، عدة الداعي : ٢٣٥ ـ ٢٣٦ ، الحكمة الخالدة : ١٤٢ .

(٣) وذلك في ما مرّ من قوله عز وجل في حديث قدسي أنا أغنى الأغنياء عن الشرك .

ثمّ المقصود هنا ليس هو البحث عن الفعل الـذي يقع ابتـداء رياء لأنّ ذلك باطل في نفسه، ولا يعرض لقلوب العارفين، وإنّما الكلام هنا فيما يبتـديء الإنسان بـه من العبادة خـالصاً لله تعـالى لا يريـد بـه غيـره ، ثم يعـرض له مـا ينافي الإخـلاص على وجـه الشـوب اللطيف الـذي ينبغي التنبيه عليه في مثل هذا المقام [وهو(*) يـأتي على وجوه ، بعضهـا خفيّ وبعضها جليّ .

أحدها : أن يعقـد الصلاة مثـلاً على الإخلاص المحض والـطّاعة والإقبال على الله تعالى بها ، وهو خال من نظر الناس إليه ، فيدخل عليه داخل أو ينظر إليه ناظر ، فيقول لـه الشيطان : « زد صـلاتك حسنـاً حتى ينـظر إليـك هـذا الحـاضـر بعين الـوقـار والصـلاح ، ولا يـزدريـك ولا يغتابك » .

فتخشع جوارحـه وتسكن أطرافـه ويحسن صلاتـه وهذا هـو الرّيـاء الطاريء الظاهر ، الذي لا يخفى على المبتدئين من المريدين، ولكنّه في الجملة من شوائب القُربِ ومنافي الإخلاص .

وثانيها : أن يكون قد فهم من هذه الآفة وأخذ منها حـذره ، فصار لا يطيع الشيطان فيها ولا يلتفت إليه ، ويستمر في صلاته كما كان فيـأتيه في معرض الخير ويقـول : أنت متبوع ، ومقتـدى بك ، ومنـظور إليك ، وما تفعله يؤثر عنك ويتأسّى فيه بك غيرك ، فيكون لك ثواب أعمالهم إن أحسنت ، وعليك الوزر إن أسأت فاحسن عملك ، فعساه أن يقتدى بـك في الخشوع وتحسين العبادة، فتكـون شريـك من اقتدى بـك ، وهلمّ جرّاً للحديث المشهور : « إنّ مـن سنّ سنّة حسنة فله أجرها وأجـر من يعمل

(*) ما بين الحاصرتين [وهو يأتي على وجوه . أعظم من مداخله على الجهلاء] مقتبس عن الإحياء - ٤/٣٨٢ ـ ٣٨٤ ، بتصرف قليل زيادة وإنقاصا

بها إلى يوم القيامة »[1] .

وهذه المكيدة أعظم من الأولى وأدقّ ، وقد ينخدع بها من لا ينخدع بالأولى وهو أيضاً عين الرياء[2] ومبطل الإخلاص ، فإنّه إذا كان يرى الخشوع وحسن العبادة خيراً لا يرتضي لغيره تركه ، فلم لم يرتضِ لنفسه ذلك في الخلوة ؟

ولا يمكن أن يكون غيره أعزّ عليه من نفسه .

فهذا عين التلبيس ، بل المقتدى به هو الذي استقام في نفسه ، واستنار قلبه فانتشر نوره إلى غيره ، فيكون له الثواب عليه .

وأمّا فعل الأوّل فمحض النفاق والتلبيس ، فيطالب يوم القيامة بتلبيسه ، ويعاقب على إظهاره من نفسه ما ليس متّصفاً به ، وإن أثيب المقتدى به .

وثالثها : وهو أدقّ مما قبلها أنْ يتنبّه العبد لذلك ، وإنّه مكيدة من الشيطان ويعلم أنّ مخالفته بين الخلوة والمشاهدة للغير، محض الرياء ويعلم أنّ الإخلاص في أن تكون صلاته في الخلوة مثل صلاته في الملأ ، ويستحي من نفسه ومن ربّه ، أن يخشع ، لمشاهدة خلقه ، تخشّعاً زائداً على عبادته ، فيقبل على نفسه في الخلاء ويحسن صلاته على الوجه الذي يرتضيها في الملأ ، ويصلّي أيضاً في الملأ كذلك ،

---

(١) الحديث : من سنّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من يعمل بها إلى يوم القيامة .
وفي رواية : وأجر من اتبعه . مفتاح السنّة : ٢٤٦ ، الإحياء ٣/٣١٧ ، رياض الصالحين : ٩٤ (بعضه) - رواه مسلم - تحف العقول : ١٧٥

(٢) الحديث . من صلى صلاة يرائي بها فقد أشرك . تقدّم .
وروي عنه صلى الله عليه وآله وسلم : إن الله لا يقبل عملاً فيه مثقال ذرة من الرياء . عدّة الداعي : ٢٢٨ .

للعلّة المذكورة ، وهذا أيضاً من الرّياء الغامض لأنّه حسّن صلاته في الخلوة لتحسن في الملأ ، فلا يكون قد فرّق بينهما فالتفاته في الحلاء والملأ إلى الخلق ، بل الإخلاص أن يكون مشاهدة البهائم لصلاته ومشاهدة الخلق على وتيرة واحدة .

فكأنّ نفس صاحب هذه الخطرة ليست تسمح بإساءة الصلاة بين النّاس ، ثم يستحي من نفسه أن يكون في صورة المرائين ، ويظن بأنّ ذلك يزول بأن يستوي في صلاته في الخلاء والملأ . هيهات ! . . . بل زوال ذلك بأن لا يلتفت إلى الخلق كما لا يلتفت إلى الجمادات والبهائم في الخلاء والملأ جميعاً ، وهذا شخص مشغول الهمّ بالخلق في الخلاء والملأ جميعاً وهذا من المكائد الخفيّة[1] .

وإلى هذا الإشارة في الحديث النبويّ : « لا يكمل إيمان العبد حتى يكون الناس عنده بمنزلة الأباعر » فتأمّل[2] .

ورابعها : وهو أدقّ وأخفى أن ينظر إليه النّاس وهو في صلاته فيعجز الشيطان عن أن يقول له : « إخشع لأجلهم » ، فإنّه قد عرف أنّه لا يصغي لذلك فيقول الشيطان : تفكّر في عظمة الله وجلاله ، ومن أنت واقف بين يديه واستحي أن ينظر الله إلى قلبك وانت غافل عنه ، فيحضر

---

(١) أشار إليه الحديث الشريف اتقوا هذا الشرك ، فإنه أخفى من دبيب النمل الإحياء ٣٠٦/٣ ، رواه ابن حبّان ، وقريب منه ، وفي معناه حديث آخر . الإحياء ٢٧٤/٣ و ٣٨٣/٤ ، وقد مر ذلك آنفاً

(٢) لا يكمل إيمان العبد حتى يكون الناس عنده بمنزلة الأباعر الأنوار النعمانية : ٣٧٣/٢ - ٣٧٤ .

وورد في وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأبي ذر يا أبا ذر ، لا يفقه الرجل كل الفقه ، حتى يكون الناس عنده بمنزلة الأباعر ، ثم يرجع إلى نفسه فيكون أحقر حاقرٍ لها مكارم الأخلاق ٤٦٥ ، عدة الداعي . ٢١٨ .

بـذلك قلبـه ، ويجمع جـوارحه ، ويـظنّ إن ذلك عين الإخـلاص ، وهو عين المكر والخداع ، فإنّ خشوعه لو كان لنظره إلى جـلال الله وعظمتـه لكانت هذه الخطرة تلازمـه في الخلوة ولكان لا يختصّ حضـورها بحـالة حضورغيره، وعلامة الأمن من هذه الآفة أن يكون هذا الخاطر ممّـا يألفـه في الخلوة كمـا يألفـه في الملأ، ولا يكون حضـور الغيـر هـو السبب في حضورالخاطر،كما لا يكون حضور البهيمة سبباً .

فما دام يفرّق في أحواله بين مشاهدة الإنسان ومشاهدة البهيمة فهو بعـد خارج عن صفـوة الإخلاص ، مـدنّس البـاطن بـالشـرك الخفيّ من الـرياء ، وهـذا الشرك أخفى في قلب ابن آدم « من دبيب النملة السـوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصّماء » كما ورد به الخبر[1] .

ولا يسلم من الشيـطان إلاّ من دقّ نظره ، وسعـد بتوفيق الله تعـالى وهدايته ، وإلاّ فالشيطان مـلازم للمتشمرين لعبـادة الله تعالى ، لا يغفـل عنهم لحظة حتّى يحملهم على المهالـك في كل حـركة من الحـركات ، حتى في كحـل العين ، وقصّ الشـارب ، وطيب يـوم الجمعـة ، ولبس الثياب الفاخرة فإنّ هذه سنن في أوقات مخصوصة لكن للنفس فيهـا حظاً خفياً لارتباط نظر الخلق بهما .

فيدخل الشيطان عليه من هذه المداخـل إن لم يتيقظ . ولهذا قيل : « ركعتان من عالم أفضـل من عبادة سنـة من جاهـل »[2] وأُريد بـه العالم البصير بدقايق آفات العبادة حتى يخلص عنها لا مطلق العالم . فإنّ مداخل

---

(١) الشـرك أخفى في قلب ابن آدم من دبيب النملة السـوداء في الليلة الـظلمـاء على الصخـرة الصماء

الأنوار النعمانية . ٢/٣٧٤ ، الإحياء : ٤/٣٨٣ ، وقد مر ما هو قريب منه .

(٢) الحديث : ركعتان يصليهمـا العالم أفضـل من ألف ركعة يصليهـا العابـد . . . من وصية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأمير المؤمنين عليه السلام . مكارم الأخلاق : ٤٤١

الشيطان على كثير من العلماء أعظم من مداخله على الجهلاء] .

وخامسها(١) : أن يكمل العبادة على الإخلاص المحض ، والنية الصالحة ، لكن عرض له بعد الفراغ منها حب إظهارها ليحصل له بعض الأغراض المحققة للرياء ، خديعة من الشيطان له أنّه قد كمّل العبادة الخالصة وقد كتبها الله تعالى في ديوان المخلصين ، فلا يقدح فيها ما يتجدّد وإنما ينضمّ إلى ما حصّله بها من الخير الآجل خير آخر عاجل . فيحدث به ويظهره لذلك ، فهذا أيضاً مفسد للعمل ، وإن سبق ، كما يفسده العجب المتأخّر ، ويدخل في زمرة الذين قال الله تعالى عنهم : ﴿ قل هل **ننبئكم بالأخسرين أعمالاً الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يُحسنون صنعاً** ﴾(٢) .

وقد رويَ أنّ رجلاً قال للنّبي (ص) : « صمت الدهر يا رسول الله » فقال له : « ما صمت ولا أفطرت »(٣) .

وروي عن ابن مسعود أنّه سمع رجلاً يقول : «قرأت البارحة البقرة» قال : « ذلك حظه » بل لو كنت باقياً على إخلاصك فيه فقد نقصت منه تسعة وستين جزءاً من سبعين جزءاً ، على ما روي عنهم (ع) : « إن فضل عمل السّر على عمل الجهر سبعون ضعفاً »(٤) .

---

(١) من المصنف رضوان الله عليه .

(٢) الآيتان ﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين ﴾ . . . سورة الكهف : الآيتان ١٠٣ ـ ١٠٤ ، وقد مرتا .

(٣) الخبر . قال رجل للنبي صلى الله عليه وآله وسلم . صمت الدهر يا رسول الله . جامع السعادات : ١/٤٠١ ، الإحياء ٣/٣٠٧ وفي الحديث أيضاً . لا صام من صام الأبد . كنوز السنة : ٢٨٩ . و : إيّاكم وصوم الدهر الأنوار النعمانية ٤/٦٩ .

(٤) الحديث إن فضل عمل السر على الجهر سبعون ضعفاً . أخرج البيهقي من حديث أبي الدرداء ما هو بمعناه ، ومن حديث ابن عمر ما هو قريب منه . الإحياء : ٣/٣٠٧ . =

وعن الصّادق (ع) : « من عمل حسنة سرّاً كتبت له سرّاً فإذا أقرّ بها محيت وكتبت جهراً ، فإذا أقرّ بها ثانية محيت وكتبت رياء »[1] .

فيا لها من كلمة ماأشأمها، ورزية ماأعظمها، حيث نقص بها حظّك وضاع كدحك ، وليتك سلمت من تبعتها فإنّ المرائي لا يسلم ، كما قد عرفت من وعيده ، وهذا كله مع عدم تعلق غرض صحيح في الآخرة بإذاعته ، وأمّا حصه، كما لو أراد بذلك تنشيط السامع ، وترغيبه في فعل الخير ، مع وثوقه بنفسه ، فلا حرج فيه ، إذا لم يمكن تنشيطه بدونه ، وإلاّ كان أولى .

وقد روى محمّد بن مسلم[2] عن الباقر (ع) قال : « لا بأس أن تحثّ أخاك إذا رجوت أن تنفعه وتحثه ، وإذا سألك : « هل قمت الليلة أو صمت ؟ » فحدثه بذلك إن كنت فعلته ، فقل قد رزق الله ذلك، ولا تقل لا فإنّ ذلك كذب » .

ومن هنا جاء أفضليّة الصّدقة جهراً ليتأسّى به ، والإجهار بصلاة

= وعن أمير المؤمنين عليه السلام · صلاة السر تزيد على الحهر بسعين صعماً إرشاد القلوب : ٩٣ .

وروي عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قوله : دعوة العبد سراً دعوة واحدة ، تعدل سعين دعوة علانية .

وفي رواية أخرى دعوة تخفيها ، أفضل من سبعين دعوة تظهرها · عدة الداعي . ١٥٦ .

(١) عن الصادق عليه السلام : من عمل حسنة سراً . عدة الداعي . ٢٣٥ .

(٢) هو محمد بن مسلم بن رباح ، الطحّان ، الأعور ، السمّان ، الطائفي ، الكوفي .

من أصحاب الإماميں : الصادق والكاظم ، عليهما السلام ، ومن حواريي الباقر عليه السلام ، وأحبهم إليه ، وأقربهم منزلة لديه ، ومن أوثق الناس في زمانه، وأفقههم، سمع من الإمام الباقر ثلاثين ألف حديث ، ومن الصادق ستة عشر ألف حديث .

له كتاب الأربع مئة مسألة في أبواب الحلال والحرام . وقد شهد له الصادق بالمعرفة بأحكام الله ، وسنة رسوله . قيل فيه : ما كان أحد من الشيعة أفقه من محمد بن مسلم . مات سنة ١٥٠ هـ . بعصه ، عن (الإختصاص : ٢٠٣) .

الليـل زيادة على غيـرها ليتنبّـه أهله وجيرانـه فيتأسّوا به، ولكن ذلـك كلّه مـوضع الخـطر ، فيجب الإحتراز والتيقظ بمـراعاة القلب ، وكمـا يكـون الإظهار مظنّة الريـاء ومخطرتـه ، كذلـك الإخفاء فـإنّ فيه أيضـاً للشيطان مداخل منها :

[(*)أن يأمره بترك العمل خوفاً من أن يكـون مرائيـاً به ، وهـذا من جملة خدايعه وفي ترك العمل زوال تحصيل لغرضه ، لأنّ غرضه الأقصى ترك العمل .

وإنّما يعدل بك إلى قصد الرياء وغيره، عند عجـزه عن تثبيطك عن العمل ، وتزهيدك فيه ، فإذا تركته فقد حصّلت غرضه ، ومثالك في ذلـك مثال من سلّم إليه مولاه حنطة فيها تراب ، فقال له خلّصهـا من التراب ، ونقّها منه تنقية بالغة[1]، فيترك أصل العمل ويقول أخاف إن اشتغلت به لم يخلص خلاصاً صافياً، فيترك العمل من أصله .

(*) ما بين الحاصرتين : [أن يأمره بترك العمـل . وعقوبـة لنفسك ، فـافعل .] ، مقتبس عن الإحياء : ٣٢٣/٣ ، مع شيء من تصرف قليل بعضه في · عدة الداعي : ٢٢٢ ـ ٢٢٣
حفلت الصفحة ٤٢ ، من الأصل ، بحواش عديدة ، نقتصر على المهم منها :
إن لم يتمكن المكلف بـالمجاهـدة من إخلاص العمـل ، سقط عنه التكليف بـالفعـل ، لعـدم تمكنـه من الإمتثال ، فتعين التـرك . والترك واجب ، إذ لا غـرض فيه للشيـطان أصـلاً ، بـل غرضه منحصر في الفعل الريائي ، فتنحصر العبادة فيه
وغرض الشيطان تفويت المأمورية على العبد ، وله في ذلك طريقان :
أحـدهما : الحمـل على الترك ، والثـاني : الحمل على الفعـل الريـائي . والثـاني أدخـل في غرضه .
ثم أن مجـرد الخوف من الـوقوع في الـرياء لا يصيـر داعياً إلى التـرك . إذ ذلك الخـوف إنمـا يقتضي الفرار من الرياء الذي يحصل في أحد أمرين :
أحدهما الإمتثال وفعل المأمورية على وجه الإخلاص ، أوالمفروض تمكنه من ذلك ، . .
والثاني . الترك رأساً .
(١) ورد المثل نفسه في · أسرار الصلاة (ت) ، وعـدة الداعي ٢١٩ ، بـالإضافـة إلى الإحيـاء ، كما هو بين

وهـذا تمام الغـرض لإبليس اللعين وغايـة القصـد ، فقـد حصّلت أمنيته وأرحته من التعب بك في إفساد العمل وإنّما سبيلك ان تجتهـد في تخليص عملك بالأدوية النافعة ، وتحصيل أمر مولاك .

ومنها : أن يأمره بترك العمل أيضاً لا لـذلك بـل خوفـاً على الناس أن يقولوا أنّه مراء فيعصون الله به ، وهذا أيضاً مـع ما قبله ريـاء خفيّ من مكـائد الشيـطان لأنّ ترك العمـل خوفـاً من قولهـم إنّـه مراء عين الـرياء ، ولولا حُبّه لمحمدتهم وخوفـه من ذمّهم ، فما لـه ولقولهم قـالوا أنّـه مراء أو قالوا أنّه مخلص ؟ .

وأيّ فرق بين أن يترك العمـل خوفـاً من أن يقال أنّه مراء ، وبين أن يحسن العمل خوفاً من أن يقال أنّه غافل مقصر ؟ بل ترك العمـل أشدّ من ذلك ، وفيه مع ذلك إسـاءة الظنّ بالمسلمين ، وما كـان من حقّه أن يـظنّ بهم ذلك .

ثمّ كيف تـطمع أن تتخلّص من الشيـطان بترك العمـل وقـد أطعتـه فيه ؟ فإنّه لا يخليك أيضاً بل يقول لك : « لأن تقـول الناس أنّـك تركت العمـل ليقال أنّـك مخلص لا تشتهي الشهرة » إلى غيـر ذلـك من اللعب بك ، وإنّما خلاصك من ذلك كلّه أن تلزم قلبك معرفة آفات الرياء وضرره ، لتلزم كراهته ، وتشمّر مع ذلك على العمل ولا تبالي ، وتلزم قلبك الحياء من الله تعـالى أيضاً إذ دعتـك نفسك إلى أن تستبـدل بحمد الله تعـالى حمد المخلوقين ، وهو مطلّع على قلبك . ولو أطلع الخلق على قلبك وأنك تريد حمـدهم لمقتوك . بل إن قدرت على أن تـزيد في العمـل حياء من ربـك وعقوبة لنفسك فافعل] .

ومنهـا : [(*)أن يقول لـه أترك العمـل لئلّا يـظنّ الناس بـك خيراً

(*) ما بين الحاصرتين · [ومنها أن يقول له : أتـرك العمل . هـذا الوصف] مقتبس عن عـدة الداعي : ٢٢٢ ـ ٢٢٣

وتشهر به وأحبّ العباد إلى الله تعالى الأتقياء الأخفياء الذين إذا شهدوا لم يعرفوا[1] فإذا عرفت بين الناس بالعبادة ، لم يكن لك حظٌ من هذا الوصف .

وهذه أيضاً من مكائده ، وما عليك إذا أخلصت العمل لله أن تعرف به أو تجهل ، وإنّما عليك مراعاة قلبك ، وإصلاح سرّك ، وكيف تخفى على الناس إذا كنت صالحاً ، وهو تعالى يقول : « عليك إخفاؤه وعليّ إظهاره »[2] ويقول : « من أصلح سريرته أصلح الله علانيته »[3] .

وإيّاك أن يغرّك اللعين عند ذلك ، ويقول إذا كنت لا تترك العمل لذلك فاخف العمل فإنّ الله تعالى سيظهره عليك ، وأمّا إذا أظهرته فيمكن أن تقع في الرياء .

وهذا التلبيس عين الرياء لأنّ إخفاءك له كي يظهر عليك بين الناس ، هو بعينه العمل لأجل الناس. وما عليك إذا كان مرضياً لله تعالى أن يظهر أو يخفى ، لولا نظرك إلى رضاء الناس ، إذا تقرّر ذلك فإيّاك أن تحملك دقايق الإخلاص ، وصعوبة الخلاص ، على الكسل والقعود عن الطاعات ، نظراً إلى ما يحدث في نفسك من السرور بالطاعة ، وزيادة

---

(١) الحديث · أحب العباد إلى الله الأتقياء الأخفياء . عدة الداعي ٢٢٠ و٢٢٢ ـ ٢٢٣ الحقائق ١٢٤ باختلاف يسير في اللفظ

(٢) في بعض وحيه جل جلاله عملك الصالح عليك ستره ، وعليّ إظهاره عدة الداعي ٢٢٤

(٣) من روائع كلم أمير المؤمنين عليه السلام · من أصلح سريرته أصلح الله علانيته ، ومن عمل لدينه كفاه الله أمر دنياه ، ومن أحسن في ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس النهج · ٤/ ٩٩

وبمعناه ، قوله عليه السلام

من أصلح ما بينه وبين الله ، أصلح الله ما بينه وبين الناس ومن أصلح أمر آخرته أصلح الله له أمر دنياه : المصدر السابق كشكول البهائي · ٢/ ٣٤١

الإبتهاج باطّلاع الناس عليك بفعل العبادة ، بل اجتهد في قلع مادة الفساد ، ومجاري الشيطان عنك ، واعمل .

وأمّا سرورك بالطاعة فإنّ منه محموداً ، ومنه مذموماً ، فالمحمود أن يكون من قصدك وداعيتك إخفاء الطاعة والإخلاص لله سبحانه ولست مستكثراً لعملك . وأمّا سرورك في أن وفّقك الله للعمل وأخرجك من ربقة البطّالين والغافلين ولم تبلغ بالسرور حدّ العجب الآتي ذكره ، وإذا حصل اطّلاع الناس عليه فلم يحصل من قبلك ، وإنّما سررت باطلاعهم نظراً إلى أن الله هو الذّي أطلعهم عليه ، وأظهر لهم الجميل ، تكرماً عليك وتفضّلاً ، ونحو ذلك .

والمذموم أن تفرح به استكثاراً وركوناً إليه ، وبظهور الناس عليه ، لقيام منزلتك عندهم ، ليمدحوك ويقوموا بقضاء حوائجك ويقابلوك بالإكرام ، ونحو ذلك فإنّه رياء محض ، ومحبط للعمل ، وأصله حبّ الدنيا ونسيان الآخرة ، وقلّة التفكّر في ما عند الله[1] .

نسأل الله من فضله أن لا يعاملنا بعدله بل يسامحنا بعفوه ويستر زلّاتنا بصفحه أنّه جواد كريم .

في العجب وأقسامه :

وأمّا العجب فهو استعظام العمل ، والإبتهاج به ، والإدلال به ، وأن يرى العامل نفسه خارجة بسببه عن حدّ التقصير ، وهذا من أعظم المهلكات ، بل الناقل للعمل من كفة الحسنات ، إلى كفة السيئات ، ومن رفيع الدّرجات ، إلى أسفل الدركات ، كما تقدّم في الأخبار . ولذلك

---

(١) عدة الداعي ٢٢٥ .

قال عيسى (ع) : يا معشر الحواريين كم من سراج قد أطفأه الرّيح وكم من عابد أفسده العجب[١] .

وروى سعد بن أبي خلف[٢] عن الصّادق (ع) قال : « عليك بالجدّ ولا تخرجن نفسك عن حدّ التقصير في عبادة الله وطاعته ، فإنّ الله لا يعبد حقّ عبادته »[٣] .

ومنشأ العجب الغفلة عن عيوب الأعمال وآفات العبادات، وعن نعم الله على العاملين من الخلق[٤] والأقدار والألطاف والتسخير وغير ذلك .

أنظر إلى الأقرب إليك في هذا المقام وهو الصلاة التي هي عمود الدين وأوّل ما ينظر فيه من أعمال ابن آدم فإن ردّت ردّ ساير عمله[٥] وتأمّل حدودها[٦] التي قد حكيناها مستندة إلى النصوص الصّحيحة، فلا

---

(١) قال عيسى عليه السلام : يا معشر الحواريين ، كم من سراج . . . عدة الداعي ٢٣٧ ـ ٢٣٨ .

(٢) سعد بن أبي خلف الزهري ، ويعرف بالزام ، مولى بني زهرة بن كلاب ، كوفي ، ثقة روى عن أبي عبد الله ، وأبي الحسن عليهما السلام . جامع الرواة . ١/٣٥٢ .

(٣) عن الصادق عليه السلام : عليك بالجد . . عدة الداعي . ٢٣٨ .

ويروى هذا الحديث أيضاً عن أبي الحسن الرضا عليه السلام ، الذي قال لبعض ولده . يا بني ، عليك بالجد ، لا تخرجن نفسك من حد التقصير . الكافي . ٧٢/٢

(٤) بيان لتفصيل النعم من خالقهم، وجعل وجودهم وأقدارهم ، ومن الألطاف في حقهم ، كأقسام التوفيقات في اكتساب الطاعات ، وتسخير الآلات كالجوارح والأعضاء ، والأسباب الخارجية ، كبعض دواب الأرض .

قال تعالى . ﴿ وسخر لكم الأنعام لتركبوها ﴾ . حاشية الأصل : ٤٥

(٥) إشارة إلى جملة من الأحاديث التي تقدمت

(٦) عن أبي عبد الله عليه السلام : للصلاة أربعة آلاف حد . التهذيب : ٢٤٠/٢ ، الفقيه ١٢٥/١

وعن الصادق عليه السلام : للصلاة أربعة آلاف باب . المصدر السابق

وقال ابن طاووس ـ كما ورد في : فلاح السائل ـ :

جاء في الحديث : أن رزاماً مولى خالد بن عبد الله ـ الذي كان من الأشقياء ـ ، سأل الإمام=

يكاد يسلم لك صلاة واحدة كـاملة تثق من نفسك بقبـول الله إيّاهـا وهلّم جرّاً إلى غيرها من العبادات، فلكلّ واحد وظائف وحدود لا تبلغها أعمالنـا ولا نقوم بها لغفلتنا ، وقد قـال عليّ (ع) : اعملوا عباد الله، إنّ المؤمن لا يصبح ولا يمسـي إلاّ ونفسه ظنون[1] عنده، فلا يزال زارياً عليها ومستزيداً لها، فكونوا كالسابقين قبلكم والماضين أمامكم، ففوضوا من الدنيا تفويض الراحل واطووها طيّ المنازل » .

فكيف يعجب الإنسان بعمله ويعِدّه قائماً بحقوق العبوديّـة ووظائف الخدمة لولا استيلاء الغفلة؟ نعم لا يقـدح نظر المؤمن إلى نفسـه وسروره بما يفعله من العبادة مع حمد الله تعالى على توفيقه لها وطلب الإستـزادة من فضله فقد قال أمير المؤمنين (ع) : « من سرّتـه حسنته وسـاءته سيئتـه فهو مؤمن »[2] .

وقال عليه السلام : « ليس منّا من لم يحاسب نفسه في كـلّ يوم ، فـإنّ عمـل خيـراً حمـد الله واستـزاده ، وإن عمـل شـراً استغفـر الله تعالى »[3] .

= جعفر بن محمد عليهما السلام ، بحضرة أبي جعفر المنصور ، عن الصلاة وحدودها ، فقـال عليه السلام . للصلاة أربعة آلاف حد . لست تفي بواحد منها

فقال : أخبرني بما لا يحل تركه ، ولا تقبل الصلاة إلاّ به ؟

فقال عليه السلام : لا تحل الصلاة إلاّ لذي طهر سابغ ، وتمام بالغ ، غير نازغ ولا زائغ . .

عن : (أسرار الصلاة . ٢٧) .

(١) قـال أمير المؤمنين عليـه السلام : اعملوا عبـاد الله إن المؤمن لا يصبـح ويمسـي إلاّ ونفسـه ظنون عنده (أي : متهمة لديه بالحياء والتقصير) . . . عدة الداعي ٢٣٩

(٢) قال أمير المؤمنين عليه السلام : من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن : المصدر السابق .

وهذا الحديث مأخوذ بشكل شبه حرفي عن قوله صلّى الله عليه وآله وسلم :

من سرته حسـناته ، وسـاءته سيئـاته ، فـذلك المؤمن حقـاً . الإحياء : ٣/ ٧٠ أخـرجه أحمـدْ والطبراني ، ومثله في : تحف العقول : ١٢٦ .

(٣) وقال [علي] عليه السـلام : ليس منّا من لم يحـاسب نفسه في كـل يوم . . عـدة الداعي . =

فهذا ما اقتضى الحال ذكره من المنافيات ملخصّاً ليوافق الغرض فإنّ ذكره هنا بالعرض والله الموفّق .

الخاتمة

وأمّا الخاتمة : ففيها بحثان :

[البحث] الأول :

في جبر الخلل الواقع في الصلاة ، بمعنى بيان الدواء الدافع لهذه المنافيات .

إعلم أن الخلل إن كان من قبيل منافي الإقبال بالقلب على الصّلاة بسبب الأفكار الخارجة عنها فدواؤه تذكّر ما هو فيه ، ومن يناجيه ، واستشعار الأخطار اللاّزمة من الغفلة ، وعدم قبول العمل مع شدّة الحاجة إليه من يومه هذا إلى الأبد . فإنّ التوفيق الواقع من الجناب الإلّهي للمطيع ، فائض في الدارين ، والحاجة إليه حاصلة في الحالين ، سيّما يوم الجزاء الذي يضيق عن وصفه الحال ، ولا يحيط بتقريره العقل ولا الخيال ، ولا يطيق حمل أهواله الجبال ، وليس فيه معين مع رحمة الله تعالى وكرمه إلاّ القيام بالأعمال الصالحة ، والطاعات المقبولة الرابحة ، فإنّها وسيلة الأنوار في تلك الظلمة ، والنجاة من تلك الشدّة ، والجواز على عقبة السّاهرة[1] .

ولا تكتسب الأعمال الصّالحة والطّاعات المقبولة إلاّ في هذه الدّار الزائلة وفي هذه المدّة القصيرة التي أكثرها قد مضى على الغفلة ويكاد

= ٢٣٩ ، إرشاد القلوب : ١٨٢ .
وقد ورد بلفظه منسوباً إلى موسى بن جعفر عليه السلام المصدر السابق الإختصاص ٢٤٣ .

(١) الساهرة : أرض القيامة . وعن الأزهري . المكان المستوي . حاشية الأصل : ٤٦ .
واللفظ من الآية الكريمة : ﴿ .. فإذا هم بالساهرة ﴾ .

يلحق باقيها بماضيها ، وإن لم يستيقظ الغافل ، ويستدرك ما فرّط ، وليس في تلك الدار إلاّ الجنّة والنار ، والجنّة أعدّت للمتقين كما أنّ النار أعدّت للفاسقين .

وبالجملة فالخطر عظيم ، والأمر جسيم والغفلة شاملة ، ونحن مع ذلك لا نشعر وقد قال النبي (ص) : « تمضي على الرّجل ستون سنة أو سبعون سنة ما قبل الله منه صلاة واحدة »[1] .

وقال الصّادق (ع) لحمّاد بن عيسى[2] ـ الذي كان يحفظ في فقه الصلاة كتاب حريز[3] ودعا له الصادق (ع) بأن يحجّ خمسين حجةً وأن يكثر الله تعالى ماله وولده فأجيب له في جميع ذلك ـ، حين صلّى عنده ركعتين : « ما أقبح الرجل منكم تمضي عليه ستون سنة أو سبعون سنة لا يحسن أن يتمّ صلاة واحدة بحدودها »[4] .

---

(١) الحديث : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم تمضي على الرجل ستون سنة . . تقدم .

(٢) حماد بن عيسى : (أبو محمد) الجهني ـ نسبة إلى قبيلة جهينة ـ ، كوفي الأصل ، بصري المسكن ، من أصحاب الصادق ، ومعاصري الإمام الجواد عليهما السلام ، أفاد منهما علماً جمّاً وخيراً كثيراً وقد دعا له الكاظم عليه السلام بأن يرزقه الله داراً وروجة وولداً والحج كل سنة ، فاستجاب الله له الدعاء . له كتب في الصلاة والزكاة والنوادر . وقد روى عنه جمع كثير . فهو من الثقاة .
مات في الجحفة في وادي قناة غرقاً ، وهو في طريقه إلى المدينة للحج سنة ٢٠٨/٢٠٩ هـ عن عمر نيف على سبعين عاماً ، وقيل : على تسعين الإختصاص : ٢٠٦ ـ ٢٠٧ ، أربعون البهائي : ٧٣ .

(٣) حريز بن عبد الله السجستاني : أبو محمد الأسدي ، كوفي الأصل ، سافر إلى سجستان ، فعرف بها .
كان تاجر سمن وزيت ، شهر السيف في وجه الشراة (الخوارج) وعلى أيديهم قتل .
من ثقاة أصحاب الصادق عليه السلام
له كتب في الصلاة والصوم والزكاة والنوادر وقد روى عنه خلق كثير : المصدران السابقان .

(٤) الحديث . قال الصادق . . ما أقبح بالرجل منكم تمضي عليه ستون سنة أو سبعون سنة . الفقيه ١/١٩٦ ، التهذيب : ٢/٨١ ، أمالي الصدوق : ٣٧١ ، أربعون البهائي : الحديث السابع الوسائل (كتاب الصلاة) : ٦٥٧ .

وقال (ص) : « كم من قارىء للقرآن والقرآن يلعنه ؟ وكم من صائم ليس له من صيامه إلّا الجوع والعطش »[1] .

إلى غير ذلك من الآثار الدالة على صعوبة الأمر ودقّة الخطر .

فإحضار هذا وشبهه وما تقدّم في المقدمة من الأثر ممّا يعين على حضور القلب مضافاً إلى ما سلف من الدواء المعين على ذلك في المطلب الثالث .

وإن كان المنافي من قبيل المفسدات فالعلاج النافع في ما ينافي الإخلاص هو [(*)التفكّر في مضرّة الرياء وما يفوت بسببه من صلاح القلب وما يُحرم عنه في الحال من التوفيق، وفي الآخرة من المنزلة عند الله تعالى، وما يعرض له من العقاب العظيم ، والمقت الشّديد ، والخزي الظاهر ، حيث ينادى على رؤوس الأشهاد والعباد: يا فاجر يا غادر يا مراء أما استحييت إذ اشتريت بطاعة الله تعالى عرض الدنيا ؟ راقبت قلوب العباد واستهزأت بطاعة الله تعالى ، وتحبّبت إلى العباد بالتبغّض إلى الله تعالى ، وتزيّنت لهم بالشين[2] عند الله تعالى ، وتقرّبت إليهم بالبعد من.

---

(١) الحديث . كم من قاريء للقرآن . الإحياء : ٢٣٥/١ (بعصه) ، أخرجه النسائي وابن ماجه ، وأصله قول عيسى عليه السلام : وكم تالٍ للكتاب منسلخ عنه . الحكمة الخالدة : ١٧٠ .

(*) ما بين الحاصرتين : [التفكر في مضرة الرياء .. موتاً ولا حياة ولا نشوراً] مقتبس عن الإحياء : ٣/٣١١ـ٣١٢ . ورد بعصه في عدة الداعي : ٢٣١ .

(٢) الشين القبيح المعاب . ضد الزين . قال شاعر بني تميم ، الأقرع بن حابس :
إن مدحي زين ، وإن ذمي شين .
فأجابه صلى الله عليه وآله وسلم كذبت !. ذاك الله الذي لا إله إلّا هو الإحياء ٣١٢/٣ ، أخرجه أحمد .
ومن وصايا المعصوم لشيعته . كونوا زيناً لنا ، ولا تكونوا شيناً علينا .

الله ، وتحمَّدت إليهم بالتذمّم عند الله ، وطلبت رضاهم بالتعرّض لسخط الله ، أما كان أحد أهون عليك من الله تعالى[1] ؟ . . .

فمهما تفكّر العبد في هذا الخزي وقابل ما يحصل له من العباد بالتزيّن لهم في الدنيا بما يفوته من الآخرة، وبمايحبط عليه من ثواب الأعمال ، مع أن العمل الواحد ربّما كان يترجّح به ميزان حسناته لو خلص ، فإذا فسد بالرياء حوّل إلى كفّة السيئات فتترجّح به ، بعد أن كان مرجوحاً ويهوي العبد إلى النار .

فلو لم يكن في الرّياء إلاّ إحباط عبادة واحدة،لكان ذلك كافياً في معرفة ضرره،وإن كان مع ذلك ساير حسناته راجحة ، فقد كان ينال بهذه الحسنة علوّ الرتبة عند الله تعالى في زمرة النبيّين والصدّيقين وقد حطّ عنهم بسبب الرّياء ، وردّ إلى صفّ النعال من مراتب الأولياء ، إن لم يستوجب النّار والخزي والطّرد من الملك الجبّار، هذا مع ما يعرض له في الدّنيا من تشتّت الهمّ بسبب ملاحظة قلوب الخلق فإنّ رضاء الناس غاية لاتدرك، فكلّ ما يرضى به فريق يسخط به فريق ، ورضاء بعضهم في سخط بعض،ومن طلب رضاهم في سخط الله سخط الله عليه،وأسخطهم أيضاًعليه،كما ورد في الأخبار[2] ودلّت عليه التجربة .

ثمّ أيّ غرض له في مدحهم وإيثار ذمّ الله تعالى لأجل حمدهم ولا

---

(١) الحديث . يا فاجر ، يا غادر . . تقدم .

(٢) قال الصادق عليه السلام : حدثني أبي عن أبيه ، قال : إن رجلاً من أهل الكوفة كتب إلى أبي ، الحسين بن علي عليه السلام : « يا سيدي ، أخبرني بخير الدنيا والآخرة ! . . » .
فكتب صلوات الله عليه : بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد !. فإن من طلب رضا الله بسخط الناس كفاه الله أمور الدنيا . ومن طلب رضا الناس بسخط الله . وكله الله إلى الناس ، والسلام . الإختصاص : ٥٢٥ .
وهذا القول مستلٌّ من قوله صلى الله عليه وآله وسلم ، في حديثه عن النجاة : . . . أن لا يعمل العبد بطاعة الله يريد بها الناس عدة الداعي : ٢٢٨

يزيد مدحهم رزقاً ولاأجلاً،ولا ينفعه يوم فقره وفاقته ، وهو يوم القيامة .

وأمّا الطمع لما في أيديهم فبأن يعلم أنّ الله تعالى هو المسخّر للقلوب بالمنع والإعطاء، وأنّ الخلق مضطرون فيه ولا رازق إلّا الله تعالى ومن طمع في الخلق لم يخْلُ من الذلّ والخيبة والمقت والإهانة ، وإن وصل إلى المراد لم يخل عن المنّة والمهانة ، ومن اعتمد على الله تعالى وجعل همّه معه ،كفاه الله تعالى همه في الدّنيا والآخرة[1] .

فكيف يترك ما عند الله لرجاء كاذب ووهم فاسد ؟ وقد يصيب وقد يخطىء، وإذا أصاب فلا تفي لذّته بألم منّته ومذّلته .

وأمّا ذمّهم فلم يحذر منه، ولا يزيد ذمهم شيئاً ما لم يوافقهم الله تعالى عليه،ولا يعجّل أجله ولا يؤخّر رزقه ولا يجعله من أهل النار إن كان من أهل الجنّة ، ولا يبغضه إلى الله تعالى إن كان محموداً عند الله تعالى ، ولا يزيده مقتاً إن كان ممقوتاً عند الله ، فالعباد كلّهم عجزة ﴿ **لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرّاً ولا يمكلون موتاً ولا حياةً ولا نشوراً** ﴾[2] بل العقل والنقل والتجربة قد أذنت بخلاف ذلك كلّه وأن المخلصّ أعماله لله يحبّبه الله إلى المخلوقين الصالحين والفاسقين بل إلى كثير من الكافرين . فتراهم يعظّمونه ، ويوّقرونه ، ويلتمسون بركته ، مع ضعفه وفقره ، وقلّة ذات يده ، وقلّة عمله .

والمرائي يظهر الله تعالى الخلق على باطنه ، وخبث نفسه ، وفساد نيّته ، فيمقتونه ، ولا يفوز بمطلبه ويضيع تعبه ، ويبطل سعيه .

كما روي أنّ رجلاً من بني إسرائيل قال : « والله لأعبدنّ الله عبادة

---

(١) التعبيران : . . ودلت عليه التجربة . . و : من اعتمد على الله تعالى . . الدنيا والآخرة ، من التسهيل رضوان الله عليه .

(٢) سورة الفرقان · الآية ٣ .

أذكر بها » فكـان أول داخل للمسجـد وآخر حـارج منه لا يـراه أحد حين الصلاة إلّا قائمـاً يصلّي ، وصائمـاً لا يفطر ، ويجلس إلى حلق الـذكر ، فمكث بذلك مدّة طويلة .

وكان لا يمرّ بقوم إلّا قالوا فعل الله بهذا المرائي وصنع[1] .

فأقبل على نفسه وقال: «أراني في غير شيء لأجعلنّ عملي كلّه لله» فلم يزد على عمله الذي كان يعمل قبـل ذلك ، إلّا أنّـه تغيّرت نيّتـه إلى الخير .

فكان ذلك الرّجل يمرّ بعد ذلك بالنـاس فيقولـون رحم الله فلانـاً ، الآن أقبل على الخير .

وقد نبّه الله تعـالى على ذلك في كتـابه فقـال : ﴿ **إنّ الذين آمنـوا وعملوا الصّالحات سيجعل لهم الرّحمن ودّاً** ﴾[2] .

ثمّ هب أنّهم أحبّـوك وأكرمـوك وخفي خبثـك عليهم ، مـع أنّ الله تعالى مطّلع على فساد نيّتك ، وخبث سريرتـك . [(*)فأي خيـر لك في مدح الناس وأنت عند الله مذموم ومن أهل النار ؟ .

وأيّ شرّ لك في ذمّ الناس وأنت عند الله ممـدوح ومن أهل الجنّـة وفي زمرة المقرّبين ؟ .

ومن أحضر في قلبه الآخرة ونعيمها المؤبّد ، والمنازل الرفيعة عنـد الله تعـالى ، استحقـر مـا يتعلق بـالخلق أيّـام الحيـاة ، مـع مـا فيــه من

---

(١) وردت . وجعل لا يمر بملأ من الناس ، إلا قالوا : متصنع مرائي . عدة الداعي : ٢٣٠

(٢) سورة مريم : الآية ٩٦ .

(*) ما بين الحاصرتين [فأي خير لك ... من وحشته .] مقتبس عن الإحياء : ٣/٣١٢ وقد ورد بعضه في عدة الداعي : ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢

الكـدورات والمنغّصات، واجتمع همّه ، وانصـرف إلى الله تعالى قلبـه ، وتخلص من مذمّة الرياء ، ومقاساة قلوب الخلق ، وانعطف من إخلاصـه أنوار على قلبه ينشرح بها صدره ، ويستأنس بها من وحشته] .

وإن لم يكتف بذلك كلّه فليتأمّل ثلاثة أشياء :

أحدها : أنّه لو قيل لك أنّ هنا رجلاً معه جوهر نفيس يساوي مـائة ألف دينار ، وهو محتاج إلى ثمنه بـل إلى بيعـه عـاجـلاً ، وإلى أضعـاف ثمنـه ، فحضر من يشتـري منه متـاعـه بـأضعـاف ثمنـه ـ مع حاجتـه إلى الأضعاف أيضاً ـ فأبى أن يبيعه بذلك، وبـاعه بفلس واحـد ، أليس ذلك يكون خسراناً عظيماً وغبناً فظيعاً ، ودليلاً بيّناً على خسّة الهمّة ، وقصـور الفهم والعلم ، وضعف الرأي ورقّة العقل ، بل السفه المحض ؟

وهذا بعينه أبلغ من حال المرائي في عمله، بل في عبادة واحدة، فإنّ ما يناله العبد بعمله من الخلق من مدحه وحطام الدنيا بالإضافة إلى رضـا رب العالمين وشكره ، وثواب الآخرة ونعيم الجنّة الدائم ، المخلّص من شوب الكدورات ، أقـلّ من فلس في جنب ألف ألف دينار بـل في جنب الدّنيا وما فيها ، وأكثر .

وهـذا هو الخسـران المبين أن تفوّت على نفسـك تلك الكـرامـات العزيزة الشريفة ، بهذه الأمور الدّنية الحقيرة .

ثمّ إن كان لا بدّ لك من هذه الهمّـة الخسيسة فـاقصد أنت الآخـرة يُتبعـك الدّنيـا ، بل أطلب الـرب وحده يعـطك الدّارين ، إذ هو مالكهمـا جميعاً وذلك قوله تعالى : ﴿ **فمن كان يريد ثواب الدّنيا فعند الله ثـواب الدّنيا والآخرة** ﴾[1] .

---

(١) سورة النساء : الآية ١٣٤ .

وقال النّبي (ص) : « إنّ الله يعطي الدنيا بعمل الآخرة ولا يعطي الآخرة بعمل الدنيا »[1] .

فإذا أنت أخلصت النيّة، وجرّدت الهمّة للآخرة، حصلت لك الدنيا والآخرة جميعاً ، وإن أردت الدّنيا ذهب عنك الآخرة في الوقت ، وربما لا تنال كما تريد ، وإن نلتها فلا تبقى لك بل تزول عنك قريباً ، فقد خسرت الدّنيا والآخرة ، وذلك هو الخسران المبين .

وينظر هذا الشخص بالنسبة إلى هذا المثل من يصرف جزءاً من عمره ونفساً من أنفاسه الذي يمكنه به تحصيل كنز من كنوز الجنان، في ما يحصل به دانق أو حبّة أو درهم أو دينار من متاع الدّنيا، وترك ذلك الكنز الدائم لغير ضرورة ، ما هذا إلاّ عين الغفلة والخسران ، وخسّة الهمّة والخذلان .

وثانيها : أنّ المخلوق الذي تعمل لأجله وتطلب رضاه لو علم أنّك تعمل لأجله لأبغضك . وسخط عليك ، واستهان بك ، واستخف بك ، مضافاً إلى مقت الله تعالى ، وإهاناته وخذلانه ، وما تعمله لله تعالى خالصاً يوجب رضا الفريقين، فكيف يعمل العاقل لأجل من لو علم بأنّه يطلب رضاه سخط عليه ، وأهانه ؟ .

فانظر إن كنت أنت تعقله .

وثالثها : إنّ من حصل له سعي يكتسب به رضا أعظم ملك في الدّنيا فطلب به رضا كناس خسيس بين الناس وسخط لذلك الملك، بل

---

(١) الحديث « إن الله يعطي الدنيا بعمل الآخرة . . » ورد : إن الله يعطي الدنيا على نية الآخرة . إرشاد القلوب ١٨٨ . والحديث مأخوذ من قول عيسى عليه السلام ·
تعملون للدنيا وأنتم ترزقون فيها بغير عمل ، ولا تعملون للآخرة وأنتم لا ترزقون فيها إلاّ بالعمل الكافي . ٢/٣١٩ . كنز الفوائد ١/٣٠٥ .

مع عدم سخطه، أليس ذلك دليلاً على السّفه ورداءة الرأي وسوء النّظر، ويقال له : ما حاجتك إلى رضا هذا الكناس مع تمكنك من رضا هذا الملك ؟ .

كذلك أيّ حاجة إلى رضا عبد مخلوق ضعيف حقير مهين، مع التمكّن من تحصيل رضا ربّ العالمين الكافي عن الكلّ ؟ .

نسأل الله حسن التوفيق. وهذا هو الدواء العملي .

في الدواء العملي للخلل :

[(*)وأما الدّواء العملي فهو أن يعوّد نفسه على إخفاء العبادات، وإغلاق الأبواب دونها كما تغلق الأبواب دون الفواحش ، حتّى يقنع قلبه بعلم الله تعالى واطلاعه على عبادته ، ولا تنازعه نفسه إلى طلب علم غير الله ، وهو أمر يشقّ[1] في ابتداء المجاهدة ، لكن إذا صبر عليه مدّة بالتكلّف سقط عنه ثقله وهان عليه ذلك بتواصل الطاف الله تعالى ، وما يمدّ به عباده من حسن التوفيق فـ ﴿ إنّ الله لا يغير ما بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم ﴾[2] ، فمن العبد المجاهدة ومن الله تعالى الهداية[3] .

(*) ما بين الحاصرتين [وأما الدواء العملي .. لنهدينهم سبلنا] ، مقتبس عن الإحياء ٣/٣١٢ وقد ورد بعضه في عدة الداعي ٢٣٤

(١) بصعب .

(٢) الآية : ﴿ إن الله لا يغير ﴾ سورة الرعد : الآية ١١

(٣) وينابيع الغزالي .. ومن العبد قرع الباب ، ومن الله فتح الباب . الإحياء : ٣/٣١٢
وهذا القول مأخوذ من حديث لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :
أنك ما دمت في الصلاة فإنك تقرع باب الملك الجبار ، ومن يكثر من قرع باب الملك يفتح له . مكارم الأخلاق . ٤٦١ ، عدة الداعي : ١٥٥
وللغزالي في المعنى نفسه : من العبد الإستعانة ، ومن الله الإعانة على التوبة ، ومن العبد الجهد ، ومن الله التوفيق ، ومن العبد الأدب ، ومن الله الكرامة . روضة الطالبين (مجموعة الرسائل الفرائد) ١٠٤

قال الله تعالى : ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا** ﴾[1]] وإن كان المنافي من قبيل المتأخّر عن العبادة، وهو الرياء المتأخر والعجب، فقد عرفت دواء الأول .

في دواء العجب

أمّا العُجب فلينظر في الأسباب والآلات التي قوي بها على العبادة التي أورثته العجب ، من القدرة ، والعلم ، والأعضاء ، والرزق الّذي أكله حتى قوي به ، فإنّه يجده كلّه من الله تعالى ، ولولاه لم يقدر على شيء منها .

ثم ينظر إلى نعمته عليه في إرسال الرّسل إليه ، وخلق العقل حتّى اهتدى به إلى طريق الحقّ .

ثمّ ينظر في قيمة العمل الّذي عمله فلا يجده مقابلاً لنعمةٍ من هذه النعم ، وإنّما صار لعمله قيمة لما وقع من الله تعالى موقع الرضاء والقبول[2] أفلا ترى الأجير يعمل طول النهار بدرهمين ، والحارس يسهر طول الليل بدانقين وكذلك أصحاب الصّناعات والحرف ، كلّ واحد منهم يعمل في الليل والنهار ، فيكون قيمة كلّ ذلك دراهم معدودة ، فإن صرفت الفعل إلى الله تعالى ، فصمت لله تعالى يوماً ، قال : ﴿ **إنّما يوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب** ﴾[3] وفي الخبر : « أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر »[4]

---

(١) سورة العنكبوت : الآية ٦٩

(٢) معنى المقطع الأول من دواء العجب ، مستل من المقطع الثاني من بيان علاج العجب في الإحياء : ٣/٣٧١ .

(٣) سورة الزمر · الآية ١٠ .

(٤) تقدم في أول الكتاب .

فهذا يومك الذي قيمته درهمان مع احتمال التعب العظيم ، صارت له هذه القيمة بتأخير غداء إلى عشاء ، ولو قمت ليلة لله تعالى فقد قال تعالى : ﴿ **فلا تعلم نفس ما أخفيَ لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون** ﴾[1] .

فهذا الذي قيمته درهم صارت له كل هذه القيمة والقدر ، بل لو جعلت لله ساعة تصلّي فيها ركعتين خفيفتين بل نفساً فقلت فيه : « لا إله إلّا الله » قال الله تعالى : ﴿ **ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب** ﴾[2] .

فحقّ إذن للعاقل أن يرى حقارة عمله وقلّة مقداره من حيث هو، وأن لا يرى إلّا منة الله تعالى عليه في ما شرف به من قدر عمله ، وأعظم من جزائه ، وأن يجوز في فعله أن يقع على وجه لا يصلح لله تعالى ولا يقع منه موقع الرضا ، فيذهب عنه موقع القيمة التي حصلت له ، ويعود إلى ما كان في الأصل من الثمن الحقير .

فقس قدر عملك في نفسه إلى ما عليك من نعمه، فهل تجده وافياً بعشر عشرة؟ وهل توفيقك للقيام بوظايف العبوديّة ، وتأهيلك للخدمة الإلّهيّة إلّا نعمة ، بل أعظم نعمة يلزمك شكرها ، كما أشير إليه في خبر داوود (ع) حين أوحى الله إليه : « أن اشكرني حق شكري » فقال : « يا رب كيف أشكرك حقّ شكرك والشكر من نعمتك تستحق عليه شكراً ؟ » .

فقال : « يا داوود إذا عرفت أنّ ذلك مني فقد شكرتني »[3] .

---

(١) سورة السجدة : الآية ١٧ .

(٢) سورة غافر : الآية ٤٠

(٣) خبر داوود حين أوحى الله تعالى إليه أن اشكرني حق شكري .. الجواهر السنية . =

وروي أنّ بعض الوعّاظ[1] قال لبعض الخلفاء[2] أتراك لو منعت شربةً من الماء عند عطشك بِمَ كنت تشتريها ؟

قال : بنصف ملكي .

قال : أتراها لو حبست عنك عند خروجها بم كنت تشتريها ؟

قال : بالنصف الآخر .

قال : فلا يغرّنك ملك قيمته شربة ماء[3] .

ففكر أنت كم تتناول في كل يوم شربة ماء هنيئة وأكلة هنيئة تسيغها هيّناً في عافية ، وكم تنظر بعينك هنيّاً ، وتسمع طيّباً ، وتشمّ زكياً ، وتمشي إلى ما تحب ، وتبطش بيدك ، فيما تحبّ . . . إلى غير ذلك من حواسّك ، وأعضائك ، وقواك الباطنة ، التي لا يطّلع على دقايقها وتصريفها إلاّ الله تعالى ، من مجاري طعامك ، وتصاريف هضمك ، وتفريق فضلاتك ، وتغذيك ، تجده مما لو صرفت زمانك في الفكر فيه خاصّة ، لقضيت منه العجب ، ولو فقدت شيئاً يسيراً منه وطلب منك طبيب على أن يرده أليك ، ويصلحه لك [مقابل][4] خدمتك له سنة أو أكثر لسررت بذلك وعددته منعماً عليك ، وكم تقابل هذه النعم المتعدّدة بسنين من الخدمة .

والحال إنّك لا تخدم مولاك المنعم إلاّ أوقاتاً قليلة ، ولو تأمّلتها ،

= ٨٨ ـ ٨٩ ، عدة الداعي . ٢٣٩ ـ ٢٤٠ . وقريب منه ، وبمعناه خبر موسى عليه السلام الجواهر السنية : ٤١ .

(١) هو البهلول .

(٢) هو هرون الرشيد

(٣) ورد الحر في : عدة الداعي : ٢٤٠

(٤) أضفناها لاستقامة المعنى .

وعرفت عيوبها وآفاتها لم تثق بشيء منها ، ولاستحييت من فعلها ، وقد قال الله تعالى وهو أصدق القائلين : ﴿ **وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها** ﴾[1] .

فالنّعم عليك لا تحصى وعملك ـ على تقدير سلامته وقبوله ـ قليل يحصى .

ثم إذا قابلته بقيت خالياً من عمل يوجب لك المكافاة فقصاراك الإعتراف بالتقصير وتركك المراقبة لله تعالى وتذكر المنّة والإعتراف بالنعمة والإزراء بنفسك والمقت لها لعلّك تفوز برحمة الله تعالى. فقد قال رسول الله (ص) : « من مقت نفسه دون مقت الناس أمّنه الله من فزع يوم القيامة »[2] .

وروي أنّ عابداً عبد الله تعالى سبعين عاماً صائماً نهاره ، قائماً ليله، فطلب إلى الله تعالى حاجة فلم تقض ، فأقبل على نفسه وقال : « من قبلك أتيتُ ، لو كان عندك خير قضيت حاجتك » فانزل الله إليه ملكاً فقال : « يا ابن آدم ساعتك التي أزريت فيها على نفسك خير من عبادتك التي مضت »[3] .

ثم تأمّل بعد ذلك ثلاثة أمور :

أحدها : أنّ ملكاً من ملوك الدنيا إذا أجرى على أحد من اتباعه طعاماً وكسوةً أو دراهم أودنانير،فإنّه يستخدمه لأجلها بضروب الخِدم آناء

---

(١) الآية . ﴿ وآتاكم من كل ما سألتموه ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، إن الإنسان لظلوم كفّار ﴾ سورة إبراهيم . الآية ٣٤

(٢) الحديث . من مقت نفسه .. عدة الداعي : ٢٤١ ـ ٢٤٢ .

(٣) الخبر : إن عابداً عبد الله سبعين عاماً .. الكافي : ٧٢/٢ ، عدة الداعي : ١٧٧ و٢٤٢ ، البيان والتبيين : ٢٤٤/٣ ، تنبيه الغافلين : ١٧٥ (مع بعض اختلاف في اللفظ) .

الليل والنهار مـع ما في ذلـك من الذل والصغـار ، وبعضهم يقوم لـذلك على رأسه ويسهر الليل بأجمعـه لأجله ، وبعضهم يقف في خدمتـه يومـاً بعـد يوم ، حتّى ينقضي عمـره ، وبعضهم يسعى في حوائجـه ومهماته ، وبعضهم يـركب الأهوال ولجـج البحار لأجله، وربّما يبدو لـه عدوّ فيبـذل لأجله روحـه التي لا خلف عنهـا ، ولا ينفعـه في الآخـرة بعـد ذلـك ، فتراهم يحتملون كلّ هذه الخدمة لأجل تلك المنفعـة الخسيسة الفـانية ، ومع ذلك يعترفون للملك بالنعمة ، ويقـرّون له بـالفضل عليهم والمنّـة ، مـع أنّ تلك المنفعة في الحقيقـة من الله تعالى. ولو أراد ملكهم أن ينبت لهم حبّة واحدة أو يخلق لهم خبـطاً[1] واحداً لم يقـدر على ذلك ، وهم يعترفون بذلك كلّه .

فكيف تستكثـر عملك الحقيـر ، المشـوب بـالآفـات والنقـائص ، لـربّك الـذي خلقك ولم تـك شيئاً مـذكوراً ، ثم ربّـاك وأنعم عليك من النعم الـظاهرة والبـاطنـة ، في نفسـك ، ودينـك ، ودنيـاك ، مـا لا يبلغ كنهه[2] فهمك ولا وهمك ، كما قال الله تعالى : ﴿ **وإن تعـدّوا نعمة الله لا تحصـوها** ﴾[3] ، وقـد وعدت على هـذا العمل القليـل مع مـا فيه من المعايب والآفات بالثواب العظيم الدائم،وضروب الكرامات فما استعـظام ذلك من شأن العاقل .

وثانيها : أن تتفكّر في أنّ الملك الذي من شأنه أن تخـدمه الملوك والأمراء إذا أذن في إدخال الهـدايا إليـه ،ووعد عليهـا بالعـطاء العظيم ، وأمر أن لا يستحي أحد بهـديته ولـو كان باقة بقل ، فدخلت عليـه الكبراء والأمـراء والرؤسـاء والأغنياء بـأنواع الهـدايا من الجـواهر الثمينة واللآلىء

---

(١) الحبط . (محركة بالفتحة) . ورق الشجر يقض بالعصا .

(٢) سره .

(٣) سورة إبراهيم . الآية ٣٤ . (مرت منذ قليل) .

النفيسة ثم جاء إليه بقّال بباقة بقل ، وقرويّ بسلّة عنب تساوي درهماً أو حبّة فدخل بها إلى حضرته،وزاحم أولئك الأكابر بهداياهم الجليلة، فقبل الملك من الوضيع هديّته ، ونظر إليها نظر القبول، وأمر له بأنفس خلعة وكرامة ، تبلغ مائة ألف دينار، ألا يكون ذلك منه في غاية الفضل والكرم ؟ .

ثمّ لو فرض أنّ هذا الفقير نظر بخاطره إلى هديته واستعظم أمرها وتعجّب بها ونسي ذكر منّة الملك ألا يقال هذا مجنون مضطرب العقل أو سفيه سيّىء الأدب عظيم الجهل ؟ .

وثالثها : أنّ الملك الذي من شأنه أن تخدمه الملوك والأمراء ، وتقوم على رأسه السادات والعظماء ، ويتولّى خدمته الحكماء ، وتمشي بين يديه الأكابر والرؤساء ، إذا أذن لسوقيّ أو قرويّ في الدخول عليه ، والقرب منه ، حتّى زاحم أولئك السادات والأفاضل في خدمته ، وجعل له مقاماً في حضرته ، أليس يقال لقد كثرت على هذا الحقير المنّة من الملك ، وعظمت عليه النعمة ؟ .

فإن أخذ هذا الحقير يمنُّ على الملك بتلك الخدمة الحقيرة ، ويستعظم ذلك مع هذه النعمة الواصلة إليه ، ويعجب بعمله ، أليس ينسب إليه محض السفه والجنون ؟ .

فكيف ، وإلّهنا الذي له ملك السموات والأرض ، وقد دان له العالمون ، ووقف بخدمته الملائكة المقرّبون ، والأنبياء المرسلون الذين لا يحصي عددهم إلّا ربّ العالمين ، ومنهم النافذة في تخوم الأرض أقدامهم[1] الواصلة إلى العرش رؤوسهم ، وهم مع ذلك مطرقون لا يرفعون رؤوسهم تعظيماً لله تعالى ، ولا يفترون عن ذكر الله تعالى أبداً

(١) ... ومنهم من خرقت أقدامهم تخوم الأرض السفلى .. النهج : ١/١٧٠ .

إلى آخر مدّتهم ، فإذا أراد الله أن يميتهم رفعوا رؤوسهم وقالوا : « سبحانك ما عبدناك حق عبادتك »[1] .

ولا يخفى حال نبيّنا (ص) في جدّه واجتهاده في عبادة ربّه[2] ومن بعده من الأئمة[3] ، الذين يخرج ذكر يسير من عباداتهم عن حدِّ الإختصار إلى نهاية الإكثار ، وهم مع ذلك معترفون بالتقصير ، باكون على أنفسهم مزرون[4] عليها ، ثمّ أنّك ترضى من نفسك بصلاة ركعتين محشوّة من المعايب وقد وعدت من الثواب عليها بما لا يخطر على قلب بشر ، وتعجب من ذلك وتستكثره ، ولا ترى منّة الله عليك في ذلك ؟ .

فما أجهلك من إنسان وما أسوأك من رجل ، وما أسفهك من بشر ! . .

وأمّا نحن فلو عقلنا وتفطّنّا لأعمالنا ، لوجدناها إلى كفة السيئات أميل منها إلى كفة الحسنات لشدّة الغفلة ، وكثرة المعايب ، وفساد القلوب ، وتشويش المقاصد .

---

(١) . . . ولعرفوا أنهم لم يعبدوك حق عبادتك ، ولم يطيعوك حق طاعتك النهج . ١ / ٢١١ .
والفكرة بمجملها مأخودة من الحديث النبوي الشريف .
إنَّ لله ملائكة قياماً من خيفة الله ، ما رفعوا رؤوسهم حتى ينفخ في الصور النفخة الآخرة .
فيقولون جميعاً : سبحانك ، ربنا ، وبحمدك ، ما عبدناك كما ينبغي لك أن نعبد مكارم الأخلاق : ٤٦٤
وفي حديث آخر : . . سبحانك ربنا ! ما عبدناك حق عبادتك . رواه الحاكم عن سلمان . اللمع : ١٢٢ .

(٢) في الحسر : قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حتى تفطرت قدماه (أي انشقتا) . لسان العرب : ٥/٥٥ ، فأنزل بذلك ﴿ طه ، ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ! . . ﴾ وعندما كان يطلب إليه الرفق بنفسه ، وقد غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، كان يجيب : أفلا أكون عبداً شكوراً ؟ . .

(٣) وأخبار تعبد أمير المؤمنين عليه السلام ، وخشيته ، وسجود زين العابدين ، ذي الثفنات ، والكاظم عليهما السلام ، مشهورة ، وذكرها يطول ، .

(٤) أي . منتقصون ، ومحتقرون .

اللّهمّ لا تكلنا إلى أعمالنا ، ولا تؤاخذنا بتفريطنا وإهمالنا ، واشملنا بفضلك وأنسك ، وخذ بنواصي قلوبنا إلى جوار قُدسك ، فقديماً سترت ، وعظيماً غفرت ، وجزيلاً أعطيت ، وجسيماً أبليت وأنت أرحم الراحمين وأكرم الأكرمين ، فما قدمت عليك أيدينا إلاّ صفراً من الحسنات ، مملوّةً بالمعاصي والسيئات ، وجُودُك أوسع وأكمل من أن يضيق عمّن التجأ إليك ، واعتمد بفضلك ورحمتك عليك ، وأنت دللتنا على جودك ، وهديتنا إلى فضلك ، وأمرتنا بالدعاء وضمنت الإجابة[1] وأنت الجواد الكريم .

(١) إشارة إلى قوله عز وجل · ﴿ ادعوني استجب لكم ﴾ سورة المؤمن الآية ٦٠



البحث الثاني

في خصوصيات باقي الصلوات :

في أسرار صلاة الجمعة :

بالنسبة إلى اليوميّة : تختص الجمعة باستحضار أنّ يومها يوم عظيم(١) ، وعيد شريف ، خصّ الله به هذه الأمّة(٢) ، وجعله وقتاً شريفاً

(١) قال صلى الله عليه واله وسلم : خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة : مفتاح السنة ١١٦ ، الإحياء . ١/١٧٨ ، رواه مسلم ، رياض الصالحين : ٤٢٦
وقال صلى الله عليه وآله وسلم : إن يوم الجمعة سيد الأيام ، وأعظمها عند الله تعالى . إرشاد القلوب : ٤٦ .
ولأبي جعفر عليه السلام حديث بمعناه ، مع تقارب باللفظ . الفقيه : ١/١٧٢ التهذيب : ٢١٣ .
وكانت قبل تسميتها بهذا الإسم ، يوم العروبة وأول من أطلق عليها هذا الإسم الأنصار في المدينة وقيل : كعب بن لؤي . كشكول البهائي ٣/٢٢٤ ـ ٢٢٥

(٢) وعنه صلى الله عليه وآله وسلم : إن الله اختار من الأيام يوم الجمعة ، ومن الليالي ليلة القدر ، ومن الشهور شهر رمضان . . إثبات الوصية . ٢٧٩ .
ولأبي جعفر عليه السلام مثله . الكافي : ٣/٤١٣ .
وفي الحديث الشريف . إن الله كتب عليكم يوم الجمعة فريضة واجبة إلى يوم القيامة . الوسائل (كتاب الصلاة) : ٤٦٠ .

لعبادته ليقرّبهم فيه من جواره ، ويبعّدهم من طرده وناره ، وحثّهم فيه على الإقبال بصالح الأعمال ، وتلافي ما فرط منهم في بقيّة الأسبوع[1] من الإهمال ، وجعل أهمّ ما يقع فيه من طاعته ، وما يوجب الزلفى والقرب إلى شريف حضرته ، صلاة الجمعة. وعبّر عنها في محكم كتابه الكريم ، بذكر الله الجسيم ، وخصّها من بين سائر الصلوات التي هي أفضل القربات بالذكر الخاص ، فقال سبحانه : ﴿ **يا أيّها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة** ﴾[2] ، وفي هذه الآية الشريفة من التنبيهات والتأكيدات ما ينتبه له من له حظّ من المعاني لا يليق بسطه بهذه الرسالة .

ومن أهمّ رمزها هنا التعبير عن الصّلاة بذكر الله ونبّه بذلك على أن الغرض الأقصى من الصلاة ليس هو مجرّد الحركات والسكنات والركوع والسجود ، بل ذكر الله تعالى بالقلب وإحضار عظمته بالبال ، فإنّ هذا وأشباهه هو السرّ في كون الصلاة ناهية عن الفحشاء والمنكر، كما أخبر تعالى عنه في قوله تعالى : ﴿ **إنّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر** ﴾ إذا كان سببهما القوة الشهوية إذا خرجت عن حكم العقل وهذا كلّه إنّما يتمّ مع التّوجه التّام إلى الله تعالى وملاحظة جلاله الذي هو الذكر الأكبر[3] والكثير[4] على ما ورد في بعض تفسيراته[5] فضلاً عن أن يكون ذكراً مطلقاً وإذا كان الإستعداد بهذه المثابة ، لا جرم وجب الإهتمام بها

= و : إن الله عز وجل فرض عليكم يوم الجمعة في يومي هذا ، في مقامي هذا الإحياء . ١/١٧٨

(١) قال صلى الله عليه وآله وسلم : الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة تكفر ما بينهن إذا اجتنبت الكبائر الإحياء : ٤/١٧ ـ وراه مسلم ـ .

(٢) الآية : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع . ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون** ﴾ . سورة الجمعة : الآية ٩ .

(٣) من قوله تعالى ﴿ **ولذكر الله أكبر** ﴾ .

(٤) من قوله تعالى . ﴿ **اذكروا الله ذكراً كثيراً** ﴾ .

(٥) مر ذلك آنفاً .

زيادة على غيرها من الصلوات[1] والتهيؤ والإستعداد للقاء الله تعالى . والوقوف بين يديه في الوقت[2] الشريف ، والنوع[3] الشريف من العبادة .

وأحضر ببالك أن لو أمرك ملك عظيم من ملوك الدّنيا بالمثول في حضرته والفوز بمخاطبته في وقت معين أما كنت تتأهبّ له بتمام الإستعداد والتهيئة والسكينة والوقار والتنظيف والتطيُّب وغير ذلك ممّا يليق بجلال الملك ؟ .

ومن هنا جاء استحباب الغسل[4] يوم الجمعة والتنظيف[5] والتطيُّب[6] والتعمم[7] على الرَّأس وقصّ الشارب[8] والأظفار[9]

---

(١) في الحديث الشريف · ثلاث لو يعلم الناس ما فيهن ، لركضوا ركض الإبل في طلبهن · الأذان . والصف الأول . والغدو إلى الجمعة . الإحياء ١٨١/١ ـ أخرجه أبو الشيخ في ثواب الأعمال ـ .

(٢،٣) إشارة إلى الحديث : إن لله خواصّ في الأزمنة والأمكنة والأشخاص .
قال التبريزي ، عطر الله مرقده ، : إن الأوقات ، كالأمكنة ، وسائر الموجودات ، منها سعيد ونحس ، وشريف وغير شريف . أسرار الصلاة (ت) : ٨٠ . ومثله في · ١٠٦

(٤) استحباب الغسل يوم الجمعة ، تعظيماً لذلك اليوم ، وتفضيلاً له على سائر الأيام ، وزيادة في النوافل والعبادة : عيون أخبار الرضا : ٩٦/١ (علل محمد بن شاذان) أنظر مفتاح السنة · ٣٧٢ ـ ٣٧٣
وفي الحديث الشريف : إن الغسل يوم الجمعة ليستل الخطايا من رؤوس الشعر استلالاً : مختصر الترغيب والترهيب : ٥٤ ـ رواه الطبراني ـ .
فغسل يوم الجمعة سنة عيون أخبار الرضا : ٣٠/١ ، الفقيه : ٤٤/١ ، الإستبصار : ١٠٢/١ ـ ١٠٣ .

(٥) التزين يوم الجمعة : أنظر الكافي : ٤١٣/٣ ـ ٤١٨ .

(٦) الحديث : وأحب طيب الرجال . . . الإحياء . ١٨١/١ ، أخرجه أبو داوود والترمذي ، وحسنه النسائي .

(٧) الحديث : إن الله وملائكته يصلون على أصحاب العمائم يوم الجمعة · من حديث واثلة بن الأسقع . المصدر السابق .

(٨،٩) عن أبي عبد الله عليه السلام : من أخذ من شاربه ، وقلم أظفاره ، وغسل رأسه =

وغير ذلك من السنن ، فبادر عند دخول الجمعة إلى ذلك بقلب مقبل صاف ، وعمل مخلص ، وقصد متقرّب ، ونيّة خالصة ، كما تعمل ذلك في لقاء ملك الدّنيا ، إن لم تعظم همّتك عن ذلك ، ولا تقصد بهذه الوظائف حظّك من الرفاهية ، وتطيّب نفسك من الطيب والزينة ، فتخسر صفقتك وتظهر بعد ذلك حسرتك ، وكلما أمكنك تكثير المطالب التي يترتّب عليها الثواب فاقصدها ، يضاعف ثواب عملك بسبب قصدها ، فانو بالغسل يوم الجمعة سنة الجمعة[1] ، والتوبة ، ودخول المسجد ، وبالثياب الحسنة والطيب ، سنّة رسول الله (ص)[2] ، وتعظيم المسجد ، واحترام بيت الله ، فلا تحب أن تدخله زائراً له ، إلاّ طيب الرايحة ، وأن يقصد به أيضاً ترويح جيرانه ليستريحوا في المسجد عند مجاورته[3] ، ويقصد به دفع الروايح الكريهة عن نفسه ، حسماً لباب الغيبة عن المغتابين ، إذا اغتابوه بالروايح الكريهة ، فيعصون الله تعالى بسببه ، فقد قيل : أنّ من تعرض للغيبة وهو قادر على الإحتراز منها ، فهو شريك في تلك المعصية[4] ، كما أشار إليه تعالى بقوله : ﴿ ولا تسبّوا الذين

= بالخطمي يوم الجمعة ، كان كمن أعتق رقبة . التهذيب : ٣/٢٣٦ .

وعن ابن مسعود : من قلم أظفاره يوم الجمعة ، أخرج الله عز وجل منه داء ، وأدخل شفاء : الإحياء : ١/١٨١ .

(١) الخبر : دخل بعض الصحابة على ولده وقد اغتسل . فقال له : « أللجمعة » ؟ فقال : « بل عن الجنابة » . فقال : « أعد غسلاً ثانياً » . المصدر السابق .

(٢) إشارة إلى الحديث الشريف : حبب إليَّ من دنياكم ثلاث : النساء ، والطيب ، وقرة عيني في الصلاة : الإحياء : ١/١٦٣ و ١٦٥ و٣/٥٨ و ٢١٩ ، اللمع : ١٣٨ - أخرجه أحمد والنسائي والحاكم - ، مكارم الأخلاق : ٤٦١ (قريب منه) ، مفتاح الفلاح : ١٤١ .

وقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام : صلاة متطيب أفضل من سبعين صلاة بغير طيب : أسرار الصلاة (ت) : ٦٩ ، الأنوار النعمانية : ٢/٢٣٩ (قريب منه) .

(٣) للغزالي : فليتطيب في هذا اليوم (يوم الجمعة) بأطيب طيب عنده ، ليغلب به الروائح الكريهة ويوصل بها الرّوح والرائحة إلى مشام الحاضرين في حواره . الإحياء : ١/١٨١ .

(٤) للمؤلف رضوان الله عليه كتاب : كشف الريبة عن أحوال الغيبة ، طبع في قم وفي بيروت .

يدعون من دون الله فيسبّوا الله عدواً بغير علم ﴾[1] .

وإذا حضرت الصلاة فاحضر قلبك فهم مواقع الموعظة ، واستعد لتلقي الأوامر والنواهي على وجهها ، فإنّ ذلك هو الغرض الأقصى من الخطبة ، والخطيب ، والمنبر ، واستماع النّاس ، وتحريم الكلام خلالها[2] ، ووجوب الإصغاء ، إليها .

فاعط كلّ ذي حقّ من ذلك حقّه ، عسى أن تكون من المكتوبين في ديوان الملائكة المقربين الذين يكتبون المصلّين في ذلك اليوم الشّريف ، ويعرضونهم على الحضرة الإلّهية ، ويخلعون عليهم خلع الأنوار القدسيّة .

فقد روي أن الملائكة المقرّبين تقف على أبواب المساجد وبأيديهم قراطيس الفضة وأقلام الذهب يكتبون الأول فالأوّل[3] ، وإنّ

---

(١) سورة الأنعام . الآية ١٠٨ .

(٢) تحريم الكلام خلال خطبة الجمعة : دفعاً للّغو .
قال صلى الله عليه وآله وسلم · من قال لصاحبه ، والإمام يخطب : أنصت ، أو ، مه ، فقد لغا . ومن لغا والإمام يخطب ، فلا جمعة له الإحياء ١/١٨٤

(٣) الحديث : إذا كان يوم الجمعة ، قعدت الملائكة على أبواب المساجد ، بأيديهم صحف من فضة وأقلام من ذهب ، يكتبون الأول فالأول على مراتبهم . كنوز السنة : ١١٧ ، الإحياء : ١/١٨٢ ـ أخرجه ابن مردويه في التفسير من حديث أمير المؤمنين عليه السلام ـ
وورد عن أبي جعفر عليه السلام .
إذا كان يوم الجمعة تنزل الملائكة المقربون ، معهم قراطيس من فضة ، وأقلام من ذهب ، فيجلسون على أبواب المساجد على كراسي من نور ، فيكتبون الناس على منازلهم : الأول والثاني ، حتى يخرج الإمام . فإذا خرج الإمام طووا صحفهم ، ولا يهبطون في يوم من الأيام إلّا في يوم الجمعة . الكافي : ٣/٤١٣ .
وورد الحديث بمعنى آخر : إذ لا تكتب الملائكة إلّا الصلاة على محمد وآل محمد . الفقيه : ١/٢٧٣ ، التهذيب : ٣/٤ ، الوسائل (كتاب الصلاة) : ٤٧٢ .
(ولعلها فئة خاصة من الملائكة أوكل إليها أمر التقاط الصلاة على النبي وآله ، ورفعها في هذا اليوم . ويعزز هذا الرأي لدينا ما ورد عن الصادق عليه السلام ـ حول الصلاة على النبي ـ

الجنان لتزخرف وتزين، وإنّ الناس يتسابقون إليه على قدر سبقهم إلى الصلاة[1] ، ولا تزال الملائكة يكتبون الداخل إلى أن يخرج الإمام فإذا خرج ، طويت الصحف ، ورفعت الأقلام ، واجتمعت الملائكة يستمعون الذكر[2] ، وإنّ الناس في المنازل والحظوة على قدر بكورهم[3] إلى الجمعة .

فإذا أحضرت هذا ببالك، وأنّ الملائكة يستمعون وهم حولك، والله سبحانه وتعالى ناظر إليك ، لزمك ارتداء الهيبة وأدّراع السكينة وتجلبب الخشية، وعند ذلك تستحقّ أن تفاض عليك الرّحمة ، وتحفّك البركة ، وتصير صلاتك مقبولة ، ودعوتك مسموعة ، وأكثر في ذلك اليوم من الذّكر[4] والإستغفار[5] والدعاء[6] وتلاوة القرآن[7] والصلاة على

= ووكلت بالمصلين عليه ملائكتك يصلون عليه ، ويبلغونه بصلاتهم وتسليمهم : الصحيفة الصادقية ١٠٤) .

(١) مستل من قوله صلى الله عليه وآله وسلم . فضل الله الجمعة على غيرها من الأيام . وإن الجنان لتزخرف وتزين يوم الجمعة لمن أتاها ، وإنكم تتسابقون إلى الجنة على قدر سبقكم إلى الجمعة ، وإن أبواب السماء لتفتح لصعود أعمال العباد . الكافي : ٣/٤١٥ .

(٢) الحديث . . . فإذا خرج الإمام طويت الصحف ، ورفعت الأقلام ، واجتمعت الملائكة عند المنبر يستمعون الذكر . فمن جاء بعد ذلك فإنما جاء لحقِّ الصلاة ، ليس له من الفضل شيء . الإحياء : ١/١٨١ ، مختصر الترغيب والترهيب : ٥٠ .

(٣) ورد في الحديث الشريف : المهجر يوم الجمعة كالمهدي بدنةً . لسان العرب : ٥/٢٥٥ .
وعن الصادق عليه السلام : فضل الوقت الأول على الآخر ، خير للمؤمن من ولده وماله ، كفضل الآخرة على الدنيا . مكارم الأخلاق : ٣٠١ .

(٤) قيل في الذكر : وفي الذكر جلاء صدأ القلوب ، وتنبيه عن وسن النفوس ، وشحذ لما كلّ من الطباع . الحكمة الخالدة : ٢٩٠ .

(٥) روى السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال . قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .
خير الدعاء الإستغفار . عدة الداعي : ٢٦٤
وقال عليه السلام : إن للقلوب صدأ كصدأ النحاس فاجلوها بالإستغفار : المصدر السابق .

(٦) عن الصادق عليه السلام : الدعاء هو العبادة . إن الدعاء يرد القضاء ، ينقضه كما ينقض =

النبي (ص)[1] والصدقة ، فإنّ اليوم شريف والفضل فائض ، والجود تامّ ، والرحمة واسعة ، فإذا كان المحلّ قابلاً تمتّ السعادة وحصلت الإرادة وزيادة .

وتذكر في يوم الجمعة ساعة[2] لا يرد الله فيها دعوة مؤمن .

فاجتهد أن تصادفها داعياً ومستغفراً وذاكراً ، فإنّ الله يعطي الذّاكر فوق ما يعطي السائل[3] .

وإن أمكنك الإقامة في المسجد مجموع ذلك اليوم فافعل ، فإن لم يمكن فإلى العصر .

وكن حسن المراقبة ، مجتمع الهمة ، عسى أن تظفر بتلك السّاعة فقد قيل أنّها مبهمة في جميع ذلك اليوم نظراً من الله تعالى لخلقه ،

= السالك ، وقد أبرم ابراماً : الصحيفة الصادقية : ٢٠ ـ ٢١ .
وعن أبي الحسن الرصا عليه السلام : إن يوم الحمعة سيد الأيام ، يضاعف [الله] فيه الحسنات ، ويمحو فيه السيئات ، ويرفع فيه الدرجات ، ويستجيب فيه الدعوات ، ويكشف فيه الكربات . ويقضي فيه الحوائج العظام ، وهو يوم المزيد . الكافي ٣/٤١٥ ، التهذيب : ٣/٢ .

(٧) فضل تلاوة القرآن : تقدم .

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .أكثروا من الصلاة عليَّ في الليلة الغراء ، واليوم الأزهر · ليلة الجمعة ، ويوم الجمعة . الكافي . ٣/٤٢٨ ، التهذيب · ٣/٣ (بعضه) . أنظر : كنوز السنة : ٤٥٩ ـ ٤٦٠ .

(٢) إنها السّاعة الشريفة ، التي هي خير ساعة ، كما ورد في الخبر كنوز السنة · ١١٦ ـ ١١٧، الإحياء : ١/١٧٨ ، وفيها قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من حديث متفق عليه · إن في الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها شيئاً إلاّ أعطاه . الإحياء : ١/١٥٨ ـ أخرجه الترمذي وابن ماجة ـ مختصر الترغيب والترهيب : ٥٣ ـ ٥٤ . إرشاد القلوب : ٤٧ ولأمير المؤمنين عليه السلام حديث قريب منه . الفقيه : ١/٢٧٧ .

(٣) ورد في الحديث القدسي ،رواية عن أبي عبد الله عليه السلام : من شغل بذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين . وبمعناه الحديث الشريف : من شغلته عبادة الله عن مسألته أعطاه أفضل ما يعطي السائلين . عدة الداعي : ٢٤٨ .

ليحافظوا عليها كما أخفى ليلة القدر[1] في جميع السنة ليحافظوا عليها .

وروي أنّها ما بين فراغ الإمام من الخطبة إلى أن تستوي الصفوف بالناس[2] . وساعة أخرى من آخر النهار إلى غروب الشمس[3] .

واجعل هذا اليوم خاصّة في الأسبوع لآخرتك فعسى أن يكون كفارة[4] واستدراكاً لبقية الأسبوع .

ويكفيك في الإهتمام بالجمعة ووظائفها أنّ الله سبحانه جعلها

---

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : تحروا ليلة القدر في الوتر ، في العشر الأواخر من رمضان . رياض الصالحين : ٤٣٦ ـ رواه البخاري ـ

(٢) عن أبي عبد الله عليه السلام ما بين فراغ الإمام من الخطبة إلى أن يستوي الناس في الصفوف . التهذيب : ٣/ ٢٣٥ ، إرشاد القلوب .

وعنه أيضاً . إذا خرج الإمام التهذيب : ٣/٤ .

وعن الصادق عليه السلام : بعدما يخطب الإمام . الإختصاص : ٤٠ .

(٣) في الحديث الشريف : هي آخر ساعات النهار . كنوز السنة : ١١٧ ، مختصر الترغيب والترهيب ٥٤

وعن الرضا عليه السلام : هي آخر ساعة التي ورد فيها دعاء السمات . مسند الرضا : ١٠٣ .

وروي · إذا غاب نصف القرص . إرشاد القلوب : ٤٦ .

ويجمع ذلك كله قول الغزالي :

واختلف فيه ، فقيل: إنها عند طلوع الشمس ، وقيل : عند الزوال ، وقيل : مع الأذان ، وقيل: إذا صعد الإمام المنبر وأخذ في الخطبة ، وقيل · إذا قام الناس إلى الصلاة ، وقيل : آخر وقت العصر ، وقيل : غروب الشمس

ـ ويتابع حجة الإسلام ـ :

وكانت فاطمة رضي الله عنها تراعي ذلك الوقت ، وتأمر خادمتها أن تنظر إلى الشمس فتؤذنها بسقوطها ، فتأخذ بالدعاء والإستغفار إلى أن تغرب الشمس .

وتخبر بأن تلك الساعة هي المنتظرة . وتؤثره عن أبيها صلى الله عليه وآله وسلم . (انتهى) . الإحياء : ١/ ١٨٥ ـ ١٨٦ .

وهذا هو القول الصدق ، وفصل الخطاب . إنها الساعة الأخيرة من غروب الشمس .

صدق رسول الله ، وبضعته الزهراء ، وآله الأطهار المعصومون .

(٤) ورد في الحديث . الصلوات الخمس ، والجمعة إلى الجمعة تكفر ما بينهن ، إذا اجتنبت الكبائر . الإحياء · ٤/ ٥٤ (وقد مر بعضه) .

أفضل أعمال بني آدم بعد الإيمان على ما نطقت به الأخبار[١]، وصرح به العلماء الأخيار حيث دلّا على أنّ الواجب أفضل من الندب، وإنّ الصلاة أفضل من غيرها من الواجبات وأنّ اليوميّة أفضل من غيرها من الصلوات، وأنّ الصلاة الوسطى[٢] من بينها أفضل الخمس، والمختار أنها الظهر والجمعة أولى من الظهر، فتكون أفضل منها، لو أمكن تصوّر فضل لها وحينئذٍ فتكون أفضل الأعمال.

وهذا بيان واضح يوجب تمام الإهتمام[٣] بشأنها وأبلغ الخطر في التهاون بها لمن تدبّر، وقد نبّه على جميع ذلك قوله تعالى بعد الأمر

---

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أفضل الأشياء الصلاة على وقتها . كنور السنة : ٢٦٩ ، لسان العرب ٥/١٩٩ ، مكاشفة القلوب ٢٦٢ ، وللصادق مثله عدة الداعي ٨٥ . وعن أمير المؤمنين عليه أزكى التحيات والسلام · ليس من عمل أحب إلى الله من الصلاة . تحف العقول · ٧٨ .

وعن معاوية بن وهب ، قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن أفضل ما يتقرب به العباد إلى ربهم ، وأحب ذلك إلى الله فقال :

ـ ما أعلم شيئاً ، بعد المعرفة ، أفضل من هذه الصلاة مفتاح الفلاح ٣٢

وعن الصادق عليه السلام · أحب الأعمال إلى الله عز وجل الصلاة ، وهي آخر وصايا الأنبياء الوسائل (كتاب الصلاة) · ٢٤٩

(٢) الصلاة الوسطى · قال الله تعالى : ﴿ **حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين** ﴾ سورة البقرة . الآيه ٢٣٩

وفي سند طويل عن أبي عبد الله عليه السلام ، قال : هي صلاة الظهر ، وهي أول صلاة صلّاها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وهي وسط النهار ، ووسط الصلاتين : صلاة الغداة وصلاة العصر . ونزلت هذه الاية يوم الجمعة ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في سفره ، فقنت فيها رسول الله وتركها على حالها في السفر والحضر ، وأضاف للمقيم ركعتين .

الكافي . ٣/٢٧١ و ٢٧٤ ، الفقيه : ١/٢٨ ، الوسائل (كتاب الصلاة) ٢٤٧ .

(٣) عن ابن عباس ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، · من ترك الجمعة ثلاثاً من غير عذر ، فقد نبذ الإسلام وراء ظهره الإحياء · ١/١٧٨ ـ أخرجه البيهقي ـ

وعن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام من ترك الجمعة ثلاث جمع متوالية ، طبع الله على قلبه الوسائل (كتاب الصلاة) : ٤٦٠

بها : ﴿ ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون ﴾ .

وقد وردت الأوامر بقراءة سورتها وسورة المنافقين[1] فيها ليتكرر سماع الحثّ عليها فيهما وقد قال في سورة المنافقين بعد أن سمّاها في سورتها ذكراً : ﴿ يا أيّها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ﴾ الخ .

فكرّر هذه الدقائق على فكرك عسى أن تكون من المفلحين .

في أسرار صلاة العيد(*) ووظائفها :

وأمّا [صلاة][2] العيد فاحضر في قلبك أنّها في يوم قسمة الجوائز[3] ، وتفرقة الرحمة ، وإفاضة المواهب على من قُبِلَ صومه وقام بوظائفه .

---

(١) الكافي ٣/٢٢٥ ـ ٢٢٦ ، تحف العقول (من حديث أمير المؤمنين عليه السلام) ٨٣ . الإحياء ١/١٨٧ ـ أخرجه مسلم ـ

(*) عن أبي عبد الله عليه السلام · صلاة العيدين ركعتان بلا أذان ولا إقامة ليس قبلهما ولا بعدهما شيء التهذيب ٣/١٣٥ ، والأمر نفسه أثر عن أمير المؤمنين عليه السلام وعن أبي جعفر عليه السلام لا صلاة فيهما إلاّ مع إمام . فإن صليت وحدك فلا بأس المصدر السابق . الفقيه · ١/٣٢٠ ، الوسائل (كتاب الصلاة) ٤٧٦ .

(٢) أضفناها لاستقامة المعنى ، إذ سقطت من الأصل

(٣) روى جابر عن أبي جعفر عليه السلام ، قال . قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم
إذا كان أول يوم من شوّال ، نادى مناد · يا أيها المؤمنون اغدوا إلى جوائزكم
ثم قال · يا جابر ! جوائز الله ليست كمثل جوائز هؤلاء الملوك
ثم قال هذا يوم الجوائز ! الفقيه ١/٣٢٣ ، منهج الدعوات ٣٨٠
وفي خبر طويل عن ابن عباس ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .
إذا كانت ليلة الفطر ، وهي تسمى ليلة الجوائز ، أعطى الله العاملين أجرهم بغير حساب .
فإذا كانت غداة يوم الفطر ، بعث الله الملائكة في كل البلاد يهبطون إلى الأرض ويقفون على [أفواه] السكك ، فيقولون ·
يا أمة محمد ! أخرجوا إلى رب كريم . يعطي الجزيل ، ويغفر العظيم =

وأكثر من الخشوع في صلاتك والإبتهال إلى الله تعالى فيها وقبلها وبعدها ، في قبول أعمالك ، والعفو عن تقصيرك ، واستشعر الحياء ، والخوف والخجلة من حيرة الردّ وخذلان الطرد ، ليس ذلك اليوم بعيد « من لبس الجديد وإنّما هو عيد من أمن من الوعيد »(١) وسلم من النقاش والتهديد،واستحقّ بصالح أعماله المزيد ، واستقبله بما استقبلت به يوم الجمعة من الوظائف ، والتنظيف ، والتطيّب ، وغيره من أسباب التهيؤ ، والإقبال بالقلب على ربّك ، والوقوف بين يديه ، عسى أن تصلح للمناجاة والحضرة لديه ، فإنّه مع ذلك يوم شريف ، وزمان منيف ، يقبل الله فيه الأعمال وتستجاب فيه الدعوات ، فلا تجعل فرحك فيه بما لم تخلق لأجله ، ولم يجعل عيداً بسببه من المأكل والمشرب ، واللباس، وغير ذلك من متاع الدنيا البائرة ، فإنّما هو عيد لكثرة عوائد الله تعالى فيه ، على من عامله بمتاجر الآخرة .

في أسرار صلاة الآيات :

وأمّا [صلاة](٢) الآيات(٣) فاستحضر عندها أحوال الآخرة

= أمالي المفيد : ٢٣٢ ، الروص الفائق : ١٠٠ (قريب منه)
أما المتوجهون في هذا اليوم إلى الله تعالى ، فهم ـ كما يصنفهم ابن طاووس قدس الله سره ـ سبعة أصناف . أسرار الصلاة (ت) ٨٦ ـ ٨٨ .

(١) من كلم أمير المؤمنين عليه السلام .

(*) صلاة الآيات ركعتان بعشر ركوعات .

(٢) سقطت من الأصل .

(٣) الآيات ج . آية ، أي : علامة . ويقصد بالآيات : الخسوف والكسوف والزلزلة ، وكل أخاويف السماء
عن أبي جعفر عليه السلام كل أخاويف السماء : من ظلمة أو ريح أو فزع . . . فصلّ له صلاة الكسوف حتى يسكن . الكافي ٣/٤٦٤ ، التهذيب ٣/١٥٥ ، الوسائل (كتاب الصلاة) : ٤٨٤ . =

وزلازلها[1] وتكوير[2] الشمس ، والقمر ، وظلمة[3] القيامة ، ووجل الخلائق ، والتجاءهم واجتماعهم في تلك العرصة[4] ، وخوفهم من الأخذ والنكال ، والعقوبة والإستيصال ، وأكثر من الدعاء والإبتهال ، بمزيد من الخشوع والخضوع ، والخوف والوجل ، في النجاة من تلك الشدائد وردّ النور بعد الظلمة ، والمسامحة على الهفوة ، والزّلة ، وتب إلى الله تعالى من جميع ذنوبك وأحسن التوبة عسى أن ينظر إليك وأنت منكسر النفس ، مطرق الرأس ، مستحيٍ من التقصير فيقبل توبتك ويسامح هفوتك ، فإنّه يقبل القلوب المنكسرة ، ويحبّ النفوس الخاشعة والأعناق الخاضعة ، والتململ من ثقل الأوزار[5] . والحذر من منقلب الأضرار .

= وعن أبي عبد الله عليه السلام . صلاة الكسوف فريضة . الفقيه : ١/٣٢٠ التهذيب : ٣/٢٩٠ .

(١) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ . إن زلزلة الساعة شيء عظيم ﴾ . وقوله عز وجل : ﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها ﴾

(٢) إشارة إلى قوله تعالى ﴿ إذا الشمس كورت ﴾ ومنه : تكوير العمامة ، وكورها : بمعنى لفها وكورت الشمس . جمع ضوءها . ولُفَّ كما تلف العمامة ، وقيل : عورت ، أو اضمحلت وذهبت . أو نزع ضوءها ، أو دهورت ، أو رمي بها . لسان العرب : ٥/١٥٥ ـ ١٥٦ .

(٣) إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد ، فتغشاهم ظلمة شديدة . الأنوار النعمانية : ٤/٢٧٨

(٤) عن زين العابدين عليه السلام ، قال :
حدثني أبي عليه السلام ، أنه سمع أباه أمير المؤمنين عليه السلام ، يحدث الناس ، قال « إذا كان يوم القيامة ، بعث الله الناس من حفرهم بهماً ، جردا ، مرداً ، في صعيد واحد ، يسوقهم النور ، وتجمعهم الظلمة ، حتى يقفوا على عقبة المحشر ، فيركب بعضهم بعضهم ، فيزدحمون دونها ، فيمنعون من المضي ، فتشتد أنفاسهم ، وتكثر عروقهم ، وتضيق بهم أمورهم ، ويشتد ضجيجهم ، وترتفع أصواتهم .
قال . هو أول هول من أهوال يوم القيامة » . أسرار الصلاة (ت) . ٢٤٠ .
للمزيد ، أنظر : الأنوار النعمانية ٤/٢٧٤ ـ ٢٧٥ ، الإحياء : ٤/٥١٣ ـ ٥١٧

(٥) الأوزار : ج وزر . تبعة الذنب

في أسرار صلاة الطواف(*) :

وأمّا صلاة الطواف[1] فاستحضر عندها جلالة البيت لجلالة ربّ البيت ، واعلم أنك بمنزلة الواقف في حضرة الملك المطلق ، والحكم بالحقّ ، فإنّه وإن كان في جميع أحوالك ، مطّلعاً على سريرتك ، محيطاً بباطنك وظاهرك ، لكنّ الحال في ذلك الموضع أقوى والمراقبة فيه أتمّ وأولى ، والغفلة ثمّ أصعب وأدهى ، وأين المقصّر في تعظيم الملك بين يديه ولدى كرسيّه وبين النائي عنه ، والبعيد منه ؟ .

وإن كان علمه شاملاً للجميع ، ومحيطاً بالكلّ ، فليزد ذلك في خشوعك وإقبالك ، ولتحذر بسبب ذلك من إعراضك وإهمالك ، ومن ثمّ كان الذنب في تلك البقاع الشريفة مضاعفاً ، والحسنة أيضاً فيها مضاعفة .

وتفكّر في من سبق من الأنبياء[2] المقربين والأولياء[3] الصالحين ، فترى آثارهم وقربهم ، وما أورثهم علمهم وحبهم من السّعادة المخلدة ، والنعمة المؤبدة ، المجددة على مر الدهور ، والمطردة على كر العصور، وتأسَّ بهم في الأعمال وكمال الإقبال ، وليكن ذلك ونظائره مقدّمة للصلاة، لا مقارناً فإنّ وظيفة الصلاة الاقبال بها خاصّة . وترّق[4] من هذه المدارج إلى غيرها من شريف المعارج .

(*) أنظر فضل الطواف في الكافي : ٤/٤١١-٤١٢

(١) ركعتان كصلاة الغداة ، خيرهما بين الركن والمقام .

(٢) وعلى رأسهم . إبراهيم ، خليل الرحمن ، أبو الأنبياء ، وابنه إسماعيل . وخاتم النبيين محمد صلوات الله عليهم أجمعين .

(٣) كصحابة الرسول البررة الأخيار ، من مهاجرين وأنصار ،والسلف الصالح من المسلمين الأطهار

(٤) إشارة إلى الأحاديث . الصلاة مرقاة إلى الله تعالى · رسالة الحقوق ، الصلاة معراج المؤمن . تفسير الأعلى : ١٤ ، أسرار الصلاة (ت) : ١٨٧ ؛ الصلاة قربان كل تقي ، النهج : ٤/٣٤ . وتنسب للإمام الرضا عليه السلام . الفقيه : ١/١٣٦ ، مسند الرضا ٢/١٥٧ . وأصلها حديث نبوي شريف . كنوز السنة · ٢٦٩

في أسرار صلاة الجنازة(*)

وأمّا الجنازة فاحضر عند مشاهدتها ووضعها بين يديك ما قد خلفته من الأهل والأولاد ، وتركتـه من الأموال ، وقـدمت على الله تعالى صفـر اليد من الجميع ،لم يصحبها إلاّ الأعمال الصّالحة، وماتاجـرته من أعمـال الآخـرة الرّابحـة ، وتأمّـل بهجته كيف ذهبت ، وجلدتـه كيف تحـولت ، وعن قريب يمحو التراب صورته ، وتأكل الأرض هيأته، وما قد حصل لـه من يتم أولاده ، وترمل نسائه ، وتضييع أمواله ، وخلوّ مسجده ومجلسه ، وانقطاع آثاره بعد طول أمله ، وكثرة حيله وانخداعـه بمواطـاة الأسباب ، وغفلتـه عن الدخـول في هذا التـراب ، والقدوم على مـا سـطر عليـه في الكتاب ، وركونه إلى القوّة والشباب ، وانشغاله عمّا بين يديه من المـوت الذريع ، والهلاك السّريع ، وكيف كان يتردّد ويشيّع غيـره من الأموات ، والآن قد تهدمت رجلاه ومفاصله ، وكيف كان ينطق ، وقد فسد لسـانه ، وكيف كان يضحك ، وقد تغيرت أسنانه ، وكيف كـان يدبّـر لنفسه مـا لا يحتاج إليه إلى عشر سنين ، في وقت لم يكن بينه وبين المـوت إلاّ شهر أو أقـل ، وهو غـافل عمّـا يراد بـه ، حتّى جـاءه المـوت فجـأة في وقت لم يحتسبه فيه ، فقرع سمعه نداء الجبّار ، إمّا بالجنّة أو النار .

ولينظر في نفسه أنّه الآن مثله في غفلته ، وستكون عاقبته كعاقبته ، فلينهض حينئـذٍ إلى الإستعداد ، وليشتغـل بإكثـار الزّاد ، فـإنّ المسـافـة بعيدة ، والعقبةكؤود ،والخطرشديد ،والندامة بعد الموت غير نافعة .

فهـذا الفكر وأمثـالـه يحصّـل قصـر الأمـل ، والإستعـداد بصـالـح العمل ، ومحلّه خارج عن الصّلاة كما ترى .

(*) وهي عبارة عن خمس تكبيرات ، يتخللها تشهد ، وصلاة على النبي وآله ، واستغفار للمؤمنين والمؤمنات ، ودعاء للميت ، ليس فيها ركوع ولا سجود ، بل قـراءة فحسب ، ولا يشترط فيهـا الوضوء .

في أسرار صلاة النّذر(*) :

وأمّا صلاة النذر والعهدونحوهما، فليستشعر قبولها، والرّغبة في القيام بها والإهتمام بشأنها، وفاء لعهد الله تعالى، وامتثالاً لأمره. ولا يتبرّم[1] بها توهّماً أنّها ليست واجبة بالأصالة، فقد لحقت بمثلها في العظمة والجلالة، وليمثّل في نفسه أنّه لو عاهد ملكاً من ملوك الدّنيا على عمل من الأعمال، بحيث يكون فعله له بمرأى منه ومسمع، كيف يكون إقباله على عمله، واجتهاده في إصلاحه، واتقانه وامتلاء قلبه منه، ومراقبته لنظر الملك، بمجرّد الوعد فضلاً عن توكيده بالعهد، فلا تجعل نظر الله تعالى دون نظرعبيده، فإنّ ذلك عنوان النفاق، وأنموذج الشّرك .

وهكذا يلاحظ وظيفة كلّ صلاة بحسبها ويقوم بمزيّتها وآدابها ولا يقتصر على ما بيّناه من الوظائف بل يترّقى نظره إلى ما يفتح الله تعالى من المعارف، فإنّ أبواب الفيض مفتوحة، وأنوار الجود هابطة، ومبذولة، واصلة إلى النفوس الإنسانية، على قدر استعدادها .

وفّقنا الله وإيّاكم لتلقى الأسرار وأدرجنا في عداد عباده الأبرار، وأخذ بنواصينا إلى رضاه ورحمته، وعاملنا بعفوه وكرمه ومغفرته، واستعملنا بما علمناه، وأشركنا في ثواب من أفدناه، فإنّ ذلك منه وبه وله، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

وها هنا نقطع الكلام في هذه الرسالة حامدين الله تعالى على كلّ حالة، وفرغ منها مؤلفها شيخ الإسلام والمسلمين، وقبلة المتعبدين أعلم العلماء العاملين وأكمل الفضلاء الكاملين، رئيس الفقهاء والمتكلّمين، زين الملة والحقّ والدّين، الزاهد، العابد، الورع، الناطق بالحقّ

(*) قلما تعرضت لهذا الضرب من الصلاة كتبنا الصحاح إلاّ لماماً .

(١) البرم : الضجر والتأفف .

والصواب ، المؤيّد من عند ربّ الأرباب، الشّيخ زين الدّين بن علي بن أحمد الشامي العاملي تغمّده الله بغفرانه وأسكنه بحبوحة جنانه ، يوم السبت تاسع شهر ذي الحجّة الحرام سنة إحدى وخمسين وتسع مئة .

والحمد لله أولاً وآخراً ، وظاهراً وباطناً ، وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين .

ـ المراجع المعتمدة في تحقيق الكتاب ـ

ـ أ ـ

(١) الآداب المعنوية (للصلاة) تأليف آية الله الخميني . تعريب الفهري . منشورات الأعلمي . بيروت . ط ٢/١٩٨٦ .

(٢) الإتحافات السنية (بالأحاديث القدسية) : تأليف المناوي . تصحيح الزغبي . مؤسسة الرسالة . بيروت (دون تاريخ) .

(٣) إثبات الوصية : تأليف المسعودي . دار الأضواء . بيروت . ط ٢/١٩٨٨ .

(٤) إحياء علوم الدين . (الإحياء) : تأليف الغزالي . دار المعرفة . بيروت . (دون تاريخ) .

(٥) الإختصاص : تأليف الشيخ المفيد . منشورات الأعلمي . بيروت : ١٩٨٢ .

(٦) الأربعون حديثاً : تأليف بهاء الدين العاملي (الشيخ البهائي) . مخطوطة في مكتبتنا الخاصة .

(٧) (كتاب) الأربعين (في أصول الدين) : تأليف الغزالي . المكتبة

الأهلية . بيروت (دون تاريخ) .

(٨) إرشاد القلوب : تأليف الديلمي . منشورات الأعلمي . بيروت . ط ٤/١٩٧٨ .

(٩) أسرار الصلاة (ت): تأليف جواد ملكي التبريزي . دار الأضواء . بيروت . ط ٤/١٩٨٥ .

(١٠) الأعلام : للزركلي . دار العلم للملايين . بيروت . ط ٦/١٩٨٤ .

(١١) أمالي الصدوق : للشيخ ابن بابويه القمي (الصدوق) . المكتبة الحيدرية . النجف . ط ٢/١٩٦٦ .

(١٢) أمالي المفيد : للشيخ محمد بن محمد بن النعمان (المفيد) دار التيار الجديد . بيروت . (دون تاريخ) .

(١٣) الإملاء (على اشكالات الأحياء) : للغزالي . ملحق بالإحياء .

(١٤) الأنوار النعمانية : للسيد نعمة الله الموسوي (النعماني) . طبعة تبريز /١٣٧٨ هـ .

ـ ب ـ

(١٥) ألبيان والتبيين : للجاحظ . تحقيق عبد السلام محمد هرون . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر . القاهرة . ط ٢/١٩٨٢ .

ـ ت ـ

(١٦) التحرير الطاووسي : تأليف الشيخ حسن ابن الشهيد الثاني . تحقيق ترحيني . منشورات الأعلمي . بيروت . ط ١/١٩٨٨ .

(١٧) تحف العقول (عن آل الرسول) : تأليف ابن شعبة الحراني . منشورات الأعلمي . بيروت . ط ١٩٧٤/٢ .

(١٨) الترغيب والترهيب (مختصر) : انتقاء ابن حجر العسقلاني . تحقيق الأعظمي . إحياء المعارف ـ بومباي / ١٩٦٠ .

(١٩) تفسير الأعلى (مجموعة الرسائل) : منشورات مكتبة المرعشي النجفي .

(٢٠) التفسير الصوفي للقرآن . (المنسوب للإمام الصادق) . تحقيق د . علي زيعور . دار الأندلس . بيروت . ط ١٩٧٩/١ .

(٢١) تلبيس إبليس : تأليف ابن الجوزي . دار الكتب العلمية . بيروت (دون تاريخ) .

(٢٢) تنبيه الغافلين : تأليف السمرقندي ، المكتبة الشعبية . بيروت (دون تاريخ) .

(٢٣) تهذيب الأحكام . (التهذيب) : تأليف الشيخ المفيد . تحقيق حسن خرسان . دار الأضواء . بيروت . ط ١٩٨٥/٣ .

ـ ث ـ .

(٢٤) ثواب الأعمال : تأليف الشيخ الصدوق . منشورات الأعلمي . بيروت . ط ١٩٨٣/٤ .

ـ ج ـ

(٢٥) جامع الرواة : تأليف الأردبيلي . دار الأضواء . بيروت : ١٩٨٣ .

(٢٦) جامع السعادات : تأليف محمد مهدي النراقي . منشورات الأعلمي . بيروت . ط ٤ .

(٢٧) الجواهر السنية (في الأحاديث القدسية) : تألف الحر العاملي مطابع النعمان . النجف : ١٩٦٤ .

(٢٨) جواهر القرآن : تأليف الغزالي . دار الآفاق الجديدة . ببروت . ط ٥/١٩٨٣ .

- ح -

(٢٩) الحقائق (في محاسن الأخلاق) للفيض الكاشاني . تحقيق قسم التحقيق في دار البلاغة (محسن عقيل) . بيروت . ط ١/١٩٨٩ .

(٣٠) الحكمة الخالدة : تأليف ابن مسكويه . تحقيق د . عبد الرحمن بدوي . دار الأندلس . بيروت . ط ٣/١٩٨٣ .

(٣١) حياة الحسن العسكري : تأليف باقر شريف القرشي (المخطوط) .

(٣٢) حياة علي بن الحسين : تأليف باقر شريف القرشي (المخطوط) .

- ر -

(٣٣) رسائل الشريف المرتضى . طبعة قم : ١٤٠٥ هـ .

(٣٤) رسالة روضة الطالبين (وعمدة السالكين) : تأليف الغزالي (مجموعة الرسائل الفرائد) مكتبة الجندي . القاهرة (دون تاريخ) .

(٣٥) رسالة منهاج العارفين : تأليف الغزالي (مجموعة القصور

العوالي) مكتبة الجندي . القاهرة (دون تاريخ) .

(٣٦) الروض الفائق : تأليف الشيخ شعيب الحريفيش . دار الفكر . بيروت (دون تاريخ) .

(٣٧) رياض الصالحين : تأليف أبي زكريا النووي (بعناية رضوان محمد رضوان) . المكتبة التجارية الكبرى . القاهرة . (دون تاريخ).

- س -

(٣٨) سر الصلاة (أو : صلاة العارفين) تأليف آية الله الخميني . تعريب الفهري . دار الإعلام الإسلامي . بيروت .

- ش -

(٣٩) شرح كنوز السنة : وضعه د . ا . ي . فنسنك . ترجمة محمد فؤاد عبد الباقي . مكتب العالم الإسلامي . ١٤٠٤ هـ .

- ص -

(٤٠) صحيفة الإمام الرضا : تحقيق محمد مهدي نجف . دار الأضواء . بيروت . ط ٢/١٩٨٦ .

(٤١) الصحيفة الصادقية : تحقيق باقر شريف القرشي . دار الأضواء . بيروت . ط ١/١٩٨٩ .

(٤٢) الصحيفة المهدية : جمعها الشيخ إبراهيم بن المحسن الكاشاني . دار الحوراء - بيروت . (دون تاريخ) .

(٤٣) صلاة الخاشعين : للسيد دستغيب ، ترجمة السيد أحمد

القبانجي . دار التعارف للمطبوعات (بيروت) .

- ع -

(٤٤) عدة الداعي (ونجاح الساعي) . تأليف أحمد بن فهد الحلي . دار المرتضى ـ الكتاب الإسلامي . بيروت . ط ١/ ١٩٨٥ .

(٤٥) عجائب القرآن : تأليف فخر الدين الرازي . دار الكتب العلمية . بيروت . ط ١/ ١٩٨٤ .

(٤٦) علل الشرائع : تأليف الشيخ الصدوق . المكتبة الحيدرية . النجف ـ دار إحياء التراث . بيروت . ط ٢/ ١٩٦٦ .

(٤٧) عوارف المعارف : للسهروردي . دار الكتاب العربي . بيروت . ط ١/ ١٩٦٦ .

(٤٨) عيون أخبار الرضا : تأليف الشيخ الصدوق . منشورات الأعلمي . بيروت . ط ١/ ١٩٨٤ .

- ك -

(٤٩) الكافي : تأليف أبي جعفر ، محمد بن يعقوب ، مصورة طبعة الأخوندي .

(٥٠) كشف الريبة (عن أحكام الغيبة) تأليف الشهيد الثاني . تحقيق علي الخراساني . طبعة قم . ط ١/ ١٩٨٢ .

(٥١) كشكول البهائي : تأليف محمد بن حسين (البهائي) منشورات الأعلمي . بيروت .

(٥٢) الكنى والألقاب : للشيخ عباس القمي . المطبعة الحيدرية .

النجف . ط ٣/١٩٦٩ ـ ١٩٧٠ .

(٥٣) كنز الفوائد : تأليف محمد بن علي بن عثمان (الكراجكي) . تحقيق الشيخ عبد الله نعمة . دار الأضواء . بيروت . ١٩٨٥ .

- ل -

(٥٤) لسان العرب : تأليف محمد بن مكرم (ابن منظور المصري) . دار صادر . بيروت . (دون تاريخ) .

(٥٥) اللمع : لأبي نصر السراج الطوسي . تحقيق د . عبد الحليم محمود ـ طه سرور . دار الكتب الحديثة في مصر : ١٩٦٠ .

- م -

(٥٦) مصباح الشريعة : للإمام الصادق . منشورات الأعلمي . بيروت : ١٩٨٣ .

(٥٧) مصباح الهداية (إلى الخلافة والولاية) : تأليف آية الله الخميني . مؤسسة الوفاء . بيروت . ١٩٨٣ .

(٥٨) مسند الإمام الرضا : جمعه عزيز الدين العطاردي . مؤسسة الوفاء . بيروت . ١٩٨٢ .

(٥٩) معارج القدس : تأليف الغزالي ، دار الآفاق الجديدة . بيروت . ط ١٩٨١/٥ .

(٦٠) معاني الأخبار : للشيخ الصدوق . منشورات الأعلمي . بيروت . ط ١٩٨٤/١ .

(٦١) معاني بعض الأخبار : للشيخ الصدوق (مجموعة الرسائل)

منشورات مكتبة المرعشي النجفي .

(٦٢) المعجم المفهرس (لألفاظ القرآن الكريم) . وضعه محمد فؤاد عبد الباقي . دار إحياء التراث العربي .

(٦٣) مفتاح الفلاح : تأليف بهاء الدين العاملي . دار الكتب العراقية . الكاظمية /١٣٢٤ هـ .

(٦٤) المفردات (في غريب القرآن) تأليف الحسين بن محمد (الراغب الأصفهاني) . تحقيق محمد سيد كيلاني . دار المعرفة ـ بيروت . (دون تاريخ) .

(٦٥) المقصد الأسنى (في أسماء الله الحسنى) : تأليف الغزالي . تحقيق د . فضل شحادة . دار المشرق . بيروت . ط ٢ /١٩٨٢ .

(٦٦) مكارم الأخلاق : تأليف رضي الدين الطوسي . منشورات الأعلمي : بيروت . ١٩٧٢ .

(٦٧) مكاشفة القلوب : تأليف الغزالي . دار الكتب العلمية . بيروت . ط ١/١٩٨٢ .

(٦٨) من لا يحضره الفقيه (الفقيه) للشيخ الصدوق . تحقيق حسن خرسان . دار الأضواء . بيروت . ط ٦/ ١٩٨٥ .

(٦٩) منهج الدعوات : تصنيف الشيخ حسين معتوق . ط ٢ /١٩٨٦ .

(٧٠) منية المريد (في آداب المفيد والمستفيد) تأليف الشهيد الثاني . دار الكتب الإسلامي . بيروت . ١٤٠٤ هـ .

ـ ن ـ

(٧١) نهج البلاغة (النهج) : للإمام علي . شرح محمد عبده . دار

المعرفة . بيروت . (دون تاريخ) .

- و -

(٧٢) وسائل الشيعة (إلى تحصيل الشريعة) ـ الوسائل ـ . كتاب الطهارة والصلاة . طبعة الطباطبائي ـ الخوانساري ، الحجرية : ١٢٨٣ هـ .



المحتويات

الفصل الثاني

في أسرار أركان الصلاة وآدابها (المقارنات)

الفصل الثالث

منافيات الصلاة (الرياء والعجب)

الخاتمة

البحث الأول

البحث الثاني

في خصوصيات باقي الصلوات





طبع على مطابع مؤسسة الفجر
بحي [illegible] عين [illegible]







